كتابي



مشهد من قصة "روسو" الخالدة: جوليا (هيلويز الجديدة) للرسام "فرانسوا دروييه (١٧٢٧-١٧٧٥)

حلمي مراد

كتابى

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية

يصدر أول كل شهر

صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار الكتاب

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب السابع والستون (السنة السادسة) : أكتوبر ١٩٥٧

الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة : اقرأ التفصيلات بالداخل

الادارة : عمارة الجندول – ١٤ شارع ٢٦ يوليو – بالقاهرة
تليفون : ٥٩٥٥٦

مطابع الناشر العربى
٨ شارع الصحافة - القاهرة

محتويات العدد


قرأت وشاهدت لك
فى الكتب.. والمسارح.. والحياة!

حبيب العمر

فلنبدأ جولتنا هذا الشهر بمطالعة هذه القصة الانسانية ((القصيرة)) من قصص ((موباسان)) ، أستاذ هذا اللون من الوان الأدب غير منازع .. وهى تمثل فنه الفريد فى معالجة القصة القصيرة ، خير تمثيل .. فتعال نعش فى جوها الرائع ، لحظات ممتعة :

كان الجلوس حول مائدة العشاء عشرين : ثمانى نساء ، وعشرة رجال ، عدا الداعى صاحب البيت ، وعدا طبيب الضاحية ..

ودار الحديث حول الحب ، الموضوع الخالد لاحاديث مابعد العشاء ، فثارت مناقشة حامية حول ما اذا كان الانسان يستطيع ان يحب اكثر من مرة حبا صادقا عميقا ، أم ان العاطفة القوية لاتصيب القلب الا مرة .. فى العمر ؟!

وانقسم الحضور الى فريقين ، كل يؤمن باحدى النظريتين ويسوق الأمثلة عليها من قصص الحياة والواقع .. وكان الرجال على وجه العموم من أنصار الرأى الذى يقول ان الحب – كالمرض – قد يصيب الشخص الواحد مرات متعددة ، ويكون عنيفا فى كل مرة ، بل قاضيا قتالا فى بعض الاحايين ، حين تقف فى طريقه عقبة !

أما النساء – اللواتى يعتمدن فى تكوين آرائهن عادة على الخيال اكثر من الملاحظة – فكن فى صف الرأى المعارض الذى يؤكد ان الحب ، الحب الحقيقى ، الحب العنيف ، لا يصيب الشخص الا مرة واحدة .. وان القلب الذى يصاب به مرة يظل بعد ذلك فارغا محطما مقفرا ، لاتستطيع أية عاطفة قوية ان تنبت جذورها فيه !

واختارت الجماعة طبيب الضاحية محكما يرجح أحد الرأيين ، فقال بعد لحظة تفكير : « لقد وقفت أخيرا على قصة غريبة فى بابها ، قصة عاطفة دامت خمسة وخمسين عاما كاملة بلا انقطاع ، ولم ينهها غير الموت ! »

فقاطعته احدى الحاضرات : **« ما أجمل ان تجد المرأة رجلا يحبها على هذا النحو .. فتعيش خمسة وخمسين عاما فى حلم دافىء طويل !.. حقا ما أسعد المرأة التى يحبوها الحظ بمثل هذا العاشق المثالى ! »**

فضحك الطبيب وأجابها : « معذرة ياسيدتى ، فالشخص الذى حباه الحظ بهذا الحب المثالى كان رجلا لا امرأة . . ورجلا تعرفينه ، هو الدكتور «شوكيه» صيدلى الضاحية .. وأما المرأة التى أحبته فلعلك تعرفينها ايضا . انها العجوز الفقيرة التى ترتزق من اصلاح الكراسى الخيزران ، والتى تأتى الى هذا البيت كل عام ! »

.. وكان هذا بمثابة «دش» بارد صبه الطبيب على الحاضرين ، وخاصة النساء منهم ، فقد فتر للحال شوقهن لسماع القصة ، **وارتسمت فى عيونهن نظرة احتقار وخيبة أمل ، كأنما الحب لم يخلق الا لتلك الطبقة الناعمة من المخلوقات ، الجديرة بأن تثير قصص نسائها اهتمام وحسن اصغاء زميلاتهن من المترفات !**

.. واستأنف الطبيب سرد قصته : « . . منذ ثلاثة أشهر استدعيت الى فراش تلك المرأة العجوز ، وهى تحتضر . . وكانت قد حضرت الى الضاحية فى عربتها العتيقة التى يجرها جواد هزيل ، والتى كانت تستخدمها مأوى ومسكنا لها طوال حياتها التى قضتها فى التجوال سعيا وراء الرزق ، بصحبة كلبيها الاسودين المخيفين . . فوجدت الى جوار فراشها قسيس الناحية ، الذى أشركته معى فى تنفيذ وصيتها . ولكى توضح لنا سر التصرف الذى ضمنته تلك الوصية ، لم تجد بدا من ان تسرد علينا قصة حياتها ، التى لم أسمع من قبل —

رغم تجاربى الطويلة ـ نظيرا لها فى غرابتها وشذوذها « كان أبواها يحترفان صناعة اصلاح الكراسى القديمة ، ويتجولان بطفلتهما فى طول البلاد وعرضها طلبا للعيش ، فلم تعرف الطفلة فى صحبتهما لنفسها بيتا أو مستقرا .. وانما كان ركب الثلاثة يقف على جانب الطريق عندمداخل المدن التى يمرون بها ، فيعقل الوالدان جوادهما فى أقرب مرعى ، ويتركان الصبية تلعب وتمرح فوق الحشائش بصحبة كلبيهما ، ثم يدخلان البلدة جائلين فى شوارعها ، صائحين بصوتهما المزدوج فى طلب الكراسى المحطمة التى يريد اصحابها أصلاحها وتجديد خيزرانها .. ثم يعودان « بمحصولهما » من الكراسى الى حيث تركا عربتهما ، فيجلسان تحت ظل شجرة كبيرة ويعكفان على عملهما .. ولا يرفع أحدهما رأسه عن أعواد خيزرانه الا ليراقب الجواد فى مرعاه أو يصيح منتهرا الصبية اذا ابتعدت عن مرمى بصره .. وكانت كلمات الانتهار تلك أرق ما لقيت الصبية من تدليل والديها !

***

وحين كبرت صار والداها يرسلانها لجمع الكراسى التى فى حاجة الى اصلاح من بيوت اصحابها ، فكانت تتلكأ فى الطريق كى تلعب مع من تلقى من الصبية . **واذ ذاك تصدم سمعها عبارات الزجر التى كان ملاعبوها يتلقونها من والديهم بسبب اختلاطهم بالصبية « الحافية القدمين » ! .. وأحيانا ، عندما كانت بعض السيدات يتصدقن عليها بدريهمات من النقود ، كانت نظراتهن الفياضة بالاحتقار تفسدعليها فرحتها بنقودهن!**

« وذات يوم ـ وكانت قدبلغت الحادية عشرة ـ بينما كانت مارة فى أحد شوارع هذه الضاحية، صادفت الغلام « شوكيه » يبكى وينتحب من أجل بضعة دريهمات سرقت منه .. وحركت قلبها دموع الغلام المترف المحظوظ الذى ينتمى الى طبقة كانت

تحسب أفرادها بمنجاة من كل مكروه ، فاقتربت منه .. وجمعت أطراف شجاعتها فسألته عما يبكيه ، فلما عرفت السبب أفرغت فى يده سبعة دريهمات كانت كل ما أدخرته لنفسها من صدقة الناس !.. وكأنما أمدها صنيعها بشيء من الجرأة ، فراحت تجفف دمع الغلام على خده بكل ما اختزنه قلبها من حنان .. **وفيما كان هذا منشغلا بعد النقود، أحاطته الصبية فجأة بذراعيها و .. قبلته ! . . فلما رأته لم يصدها أو يضربها كررت فعلتها مرة اخرى فاحتضنته وأمطرته بقبلات سريعة متتالية .. ثم تركته وجرت هاربة !**

« ماذا دار فى رأس الصبية بعد تلك المغامرة ؟.. وهل علق قلبها بالغلام لأنها ضحت من اجله بكل «ثروتها» ، أم لأنها وهبته شفتيها وقبلتها الاولى؟.. انه لغز النساء الخالد الذى يستعصى دائما على الحل !

« .. وقضت الصبية شهورا تحلم بذلك اللقاء ، وتلك القبلة !.. وأغراها الامل فى أن تلقاه مرة أخرى، بان تسرق من والديها درهما بعد درهم .. وراحت تختزن ماتصل اليه يدها من نقود ، فى انتظار عودة ركب أسرتها الى الضاحية مرة أخرى، بعد طول التنقل والتجوال .. حتى تحقق حلمها أخيرا وحط الثلاثة رحالهم خارج البلدة من جديد ، فمضت الفتاة تذرع الشوارع باحثة عن فتى أحلامها ، وهى تمنيه فى نجواها بالمبلغ الضخم الذى ادخرته له ، والذى تطوى عليه جيبها ، مبلغ «الفرنكين» الكاملين !.. وأخيرا عثرت بضالتها . . كان الفتى يتمرن على العمل فى صيدلية أبيه ــ تمهيدا لدراسته الصيدلة بعد حين ــ وكان واقفا وسط حشد من قوارير الدواء . فتزودت منه بنظرة مؤقتة ومضت ، فى انتظار سنوح فرصة اخرى لرؤيته على انفراد . . ولكن الركب رحل عن الضاحية قبل ان تسنح تلك الفرصة ، فتبعت الفتاة والديها دامعة العين!

***

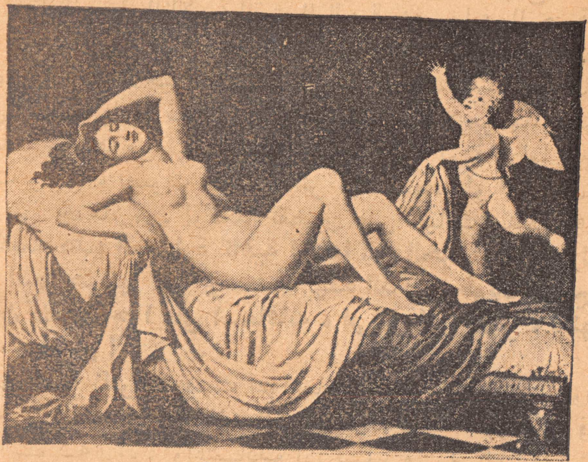
« **لكن حظها فى العام التالى كان أفضل ، فقد أتاحت لها المصادفة ان تلقاه يلعب مع أقرانه خارج سور المدرسة ، فاندفعت نحوه بكل حدة شوقها المختزن عامين كاملين، وألقت بنفسها عليه وراحت تغرقه بفيض من قبلاتها الحارة .. التى بلغ من عنفها انها أضجرته ، فلما بدأ يتأفف أفرغت فى يده كنزها المدخر من النقود ـ وكان قد بلغ مبلغا يحسب له حساب ـ فذهل الفتى وتركها تقبله !**

« وعلى هذا المنوال أراقت الفتاة على « حبيبها » خلال السنوات الاربع التالية كل مصروفها المدخر من المال ، وكان الفتى يتقبله منها بضمير خالص، ثمنا للقبلات التى تريدها!.. وحين كانت تقسو عليها الاحوال فيقل مدخرها عن المستوى المألوف، كان الخجل يسيل دموعا على خديها وهى تقدم « ضريبة الحب » لحبيبها فى مذلة !

« وهكذا لم تعد هى تفكر الا فيه ، وصار هو ينتظر أوبتها بغير قليل من اللهفة ، فاذا ما رآها قادمة هرع للقائها ، الامر الذى كان يجعل قلبها يثب بين ضلوعها فرحا .

« ثم اختفى الفتى !.. عادت ذات مرة فلم تجده .. وكان أهله قد أرسلوه الى العاصمة ليلتحق بكلية الصيدلة . فلما علمت بذلك بعد طول الاستقصاء والبحث ، استخدمت كل حيل انوثتها كى تغير خط سير والديها فى تجوالهما، بحيث يمر الركب بالعاصمة كل حين ، وخاصة فى فترة العطلة الدراسية .. ونجحت فى خطتها فعلا ، ولكن لعام واحد ، تلاه عامان لم يقع بصرها فيهما على فتاها .. وحين وقع عليه أخيرا كان الفتى قد تغير كثيرا فى هيئته ، حتى كادت ان لا تعرفه . **وحين مر بها فى هندامه الأنيق ، أشاح بوجهه عنها متجاهلا ، ومضى شامخ الانف !**

« **وصعقها تصرفه ، فقضت يومين تبكى بحرقة بكاء مرا ، ومنذ ذلك التاريخ صارت أيامها ألما متصلا وأسى عميقا ..**



الهة .. وذهب !

من لوحات متحف (ستوكهلم) : الالهة « داناى » ، والملاك ينثر عليها رذاذ الذهب ! .. للفنان السويدى « ادولف اولريك فرتمولر » (١٧٥١ – ١٨١١)

وكلما عاد بها الركب الى البلدة كل عام ، كانت تمر أمام الصيدلية مطأطئة الرأس ، بنفس ذليلة وقلب كسير ، مشفقة من ان ترفع عينيها الى فتاها فتلتقيا بعينيه ، لكن قلبها ظل وفيا له أمينا على حبه .. رغم كل شىء !

***

((ثم مات والداها ، فورثت حرفتهما ، واستأنفت التجول بعربتها وجوادها وكلبيها .. وذات يوم ، فيما كانت مقبلة على الصيدلية تسترق نظرة الى فتاها كعادتها ، لمحته خارجا منها

وذراعه معلقة بذراع امرأة .. زوجته .. فانه قد تزوج !

« .. فلما هبط الظلام ، ألقت البائسة بنفسها فى البحيرة ، قاصدة الانتحار . . لكن احد السكارى رآها تتخبط فى الماء فانتشلها فى الرمق الاخير ، وحملها الى .. الصيدلية !.. وهناك عهد الى الشاب باسعافها .. فتظاهر هذا بأنه لايعرفها، ومضى فى مهمته : جردها من ثيابها ودلك جسمها .. ثم قال لها حين استردت وعيها ، بصوت جاف لا أثر فيه للعطف أو الاشفاق :

« يا لك من حمقاء . . أوهكذا تقضين على حياتك بيدك ؟ »

« وكانت هذه العبارة كافية لردها الى الحياة . . !ولم يتحدث اليها حبيبها ؟.. وسعدت بهذه الذكرى طويلا ! وحين أرادت ان تنقده أجرا على اسعافاته ، أبى فى أول الامر ، لكنها أصرت .. فقبل !

« وعلى هذا المنوال مضت أعوامها على وتيرة واحدة، تدور حياتها حول محورين : اصلاح الكراسى القديمة ، والتفكير فى حبيبها «شوكيه» !.. واعتادت ان تبتاع منه كلما هبطت البلدة ما يلزمها من الدواء، كى تكحل ناظريها برؤياه، وتتحدث اليه ببضع كلمات ، وتنقده شيئا من المال . . حتى دنا أجلها فى الربيع الماضى فاستدعتنى ، وقصت على مأساتها، ثم عهدت الى بكل مالها المدخر — وقدره الفان وثلاثمائة وسبعة وعشرون فرنكا — موصية به لحبيبها الاوحد الذى عاشت وكدت وتعبت من اجله وحده ، لعله ان يذكرها ولو مرة ، بعد موتها !

« .. فلما لفظت آخر أنفاسها ، أعطيت القسيس من مالها سبعة وعشرين فرنكا ، نظير نفقات دفنها ، ثم حملت الباقى وتوجهت فى الصباح التالى الى بيت « شوكيه » . . **فوجدته وزوجته قد نفضا أيديهما من طعام الافطار وجلسا جنبا الى جنب يستمتعان بشمس الربيع، أكمل ما يكونان بشرا وصحة وتوردا ، وكأن الشيخوخة التى قضمت حياة العاشقة الفقيرة قد جبنت عن اقتحام محراب الزوجين المترفين !**

« قدم الزوج لى مقعدا ، ونهضت الزوجة فأحضرت طبقا من الكعك أخذت منه واحدة .. ثم بدأت أحدثهما عن مهمتى بلهجة تأثر ورثاء خلتها سوف تستدر الدموع من مآقيهما .. لكن شيئا من ذلك لم يحدث ، بل حدث عكسه تماما !.. لم يكد الزوج يقف على تفاصيل القصة ويعلم انه عاش طول حياته موضع عشق وتدله تلك المتشردة البائسة .. حتى أحنى رأسه فى خجل ، كأن ضرا قد أصاب سمعته وخدش اعتباره وشرفه اللذين يعتز بهما بين الناس ، اكثر من الحياة ذاتها !

« .. اما زوجته فقد فر لونها، وصاحت فى عصبية ظاهرة: « أوجرؤت تلك الشحاذة ، الشحاذة ، الشحاذة ! » وجعلت تكرر الكلمة فى حدة كأنما عجز لسانها عن ان يسعفها بغيرها! ثم نهض هو وراح يذرع الغرفة بخطى واسعة ، مفكرا . . وأخيرا وقف أمامى وقال : « فكر معى فى الامر يادكتور .. أليس شيئا فظيعا ان يحدث هذا لرجل فى مكانتى ؟.. آه لو علمت به اثناء حياتها، اذن لطلبت القبض عليها وايداعها السجن مدى الحياة.. أؤكد لك ذلك ! »

« وأذهلنى قوله ، والروح التى تلقى بها قصة التعسة ، فلم أدر ماذا أقول أو افعل ، ولبثت برهة حائرا .. ثم تذكرت ان على اتمام مهمتى ، فقلت آخر الأمر : « لقد كلفتنى المرحومة أن أسلمك كل تركتها من المال وتبلغ الفين وثلاثمائة فرنك .. ولكن ، اما وقد ساءت فعلها فلتوزع هذا المبلغ على الفقراء ! »

« وعند هذا نظر الزوجان الى ، نظرات تنم عن الحرج ، فأخرجت النقود من جيبى ـ وكانت منوعة من شتى الفئات والاحجام ، بينها قطع فضية وأخرى ذهبية وثالثة من الورق ، جمعتها المسكينة من كل بلد بعرق جبينها ـ ثم التفت الى الزوجين متسائلا : « والآن ، ماذا تقرران ؟ »

« فسارعت الزوجة بالجواب ، قبل زوجها : « **يبدو لى انه**

من الأليق احترام رغبة المتوافاة الاخيرة ، وعدم اهانة ذكراها برفض ما أوصت به ! » .. ثم تلاها زوجها فقال فى شيء من الارتباك : « فى وسعنا ان نشترى بهذا المال شيئا لأولادنا . »

« فقلت فى لهجة جافة معقبا : « كما تشاءان » . . بينما استطرد الصيدلى الشيخ : « . . نعم ، فما دامت المرأة قد عهدت بالمال اليك اذن أعطنا اياه ، ولن نعدم وسيلة لانفاقه فى شيء نافع .. »

« ووضعت المبلغ على المائدة وانحنيت لمضيفى وانصرفت .

لكن « شوكيه » جاءنى فى اليوم التالى يقول : « لا بد ان المرأة قد تركت عربتها ايضا ، فماذا تنوى ان تفعل بها ؟ »

— لا شيء .. خذها اذا أردت .

— بالضبط ، هذا ما قصدته ، فان أخشابها تلزمنى لصنع قوائم لفرن المطبخ ..

« وهم الرجل بالانصراف ، لولا ان استوقفته قائلا : « لقد خلفت المرأة أيضا جوادها وكلبها ، فهل تريدهما ايضا ؟ »

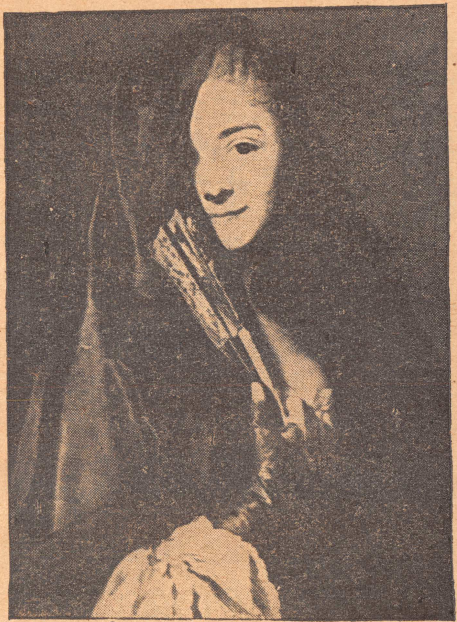
فتريث برهة مفكرا ، ثم اجابنى : « كلا ، ماذا أصنع بهما ؟ .. تصرف فيهما كيفما شئت » . . ثم ضحك ومد الى يده ، فأخذتها مصافحا .. فان طبيب الارياف مجبر — بحكم عمله — بأن تكون علاقته حسنة مع الصيدلى الوحيد فى البلدة !

« وقد احتفظت بالكلب لنفسى ، اما الجواد فأعطيته للقسيس الذى تولى دفن «المورثة» ! .. **وبعد ايام علمت ان شوكيه قد ابتاع بالمال الذى أوصت به له التعسة خمسة اسهم مالية من اسهم السكك الحديدية ..**

« ذلكم ، يا أصدقائى ، هو المثل الوحيد الذى صادفته فى حياتى للحب الخالص العميق ، المجرد من الانانية » !

وصمت الطبيب ، وقد انتهى من قصته .. فتنهد رب البيت متأثرا ، ثم قال وهو يجفف دمعة انحدرت على خده :

« حقا ان النساء وحدهن اللواتى يعرفن كيف يحببن ! »



« ملاءة لف » .. .. من السويد !

هل زرت من قبل احد متاحف السويد ؟ .. اذا كانت لم تسنح لك هذه الفرصة ، فتعال نزر سويا متحف (ستوكهلم) ، لنشاهد هذه اللوحة الرائعة ذات الطابع الشرقى .. فلكأن هذه الغادة السويدية الفاتنة ، بطرحتها السوداء حسناء مصرية ريفية ترتدى « الملاءة اللف » .. أو لعلها ، بالمروحة فى يدها ، حسناء اسبانية تميس دلالا !.. أما راسمها ـ وهو الفنان السويدى « الكسندر روسلين » (١٧١٨ ـ ١٧٩٣) فقد اطلق عليها : « المرأة ذات الوشاح الأسود »

مامدى ثقافتك الطبية ؟

لايزال كثير من النـاس يؤمنون بالخرافات المتعلقـة بالصحة ، رغم انتشار الثقافة الطبية .. فما درجـة ثقافتك انت ؟ .. اننى انقل لك هنا ـ عن مقال للدكتور ((سى . وارد كرامبتن)) بمجلة ((كورونيت)) الامريكية ـ عشرين رأيا ، وحـكم العلم عليهـا ، من حيث الخطـأ والصواب .. وكل ما عليك هو ان تقرأ الرأى المطبوع بالبنط الأسـود ، وتحكم عليه بنفسك ، قبل ان تقرأ التعليق المنشور تحته :

١ ـ الأسنان النظيفة لا تتلف البتة

خطأ ! .. فان الأسنان كثيرا ما تتلف اذا نقصت كمية الجير (الكلسيوم) فى الجسم ، او كانت صحة المرء ضعيفة ، أو كان مصابا بداء يعوق التغذية الكاملة

٢ ـ القليل من الـكحول كالكثير ، كلاهما يساعد على تقصير العمـر

خطأ ! .. فان الدراسات العلمية لا تؤيد وجود علاقة بين الافراط أو الامتناع عن الكحول ، وبين عمر الانسان .. بل ان بين الذين يتناولون الكحول بكميات معتدلة ، من يعمرون أكثر من سواهم

٣ ـ لا غنى للانسان عن ثمانى ساعات من النوم فى كل ليلة :

صحيح !.. بالرغم من المزاعم الشائعـة ضد هذا ، والتى يستشـهد أصحابها بعباقرة كانوا مقلين فى نومهم ، ومع ذلك فقد كانوا كثيرى الانتاج ، طويلى العمر ، مثل « اديسون » .. ذلك لأن العباقرة الذين من هذا النوع ، يستعيضون عن النوم بالليل ، بفترات من النعاس أثناء النهار

٤ ـ ان اللبن ، وهو الغذاء الكامل للانسان ، مفيد لكل امرىء

خطأ !.. فمع انه يفيد الأغلبية ، الا أنه يسبب الربو لبعض الناس الذين اوتوا حساسية ضده

٥ ـ الشخص النحيل أطول عمرا من البدين

صحيح !.. فان ستين فى المائة من المعمرين ، من ذوى الأجسام النحيلة .. وكل كيلوجرام فوق الوزن المتوسط يغدو ـ بعد سن الأربعين ـ مصدر متاعب للمرء . اذ ان النحاف أقدر على احتمال التداعى غير المحسوس الذى يطرأ على القلب والشرايين

٦ ـ الصلع ينشأ عن غسل الشعر بالماء البارد ، فى الصغر ، أو لبس اغطية الرأس ذات الحواف المحكمة

خطأ ! .. فالصلع وراثى عادة ، وليس فى وسع الانسان ان يتفاداه . أما « الصلع » الذى يقضى عليه فليس من « الصلع » فى شىء ، وانما هو تساقط الشعر نتيجة مرض من الأمراض

٧ ـ عمى الألوان مرض يرثه الأبناء عن الآباء

خطأ ! .. اذ الأغلب ان عمى الألوان يتوارث عن طريق الاناث .. أى ان المرء يرثه عن الأم

٨ ـ اختلال « البروستاتا » فى الكبر ، ينجم عن الافراط الجنسى فى الشباب :

خطأ ! .. فان النوع الشائع ـ وهو تضخم البروستاتا ـ انما ينشأ عن اختلال التوازن بين هرمونات الذكورة وهرمونات الانوثه لدى الرجل . واذا كان للسن من اثر ، فانما يأتى عن طريق تأثير الشيخوخة على الغدد

٩ ـ المرأة اكثر احتمالا للألم من الرجل

خطأ ! .. فان احتمال الألم مسألة نسبية تتوقف على مدى حساسية المرء ودرجة وسرعة انفعاله

١٠ ـ المرأة اكثر احتمالا للبرد من الرجل

صحيح ! .. اذ ان لديها طبقة عازلة من الشحم ـ تحت الجلد ـ تفوق فى السمك مالدى الرجل .. ولكن قلة ما ترتدى النساء من الثياب هى التى تجعل بعضهن اقل احتمالا للبرد من الرجال

١١ ـ تتعرض المرأة لهبوط قواها العقلية بدرجة كبيرة ، فى فترة الحيض الشهرى

خطأ ! .. فقد تتعرض بعض النساء للقلق والانفعال خلال هذه الفترة ، ولكنهن نادرا ما يتعرضن لانهيا رشديد .. اما اللائى يتعرضن فعلا لذلك ، فقد اصبن من قبل بخلل عقلى أو عصبى

١٢ ـ الزواج هو خير ما يمكن الرجل أو المرأة من التغلب على الاضطرابات العصبية

خطأ ! .. فان ممارسة العملية الجنسية لا تشفى المرء من الاضطرابات العصبية ، بل ان مشكلات التوافق والمعاشرة ـ بعد الزواج ـ تضاعف من هذه الاضطرابات لدى الرجل والمرأة على السواء

١٣ ـ الانهيار العصبى ينشأ عن الاجهاد فى العمل

خطأ ! .. بل المعتقد ان الرجل قادر على ان يتحمل قدرا ـ يفوق التصور ـ من العمل ، طالما كان خاليا من الهموم والمزعجات . أما الانهيار العصبى فينشأ ـ الى حد كبير ـ عن الخوف ، والقلق ، والكبت ، والخيبة

١٤ ـ الافراط فى الأكل يرفع وزن الجسم

صحيح ! .. فان ازدياد الوزن ، نتيجة لمتاعب تتعلق بالغدد ، لايؤلف سوى ٢ فى المائة من حالات السمنة ، بينما ترجع بقية الحالات الى الافراط فى الأكل

١٥ ـ من الممكن ان يتم الوضع بدون ألم

صحيح ! .. بل ان الوضع يتم ـ فى بعض الاحيان ـ بدون

الم ، ولو لم تتسن الاستعانة بمخدر أو بأى عقار

١٦ ـ الصداع الذى يتركز حول احدى العينين ـ دون سواها ـ يصيب أهل الفكر وأصحاب الشعور المرهف، دون سواهم

صحيح ! .. فان ذوى العقول والمشاعر البليدة ، نادرا ما يصابون بهذا الألم

١٧ ـ التهاب الزائدة الدودية ، ينشأ عن تناول مأكولات تحتوى على بذور صغيرة

خطأ ! .. اذ أن السبب الحقيقى لهذا الالتهاب غير معروف تماما . على ان الزائدة الدودية بطبيعتها فريسة سهلة للميكروبات

١٨ ـ خير علاج للامساك هو استخدام ملين خفيف بانتظام

خطأ ! .. بل ان تعود تعاطى الملينات يساعد على ازدياد الامساك . وخير علاج هو الحرص على غذاء تكثر فيه الفواكه والخضر وفيتامين « ب ١ » .

١٩ ـ يجب على من يتجاوزون الأربعين من أعمارهم ، الا يجروا وراء القطارات أو السيارات

صحيح ! .. فان القلب نادرا ما يكون ـ فى هذه السن ـ من القوة بحيث يستطيع ان يتحمل المتاعب التى تنبعث عن الاسراع الفجائى . وقد تؤدى هذه المتاعب الى عرقلة وظائف القلب

٢٠ ـ الآلام التى يشعر بها ذوى الأعصاب الضعيفة المعلولة ، آلام وهمية

خطأ ! .. فالواقع انهم يشعرون بآلام ، ولكنها ليست عضوية ، بل مردها الى العقل والمشاعر

عاشقة العباقرة

وبعد هذا الموضوع الطبى ، الذى يتصل بحياتك اليومية ، تعال نفر من دنيا الواقع الى سماء الخيال .. الى قصة حب عجيب « أعلنته » فتاة فى ربيع العمر على اثنين من عباقرة الأدب والموسيقى فى القرن الماضى ، هما « جيته » و « بتهوفن » .. وقد سجل قصة هذا الحب ، الأديب والناقد الفرنسى الكبير « سانت بيف » ، فى كتابه المشهور « أحاديث يوم الاثنين » :

• **مع مقدم ربيع سنة ١٨٠٧ ،** أحست « بتينا » بعاطفة غريبة ، راحت تحرك شغاف قلبها كما تحرك الاصبع الناعمة أوتار قيثارة .. أحست بأنها تحب .. بأنها وهى المغمورة ، ابنة التاسعة عشرة ، تحب نجما متألقا ، يقترب من الثامنة والخمسين من عمره ، ولكن تقدم السن لم يزده الا فتنة للاناث .. ذلك هو « جيته » شاعر المانيا العظيم !

وكانت « بتينا » جميلة ، ولكنها كانت ضئيلة الجسم ـ حتى لتحسبها فى الثانية عشرة فقط ـ وقد انحدرت من اسرة غريبة ، عرف أفرادها بالشذوذ فى طباعهم ، حتى لقد شاع فى (فرانكفورت) اذ ذاك ، قول تناقلته الألسنة تناقل الأمثال : « ان اقصى مراحل الجنون عند بعض الناس ، هى أولى مراحله عند اسرة برنتانو » !

.. وقد كان جنون « بتينا برنتانو » يتسم بمتناقضات محيرة .. كانت بحكم أصلها الايطالى خيالية ، تقول عن حالها : « ان بى شيطانا يقف حائلا بينى وبين كل ما يمت الى الواقع بسبب ! » .. واذا كان الخيال يدعو الى الدعة والهدوء ، فان **النشأة الألمانية أكسبت الفتاة فورة عارمة ، لعلها السبب فى انها أحبت « جيته » فجأة ، مع ربيعها التاسع عشر ، وكان حبها**



قويا عنيفا .. وغريبا فى الوقت ذاته ! .. فقد كانت تتمشى فى حديقة دارها ذات صباح ، عندما خطر « جيته » ببالها ، فاذا بها تشعر - لتوها - بأنها مغرمة به !

على ان « بتينا » لم تكن تجهل «جيته» حين أحبته . اذ كان الشاعر قد أعجب بأمها فى شبابه اعجابا لم يرق الى درجة الحب ، حتى لقد كان يقضى الشهور - بل الأعوام - دون ان يكلف نفسه عناء زيارتها ، مع أنها كانت تقيم فى قرية جد قريبة من (فيمار) ، حيث كان يعيش فى بلاط الأمير شارل أوجست !

بتينا .. عاشقة العباقرة

.. كما أن « بتينا » كانت لا تكاد تفارق أم الشاعر ، اذ كانت تشعر بسعادة ـ ما بعدها سعادة ـ فى التحدث اليها عن ابنها ، أو فى الانصات الى حديثها عنه .. وهكذا اجتمع قلبا الشابة والعجوز على حب الشاعر حبا كان يرفعه الى ارقى درجة وانبل مكانة . وقد أدت هذه العلاقة الى اتصال « بتينا » بجيته بيد ان هذا الاتصال لم يلبث ان ضعف بعد موت أم الشاعر

★ ★ ★

• **وكان** حب « بتينا » لجيته من طراز فريد . فلم يكن من نوع حب جولييت ، ولا غرار هوى فرجينى ، وانما كان غراما مثاليا لا علاقة له بالحس ، ولا بالجسد ، ولا بالقلب .. وليس من السهل على كاتب ان يرسم صورة واضحة المعالم لهذا الحب العجيب ، بل ان « بتينا » نفسها لم تكن تملك ان تصوره ، اذ كانت تجد عناء فى تعرف كنهه ! .. **كان حبا خياليا ، يسف فى التحليق بعيدا عن آفاق الكائنات والمحسوسات .. كانت الفتاة ترى فى وجه «جيته» كل ملهمات الشعر وجمال الروح والطبيعة .. ولم تكن لواعج الهوى تعذبها ، وانما كانت بمثابة نبع من الهناء لا يفيض .. وكان يكفيها ان تلتقى معه فى فكرة ، فتشعر بسعادة تفوق ما كانت خليقة بأن تحظى بها لو أنها كانت فى أحضانه !**

وكان لقاؤهما الأول طريفا !.. فقد حدث ان رحلت «بتينا» ـ فى ابريل سنة ١٨٠٧ ـ مع أختها وزوج اختها الى برلين . وكان عليهم ان يخترقوا صفوف قوات الأعداء ، التى كانت تحتل المانيا اذ ذاك . فتنكرت الفتاة فى زى حوذى ، وراحت تخترق بعربتها الغابات ، وتطلق النيران على كل من كانت تسول له نفسه ان يعترض طريق العربة ، حتى وصلت الى (فيمار) بعد عدة ليال لم تذق عيناها النوم خلالها . ويممت لفورها شطر أحد أصدقاء اسرتها ـ من معارف جيته ـ فزودها

بخطاب تقدمه الى الشاعر الكبير . ولم تمض دقائق ، حتى كانت فى قاعة الجلوس فى داره

وفتح الباب ، ثم دخل « جيته » .. وتصف بتينا هذا اللقاء الأول قائلة : **« لقد وقف فى جلال ومهابة ، وأخذ يتفرس فى وجهى ..وهممت بأن أبسط يدى لمصافحته ، ولكن قواى خانتنى .. واذ ذاك ضمنى الى صدره قائلا : « هل أخفتك الى هذه الدرجة ، أيتها الطفلة المسكينة » .. وقادنى الى حجرته ، فأجلسنى على أريكة امامه . وخيم علينا صمت طويل كنت خلاله ارتجف فرقا !.. وقلت اخيرا : « من المستحيل ان اظل جالسة لمدة طويلة ! » . فأجابنى : « افعلى ما يحلو لك ! » . واذ ذاك ألقيت بنفسى فى احضانه ، فجذبنى اليه ، واجلسنى على ركبتيه ، وضمنى الى صدره ! »**

وظلت فى هذا الوضع حتى غلبها النعاس ، نتيجة ما حل بها من متاعب الرحلة .. فما كان من « جيته » الا ان تركها فى سباتها الناعم . حتى اذا استيقظت ، ابتسم لها،واقتطف ورقة خضراء يانعة . قدمها اليها قائلا : « انها تشبه خدك نضرة ! »

على انه لم يظل طويلا فى معاملته اياها كطفلة ، بل انقلب يحدثها فى امور جدية عميقة . ثم تحول ففتح لها قلبه ، وراح يحدثها عن « شيللر » وغيره من النوابغ !

* * *

• **وكان** اللقاء الثانى بعد ذلك ببضعة أشهر ، وفى مدينة (فارتبورج) . وقد استولى على الفتاة ـ فى هذه المرة ـ ذهول عقد لسانها ، فلم تنبس ببنت شفة . واذ ذاك تقدم « جيته »، فوضع راحته على فمها قائلا : « تحدثى بعينيك ! » . وما ان رأى دموعها تنساب ، حتى اسدل جفنيها بيديه وهو يقول : « هدئى من روعك .. كلانا جدير بالبكاء ! »

وهكذا قام بينهما حب عارم عجيب ، يدفىء المشاعر دون ان

يحرقها .. وتوالت بينهما الرسائل التى كانت « بتينا » تكشف خلالها عن سذاجة صبيانية . فقد قالت له فى احداها : **« عندما أجد نفسي بين احضان الطبيعة ـ التى حملتنى انت على ان اتغلغل فى ثناياها ـ أحس بأننى اختلط بينها وبينك ، فاذا بى ارتمى على الحشائش النضرة ، وانهال عليها بالقبلات ! »**

وكثيرا ما كانت تشكو من انه لا يكن لها حبا يعادل حبها اياه . ولكن « جيته » ـ كأى شاعر ـ لم يكن يملك اى سلطان على قلبه ، وكثيرا ما كان يعشق امرأة لمجرد انه كان يتمثل فيها صورة لاحدى بطلات خياله !.. وكأنما كانت « بتينا » تجهل ذلك ، فقد كتبت له مرة تقول : **« اننى أوشك أن أغار من الدلال .. فالدلال انثى !. وانها لتتبعك اينما سرت ، فى غير كلال » !**

وظل الوضع بينهما على حاله فترة من الزمن ، لم يتعد غرامهما خلال تبادل الرسائل والاشعار والموسيقى . ولكن الدم الايطالى كان يزداد سخونة فى عروق الفتاة وهى تدرج نحو النضج ، فلم تعد تقنع بالحب العذرى ، وأخذت تشعر بنوبات من الجوع الحسى .. وقد كتبت له فى احدى هذه المرات تقول: **« ان الذى لا يمنح ذاته كلها ، لايكون قد منح شيئا .. وهل يقدم الانسان لامرىء هدية ، دون ان يرتقب منه مثيلا لها ! »**

وكأنما برم « جيته » بها ، أو لعله خشى من تطور حبها ، فأخذ يقتضب فى رسائله ، ويعهد باعدادها الى سكرتيره ، مما حدا بها الى ان تكتب اليه قائلة : « لقد استحوذت ـ فى رسائلى ـ على كل شيء لدى . . ولكن ، هل ترانى ملكت منك شيئا عن طريق رسائلك ؟ »

* * *

• **واذا** كان « جيته » لم يسرف فى ابداء حبه للفتاة ، الا انه **كان يغار من ميلها الى سواه . وكان الخبل العاطفى ، والجوع**

الحسى ، وفتور الشاعر العظيم .. كل ذلك كان يدفعها الى التعلق بسواه من العباقرة وذوى المواهب، فضلا عن انها اتخذت كثيرا من المعارف ، من بين الفرنسيين والايطاليين الذين التقت بهم فى (ميونيخ) .. على ان قيمة هذه العلاقات كلها تتوارى ازاء علاقتها باثنين من مشاهير عصرها ، هما : **هوفر وبيتهوفن !**

وكان « هوفر » اول عظيم أزاغ قلب « بتينا » عن «جيته» .. كان قائد حملة التمرد فى اقليم (التيرول) — فى سنة ١٨٠٧ — وقد ابدى بطولة رائعة فى قيادة جهاد اهل الاقليم ضد الامبراطور الذى أسلمهم لسيادة لم يكونوا يرتضونها . ونسيت « بتينا » كل شيء الا المساهمة فى الدفاع عن اقليمها ، وهى تتبع مغامراته الجريئة . فلما اعتقل واعدم ، شعرت بأن قلبها قد انتزع من مكانه !

ولكن القلب الحائر لم يلبث ان عاد الى مقره ثانية ، وفتح أبوابه ليستقبل « بيتهوفن » . فما ان رأته لأول مرة فى (فيينا) — فى مايو سنة ١٨١٠ — حتى خامرتها نحوه نفس المشاعر التى تملكتها نحو « جيته » من قبل ، لا سيما حين أقبل الموسيقى الأصم — الذى كان ناقما على الناس والبشرية — على التبسط فى الحديث معها ، ثم قام الى المعزف ، فراح يعزف ويغنى ، وقد أخذه منها استغراقها فى الاصغاء ، ومظهرها الدال على الطهر والسذاجة .. ثم صحبها الى دارها ، وهو يحدثها عن شتى ألوان الفنون . وقد سجلت هذا الحديث بقولها : **((كان يبدو متساميا ، وكثيرا ما كان يتوقف عن الحديث ، فاذا تكلم جاء كل قوله فريدا ، عجيبا ، حتى لقد نسيت اننا كنا فى الطريق ! .. ولقد دهشت اسرتى اذ رأته يلج الدار بصحبتى . وما ان فرغنا من العشاء ، حتى نهض الى المعزف — من تلقاء نفسه — ولعب طويلا ، وباعجاز .. كانت عبقريته تتفاعل مع كبريائه !))**

وكانت موهبة فذة — ولا شك — تلك التى كانت تجعل العباقرة يطمئنون الى فتاة فى مثل هذه السن المبكرة ، ويعجبون

بها ، ويودعونها ثقتهم .. ولقد بلغ من هذه الثقة انها قامت ـ وهى الصغيرة المغمورة ـ بدور الرســـول بين « جيته » و « بيتهوفن » !

وتبادل بيتهوفن الرسائل مع « بتينا » ، كما كان شأنها مع « جيته » .. وكانت رسائله قوية ، رائعة . فقد كتب لها مرة يقول ، وهو فى احدى نوبات عشقه للفن : « من لى بمن يفهم الفن على حقيقته ؟ .. ومن لى بمن اتحدث اليه عن هذا المقدس العظيم ! .. اواه يا صغـيرتى العزيزة ! .. اننا نشترك معا فى رأى واحد وعقيدة واحدة ، وان وجهات نظرنا لتلتقى فى جميع الأمـور ! »

ولكن لكل شىء نهاية .. فقد تزوجت «بتينا» فى سنة ١٨١١ ومع ان علاقاتهـا بجيته قد فترت ، الا انها لم تنفصم ، وانما تحولت الى نوع من الصداقة المحوطة بذكريات قدسية !..

وقد راق لجيته يوما ان يقارنها بأسباسيا التى كانت تلقن سقراط الحب ، فقال لها : « انك لا تنطقين بكلمة متزنة واحدة ، ولكن جنونك يتضمن دروسا فى الحكمة تفوق تلك الدروس التى كانت المرأة الاغريقية تلقيها على سقراط » !

وما أرى بعد هذه العبارة الرائعة الأخاذة ، مجالا لزيادة !

أفلام الصين .. فى مصر

.. وبعد هذه الجولة المنوعة بين الكتب ، تعال ننتقل الى جولة اخرى بين الافلام السينمـائية ، التى هى فى نظرى من انجع واسرع وسائل التثقيف فى عصرنا الحاضر

وجولتنا فى هذه المرة ذات طابع فريد ، جديد على وعليك .. فهى جولة بين اكثر من عشرة من الافلام « الصينية » ، التى عرضت فى القـاهرة فى الاسبوع الماضى اثنـاء مهرجان الفيلم الصينى الـذى نظمته مصلحـة الفنون .. وقد تولت اختيـار

الافلام واحضارها الى مصر بعثة من كواكب السينما والمشتغلين بصناعتها فى الصين ، فى مقدمتهم الفنانة « باى يانج » ، اشهر ممثلات السينما فى تلك البلاد . (وترى مع هذا المقال صورة تمثلها فى أحد مواقف فيلمها الملون الرائع « ضحية العام الجديد » ، الذى افتتح به المهرجان) . **وكم كان جميلا ان نعلم ان النجمة المذكورة كان لها موقف رائع اثناء العدوان الثلاثى على مصر فى الخريف الماضى، فقد قادت مظاهرة شعبية صاخبة توجهت الى دار السفارة البريطانية فى (بكين)، هاتفة على رأس عشرات الألوف من اهالى العاصمة الصينية، ان ((كفوا ايديكم عن مصر !)) .. وهكذا أثبتت الفنانة الكبيرة اهمية الدور الذى يستطيع الفن ان يؤديه فى توثيق عرى الصداقة بين الشعوب.**

وقد ادركت مصر هذه الحقيقة ، فأوفدت الى الصين اخيرا بعثة فنية مماثلة ، برئاسة الاستاذ يحيى حقى مدير مصلحة الفنون ، تشرف — حاليا — على اقامة مهرجان الافلام المصرية فى (بكين) .. كما ستوفد بعد ايام بعثة اخرى ثقافية ، تتألف من السادة : الدكتور السعيد مصطفى السعيد مدير جامعة الاسكندرية ، ممثلا للجامعات المصرية .. والدكتور احمد نجيب هاشم وكيل وزارة التربية والتعليم ، والاستاذ عبد الواحد على والاستاذ عبدالمجيد شديد، ممثلين لوزارة التربية والتعليم .. كما تضم البعثة عضوين يمثلان الفنانين المصريين، هما : الاستاذ محمود محمد الحكيم، استاذ فن العمارة بجامعة الاسكندرية ، والاستاذ سعيد حامد الصدر ، وكيل كلية الفنون الجميلة .. ثم عضوين آخرين يمثلان الادباء المصريين، هما الكاتب القصصى الاستاذ محمود البدوى ، وكاتب هذه السطور ..

وقد كان اول ما لفت نظرى فى مجموعة الافلام الصينية التى شاهدتها لك فى الاسبوع الماضى ، مدى التنوع الذى روعى فى اختيار تلك الافلام : فهذا فيلم ملون يحارب البدع والخرافات

التى كانت شائعة فى الصين القديمة .. وذاك فيلم غنائى موسيقى من نوع «الاوبريت» .. وثالث تجرى وقائعه فى المناطق التى يقطنها مسلمو الصين ، ويدور حول الصراع بين الحب وسيطرة زعماء القبائل الاثرياء .. ورابع تقع احداثه اثناء الحرب الصينية اليابانية .. وخامس يمثل كفاح الصين الحديثة فى سبيل التعمير والبناء .. وسادس يرينا بطولة الفدائيين الصينيين فى معركة نهر يانجتسى . . الخ . **واذا كان لهذا التنوع من مغزى او دلالة ، فهذا المغزى هو ان المهرجان المذكور انما كان اشبه ب ((دراسة)) منهجية قدمتها لنا بعثة السينما الصينية .. دراسة تثبت ان السينما عندهم ليست مجرد اداة للتسلية وقتل الوقت ، وانما هى اداة ثقافة وتعبير .. ثقافة تنمى مدارك جماهير المتفرجين .. وتعبير عن المستوى الحضارى لشعب الصين العظيم**

ونحن فى مصر ينبغى ان نرحب ترحيبا كبيرا بفتح باب العرض للفيلم الصينى فى بلادنا ، اذ فى وسعنا ان نجنى من ذلك فائدة مزدوجة : فائدة فنية نكتسبها من دراسة اساليبهم المتقدمة فى هذا المضمار ، والاستفادة من عراقتهم فى الفنون جميعا بصفة عامة .. ثم فائدة تجارية نجنيها من فتح الباب — بالمثل — أمام عرض الفيلم المصرى فى الصين ، **وهو مجال حيوى رائع تستطيع صناعة السينما المصرية أن تغنم منه الكثير ، لو تخلت عن كبريائها وتعنتها ، وأحسنت انتهاز الفرصة لغزو هذه السوق الجديدة الفسيحة بأفلام جيدة ، مصحوبة بالترجمة الصينية على نفس الشريط .. وبأية شروط!**

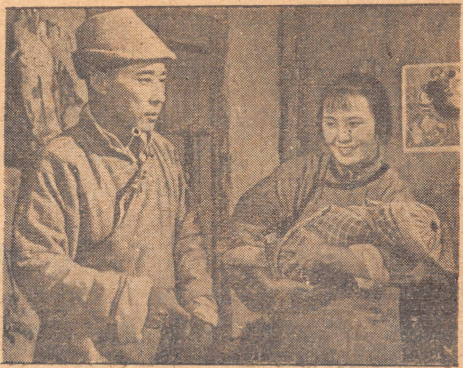
ويكفى دلالة على امكان فتح أسواق جديدة لأفلام دولة من الدول ، ان نذكر مثلا لايزال عالقا بالاذهان : فالى ما قبل عشر سنوات فقط ، لم يكن قد عرض فى مصر — على ما اذكر — فيلم ايطالي واحد .. وفجأة تنبهت ايطاليا بعد الحرب الاخيرة الى السوق المصرية ، فغمرتها بالافلام الايطالية المترجمة الى العربية ،

وسرعان ما اقبل عليها الجمهور المصرى اقبالا هدد بالخطر سوق الافلام الامريكية ذاتها ، رغم رسوخ قدمها فى بلادنا منذ ظهور فن السينما الى الوجود !

وما حدث بالنسبة للافلام الايطالية ، تكرر بالنسبة للافلام الروسية .. وها هو يبدأ بالنسبة للافلام الصينية ، التى أتنبأ لها برواج قريب فى مصر ، **لاسيما وان مابين البلدين «الشرقيين» من روابط التقاليد الاجتماعية القديمة ، والابتلاء بالاستعمار فى الماضى ، والصداقة بين الشعبين العريقين فى الحاضر ، كفيل بمضاعفة هذا الرواج بالنسبة للفيلم الصينى فى اقرب وقت .. فمتى نتعلم نحن من هذه الأمثلة ، ونفتح امام افلامنا آفاقا جديدة ، وننشر ثقافتنا وفنونها ــ المتواضعة ــ على العالمين .. ولو فى الدول الصديقة التى تفتح لنا صدرها ، على الأقل ؟!**

ولن يتسع لى المجال هنا للتحدث عن جميع الأفلام الصينية التى عرضت فى مهرجان الاسبوع الماضى ، (الذى أتيح لى الوقوف على بعض النواحى الفنية المتعلقة به من الزميل الاستاذ محمد الهوارى ، الباحث بقسم البحوث السينمائية بمصلحة الفنون) .. لذلك اكتفى هنا بالتعليق السريع على ما يتسع له المقام من هذه الأفلام ، من ناحية القصة والموضوع ، على الأقل :

ضحية العام الجديد : وهو الفيلم الذى افتتح به المهرجان ، وينصب موضوعه على محاربة الخرافة الصينية القديمة التى كانت تزعم ان الارملة التى تتزوج للمرة الثانية تجلب النحس على نفسها وعلى كل من يتصل بها ! . فبطلة الفيلم ــ «هيسيانج لين» ــ ارملة تعيش فى قرية جبلية منعزلة ، وتقتات هى وحماتها من جمع الاخشاب والنباتات البرية . وذات مساء يتسلل الى البيت قريب للاسرة ليتآمر مع الحماة على تزوج الارملة ، برغم التقاليد والخرافة ، فى مقابل مهر مغر ! غير ان المرأة تفطن للمؤامرة ، فتفر من البيت تحت جنح الظلام .. لكن قريب الاسرة يلحق بها ويختطفها الى منزل الزوج الجديد .



الارملة (وتمثل دورها النجمة القديرة «باى يانج»)، مع زوجها الثانى، وطفلهما

ويفلح هذا، بدماثة خلقه ، فى التغلب على نفورها ، واستمالة قلبها شيئا فشيئا .. فتستكين للحياة معه ، وتنجب له الطفل «آماه» .. لكن الزوج لايلبث ان يصاب بمرض يقعده عن العمل ، فتتراكم عليه الديون ، حتى تصرعه مشادة حامية مع دائن متحجر القلب .. وفى اثناء المشادة تخرج الأم طفلها الى الحديقة، رحمة باعصابه ، ثم تعود بعد حين فلا تقف له على اثر ! .. **وتنطلق فى الغابة تبحث عنه كالمجنونة، صارخة مع نواح الرياح التى تردد صدى صيحاتها : ((آماه ! .. آماه !)) .. حتى تشل الصيحة فى حلقها وهى تحملق الى فردة حذاء طفلها الاحمر ، تحت شجرة ، ملطخة بالدم ! .. لقد التهم الذئب وحيدها !**

وهكذا تفقد زوجها وابنها فى لحظات .. ثم ينتزع الدائنون منها المنزل ! .. فتضيق الدنيا أمامها وتهيم على وجهها باحثة عن عمل ، كخادمة فى البيوت .. لكن فكرة التشاؤم من «نحسها» تلاحقها ، فتطرد من بيت بعد بيت ! .. ويتطير منها مخدومها الأخير حين تلمس بيدها « النجسة » قربان الآلهة فى عيد «الضحية»، ليلة رأس العام الجديد .. فيطردها شر طردة ! وتنطلق شريدة، جائعة، بلا مأوى .. تجتر احزانها وتردد،

فى شبه هذيان : ((**لقد تسببت فى ذلك بحماقتى ! .. كنت أحسب الذئاب لاتهاجم القرى الا عند سقوط الجليد .. مات ((آماه)) فى الربيع .. ولو عاش لكبر مثل باقى الأطفال !))**

وبعد أشهر من التشرد ، والجوع ، والاستجداء ، وقد دهمها الشتاء ، تخور قواها فوق الجليد، تحت وطأة العاصفة .. ولا تلبث ان تطمرها الثلوج !

زواج بنت السماء : اما هذا ففيلم غنائى رائع من نوع «الاوبريت» ، تدور قصته حول اسطورة حب قديمة ، طورها الوعى الجديد .. يبدأ الفيلم وقد اجتمعت فى احد قصور السماء - المعلقة فوق السحاب - بنات ملك السماء السبع ،



ليلهون بمراقبة احوال الناس فى الارض. وتطل صغرى البنات على بقعة من الارض ، فتلمح شابا فقيرا يبكى . . وتعلم من اختها الكبرى انه ينتحب حزنا على موت والده ، وانه حين

عجز عن دفع نفقات دفنـــه اضطر لاقتراضها من سيد ثرى ، نظير العمل فى خدمته ثلاث سنوات ، يدير خلالها الطاحونة !

ويرق قلب ابنة السماء للفتى البائس ، فتهبط من سمائها لتخفف من أساه .. تهبط فى صورة حسناء فاتنة من البشر، تعترض طريقه ، وتتحرش به مداعبة ، ثم تعرض عليه الزواج منها ! .. فيعتذر بفقره .. لكنها مستعدة للعمل معه فى قصر الثرى . . ويقبل تحت الحاحهـا . وفى القصر تراهن الماكرة الثرى على ان تنسج له عشرة اثواب من الحرير فى ليلة واحدة، نظير اطلاق سراحها مع زوجها بعد ثلاثة اشهر ، بدلا من ثلاثة اعوام !.. فاذا فشلت ، ترتفع العقوبة الى ستة اعوام !

ويشفق الزوج من الرهان ، لكنها تطمئنه . . ثم تستنجد بشقيقاتها الست ، فيهبطن اليها من السماء ، ويأخذن جميعا فى نسج الاثواب .. حتى يفرغن منهـا قبيل الفجر ، ثم يعدن من حيث أتين !.. وفى الصباح يتبين الثرى انه خسر الرهان ، فيتميز غيظا.. **لكنه يضطر لتنفيذ الاتفاق. وحين يطلق سراح الزوجين، ينطلقان سعيدين ليبحثا عن عش هانىء يأويا اليه.. ولكن ، فى الطريق ، يظهر للزوجة رسول من ابيها الغاضب ملك السمـاء ، يأمرها بالصعود اليـه فورا وقطع صلتها بزوجها الآدمى ! ..** وعبثا تناقشه التعسة ، وتستعطفـه ، فانه يصم اذنيه ، مهددا بقتل زوجها اذا ماطلت فى الصعود !

ولا تجد المسكينة بدا من الرضوخ ، فتمهد الجو مع زوجها للفراق الأليم، باللف دون المصارحة.. ثم يجىء أوان المصارحة، فيدور بينهما حوار غنائي يقطع نياط القلوب، ينتهي بأن تودعه وهى تهم بالصعود، **واعدة بأن ترعى ابنه الذى يتحرك فى احشائها، حتى تحين ساعة ولادته فتتركه له تحت الشجرة التى شهدت عقد قرانهما تحت ظلالها الوارفة !**

ثم تصعد ابنـة السماء الى مملكة ابيهـا ، دامعة العين .. ويمضى الزوج المتاع يضرب فى الارض على غير هدى.. مفطور الفؤاد!

..والبادئ أظلم!

قصة مصرية بقلم:

الدكتور سعيد عبده



• **كانت** السيدة لطفية زوجة مدكور افنـدى امرأة ريفية من أسرة قديمة ، وكانت معروفة بالعفة والسذاجة والاخلاص والطاعة لزوجها طاعة عمياء .

وكانت على حظ كبير من جمال الجسم وجمال الروح،ومن أجل ذلك عدها زوجها كنزا ، وصرح لها بذلك ، وأخذت هى هذا التصريح ، فتعلقت به ، وأحاطته باطار مذهب من خيالها، ووضعته فى قلبها رمزا للصنم المعبود ، وعنوانا على حبها الذى لا يموت .

وراحت فى ظل هذه الذخيرة المقدسة تؤدى رغبات زوجها المادية والروحية ، بطريقة أشد انتظاما من عقرب الساعة،كأنما هى أوامر من السماء هابطة على قديس !

ولكن هذه الحياة البسيطة المتشابهة أسأمت مدكور افندى، وأذوت فى قلبه العاطفة ، والغيرة ، واللذة التى تهتاجها غريزة الصيد ، وبات برج حبـه بلا حراس ، وبلا موقد للنـار فيه ، فتخرب البرج وتهدم على مرور الزمن، وأصبح مدكور افندى يطمع فى الورد الذى فى يد الناس ، الورد الذى له أشواك !

وتعود أن يسهر خارج الدار الى السـاعة التاسعة أولا ، ثم العاشرة ، ثم الحادية عشرة ، ثم الى منتصف الليـل ، ثم الى ما بعده بساعات !.. وكان يتأنق بادىء الأمر فى الاعتذار للطيفة عن هذا الغياب، تارة بلقاء الرؤساء، وتارة بزيارات الأصدقاء ، ثم لما فرغت الجعبة فى النهاية ، ورأى ان زوجته لاتطالبه حتى بهذا الاعتذار ، لم يعد يعتذر ، ولم يعد يتعب نفسه فى تأليف الأكاذيب !

وصبرت لطفية لهذه المحنة ، واجتهدت بسذاجة المرأة الريفية أن تكافح برود زوجها بالاجتهاد فى اتقان الطعام، والسهر على تدبير المنزل ، والمعيشة على أضيق الحدود والنفقات، لعل رائحة الطعام الجيد ، ومنظر البيت النظيف ، والوفر الناشىء من ضغط النفقات ، ترد لها زوجها الشارد الى الحظيرة . . ولكن زوجها ، مع الأسف الشديد ، لم يعد الا بجسمه ، وفى أواخر الليالى ، وترك قلبه بعيدا جدا عن هذه الشباك !

* * *

ولم يكن للطفية أنيس فى وحدتها الا خادمة شابة جاءت معها من الريف . كانت تسهر معها قليلا فى أول الليل ، ثم يدرك النعاس قلبها الخلى فتنام ، وتترك سيدتها لدموعها الصامتة ورقاها الخرساء ، وشوقها الثائر الى قبلات زوجها المحبوب ، حتى يغلبها الاعياء على سهادها فتنام فى منتصف الليل أو بعده بقليل ، تاركة للخادمة مهمة فتح الباب لزوجها عندما يعود .

وكانت الخادمة لهذا السبب ترقد وراء الباب .



واستيقظت لطفية ذات ليلة على صوت فتح الباب الخارجى للمسكن ثم قفله ، وانتظرت زوجها ان يدخل عليها، ولكن ذهب انتظارها ادراج الرياح ، فظنت الصوت آتيا من باب الجيران ، وعادت الى نومها . . لتصحو بعد قليل على الصوت المزدوج نفسه ، فتح الباب ثم اغلاقه، ثم عودة الزوج تسبقه مظاهرة من الاغانى البذيئة ، ورائحة الخمر المتصاعدة من فمه كأنه حانة

متنقلة فى أرجاء الدار .

ورأت لطفية أن المهزلة نفسها تتكرر فى الليالى التالية : فتح الباب عند منتصف الليل على غير رجعة من الزوج الغائب ، ثم انفتاحه قرابة الفجر وعودة الزوج نشوان !

ولأول مرة رأت نفسها تفكر ، على ضوء الشك والوساوس، فى خادمتها احسان .. فرأت أن الخادمة ليست قبيحة كما كانت تبدو !

وأخذت تنظر باهتمام شديد ، وغيرة أشد ، الى الاشياء التى لم تلحظها من قبل فى احسان : أخذت تنظر الى نهودها الرجراجة البارزة ، والى تقاطيع جسمها البادية تحت أثوابها المبللة أمام طشت الغسيل على أحسن ماتكون مقاطع الاجسام ..

ثم الى شعرها الأثيث الفاحم ..

ووجهها النحاسي الذى أخذ يستدير وينضر وتزول عنه فى ظل الحضارة المدنية سمرة الريف مع مضى الأيام .

ولاحظت أن الخادمة قد اخذت تستحم كل يوم ، وتصفف شعرها ، وتختار ما تلبس وتعلق فى شحمتى اذنيها ألوانا من الأقراط .. وضبطت عندها ذات يوم فى المطبخ مرآة !

وكانت لطفية عاقلة : فخشيت ان هى صارحت احسان بسخطها وغضبها ان ينتصر لها مدكور افندى ، فتكون الطامة الكبرى، وزواج السيد من الخادمة، بحجة أنها عاقر وأنه يريد الذرية والبنين !

والشكوى الى الزوج معناها الوصول الى سوق التعاسة من طريق قصير !

فكتمت غيظها ، وتركت للأيام أن تحل لها هذا المشكل المعقد، واكتفت بارهاق الخادمة، لعلها تسأم من نفسها فتفارق الدار .

ولكن أحسان أدت أعمالها المضاعفة بنشاط جديد ، فلم تسأم ولم تفارق الدار !

وباتت عودة الزوج الأولى تبكر من ساعة الى ساعة،وعودته الثانية تتأخر وتتأخر.. حتى اتفقت فى كثير من الليالى وصياح الديك !

وبدا أن مدكور افندى قد عرف فى النهاية أن له بيتا ، لكنه وا أسفاه أصبح يخطىء اكثر من ذى قبل طريقه الى الفراش!.. **أصبح نهاره للعمل ، وليله للخادمة ، وبكوره للنوم فى أحضانها هى كالجثة ، أو كالجيفة ، وباتت هى كالفرس العجوز الجائعة، ان آذتها المسغبة مرة، آذاها - مرات - النظر الى جياد السباق المدللة ، عائفة من التخمة أقداح الشعير !**

وبدت لها الخادمة كأنهـا عروس موفقـة فى ليلة الزفاف ، نظراتها تنطق بالرضا والسعادة ، وأغانيها فى المطبخ يزخر فيها المرح والهناء .

وكان حمل الغـيرة يضاعف وقره على منكبهـا أن غريمتها خادمة .. فلو انها كانت امرأة من مستواها لكان وقع المصيبة أخف مما هو الآن !

وخادمة لها بالذات !

وأخذت تقف أمام المرآة ، وتعرض جمال جسمهـا ووجهها فى مختلف الاوضاع .. ثم تبكى .. تبكى من قلب مفطور،لأنها ترى نفسها اجمل من الخادمة بكثير ، ومعذلك فجمالها أرخص من جمال الخادمة فى السوق !.. ثم تبكى لأنها عاجزة تماما ، وقد عرفت غريمتها أن تسدد اليها السهام ، وتحت تأثير القهر والذل ، كانت تقذف المرآة بأول شىء يصادفهـا ثم تندفع الى سريرها تنشج نشيج الأطفال !

* * *

وثقلت عليها الحياة ،واعتزمت ان تتخلص من عذابها فتشعل فى جسدها النار .

لكنها اعتزمت قبل ان تفارق الدنيا ان تعتب على زوجها عتابا عمليا لا ينساه .



وفى الليلة التى اختارتها للانتحار ارادت احسان أن تنام كعادتها وراء الباب ، فمنعتها سيدتها ، وامرتها بمنتهى القوة والشجاعة ان تنام فى السندرة التى تعلو سقف المطبخ. وكانت تتوقع أن تثور عليها الخادمة ، فتكشف عن خبيئة غرامها ، ولكن الخادمة لم تثر ، وقابلت امر سيدتها بجزع ، وبدت فى عينيها نظرة الحمامة فى شرك الصياد !

وذهبت الى السندرة برأس منكس ، وبغير احتجاج أو استفسار. وأقفلت عليها لطفية باب المطبخ بالمفتاح، ثم ذهبت الى ما وراء باب البيت الخارجى فأطفأت النور ، ورقدت حيث كانت ترقد احسان ! .. وتركت للسجادة أن تعانق اكتافها العارية التى ظهرت من قميص النوم كغلائل النسرين .

وظلت فى مرقدها فريسة للشكوك والشجون واليأس المرير. وكانت تسمع دقات ساعة الحائط ، ويخيل اليها أن كل ربع ساعة يمر تنصرم فيه عدة دهور .

وأخيرا دقت الساعة العاشرة .

وخفق قلب لطفية اذ سمعت وطء أقدام على السلم ، كأنه راقص يلف حول نفسه بجنون على ألحان النغم الأخير . .

ولكن الاقدام انصرفت عن بابها الى مسكن من مساكن الجيران. وسمعت باب الجار يفتح ويغلق ثم يعود السكون ، فأشرق فى قلبها شعاع من الأمل أن يكون هذا الصوت هو الصوت الذى كانت تسمعه كل ليلة وتظنه صوت أقدام زوجها المظلوم..

ولكن شكها ويأسها وفجيعتها لم تكد كلها تنتعش فى نسمات

هذا الأمل البليل حتى سمعت قرعا خفيفا على الباب لم يسبقه وطء أقدام .. فقامت الى الباب تجر أقدامها جرا ، وروحها تثب من صدرها وثبة الذعر والجنون ...

لقد جاءت النهاية ..

لقد آن لشكوكها أن تستقر مهشمة كالجثة الهامدة على صخرة اليقين .

ولم تكد تفتح الباب حتى احتوتها ذراعان من حديد .. وأطبقت على شفاهها شفاه ملأى نعومة ودفئا وحياة ! .. بالله !. أية قوة فى هذه السواعد التى أعادت اليها ذكرى أحضان زوجها السالى فى ليلة الزفاف !

وأى فارق هائل بين هذه السواعد الفولاذية وسواعد زوجها التى ترتخى بجانبها أواخر الليالى كالحبال .

ونسيت المسكينة فى غيابة الحلم اللذيذ مؤامرتها مع نفسها، ولم تفق الا على صراخ ضميرها الغارق فى الضعة والهوان .. انها تسد جوع روحها من فتات المائدة الدنسة . انها تتلقى نفاية غرام زوجها بخادمة فتفرح بها فرح اليتيم العارى بلقيا الكساء .

وعادت تحت وطأة الضعة التى طافت بدمها مع اللذة التعسة عادت الى نفسها ويأسها وحقدها على الزوج والخادم والحياة! .. فاستوت على قدميها فجأة ، وأوقدت النور ، ووقفت أمام الشبح الماثل أمامها كتمثال .

ان الشخص الذى رأته لطفية أمامها مغمورا فى الضوء الساطع .. الشخص الذى سعدت بأحضانه وقبلاته .. ان هذا الشخص لم يكن مدكور افندى ولكنه كان رجلا آخر .. رجلا غير مخمور

كان بائع اللبن الفلاح ! !

* * *

ولم تشعل لطفية في جسمها بعد ذلك النار .. وانما طردت

الخادمة احسان فى اليوم التالى ، وبلا شفقة ولا رحمة .

وظلت طول الليل تفكر شبه حالمة فى الأذرع القوية، والشفاه الحارة ، وبائع اللبن ، وتعد فى انتظار الليل المقبل دقات الساعة المعلقة على الجدار !

والعفة تكون أحيانا عفة اضطرار ، لأنها لا تتهيأ لها ظروف السقوط .

وعلى كل حال فقد ظل البائع الفلاح ـ بعد طرد الخادمة احسان ـ هو مورد اللبن الوحيد للمنزل كما كان !

الخالدون



عظماء .. في غير السياسة

عزيزى القارىء :

فى الاعداد السابقة قدمت لك فى هذا الباب قصص حياة :

« لويس باستير » .. و « اميل زولا » .. و « ماركونى » .. و « تشايكوفسكى » .. « فمصطفى كمال » .. ثم « شوبان » .. و « جى دى موباسان » .. و « مختار » و « تشارلس ديكنز » و « بيتهوفن » و « موسلينى » و « شيللى » .. و « بلزاك » و « بودلير » و « دستويفسكى » و « جيته » و « موليير » و « كونفوشيوس » و « الكسندر ديماس » و « ميكيل ثم و « ارسطو » و « اينشتين » . وغير هؤلاء من الخالدين فى السياسة ، والطب ، والادب ، والاختراع ، والموسيقى .. والفنون الخ

وكنت قد وعدتك فى العدد (٥٣) من كتابى بأن أقدم لك حياة **« فولتير »** ، وها أنا ذا أفى بوعدى **فأقدم لك حياته بقلم اثنين من أشهر المؤرخين :**


VOLTAIRE
BY
DANA & LEE
THOMAS
ڤولتير
الفيلسوف الدميم الذى تهافتت
عليه نساء فرنسا !
للمؤرخين العالميين : دانا ولى توماس

الفيلسوف الذى سخر من المجتمع فأحبه المجتمع

◆ لم تشهد فرنسا فى اى عهد من عهود ازدهارها ، شخصية كشخصية « فولتير » .. كان مزيجا من المتناقضات التى لم تتوفر فى اى كاتب أو فيلسوف سواه .. وكان فكه الاسلوب ، ضاحك المقال ، ولكنه فى فكاهته وضحكه أقوى من اى كاتب جاد .. وكان ناقدا لاذع السخرية لم يعف الكنيسة ، ولا نظام الحكم ولا المجتمع - فى عصره - من مرارة سخريته .. ومع ذلك فقد كان يعرف الله حق المعرفة ، ويرضى عن الملكية حتى انه قبل ان يعيش فى كنف ملك بروسيا ، ويحظى باعجاب نساء المجتمع الذى كان يسوطه بلا رحمة !

هذا هو « فولتير » .. الفيلسوف الذى وعدك « كتابى » - فى العدد ٥٣ - بان يقدمه اليك ، وها هو ذا يبر بوعده :

ولد نصف ميت وعاش ٨٤ سـنة !

◆ **اجتمع** الأطباء يتشاورون فى أمر ذلك الوليد الغريب .. وطال بينهم نقاش حول الوسيلة التى يحفظون بها حياته عليه، فقد ولد نصف ميت !.. ولم يكن أحدهم يطمع ان يبقى عليه الحياة سنين أو شهورا ، وانما كان غرضهم الأول ، ان يستبقوه حيا اكبر عدد ممكن من الايام. بيد ان نقاشهم انتهى الى قرار اجمعوا عليه : لن يعيش الوليد اكثر من أيام اربعة !

ولكن الوليد سخر منهم جميعا ، فعاش اربعة وثمانين عاما! .. بل الحق انه لم يسخر منهم وحدهم ،وانما سخر من الناس اجمعين ، ومن الدنيا بأسرها ، خلال هذا العمر الطويل .. **فقد صبغت السخرية حيـاته كلها ، حتى انه - حين اشرف على الموت - فطن الى القس الذى جىء به اليـه ليتلقى اعترافه الأخيرة ، فلم يكن منه الا ان غالب سكرات الموت ليسأل القس**

فى صوت متحشرج : ((من الذى اوفدك ياسيدى الأب ؟)) . فقال القس : ((الله هو الذى اوفدنى اليك !)) . وهنا قال فولتير : ((حسن ياسيدى .. ولكن ، أين اوراق اعتمادك ؟!))

وما فتىء فولتير ـ طيلة حياته ـ يلذع العالم بسوط لسانه وقسوة ضحكاته ، اذ ضاق بما انغمس فيه الناس من نفاق وتظاهر ، وآلى على نفسه ان يهتك الستر الزائفة التى كانت تحيط بالنظم السياسية والاجتماعية فى عهده ، وجهد فى ان يكشف الحقيقة ، رغم مرارتها ، وهو يقول : « انما أضحك لكى أقى نفسى من الجنون » !

يكره التعصب .. الا ازاء اليهود !

• **واذا** كان لأحد أن يعجب ، فلن يكون العجب الا من أمر نساء فرنسا مع « فولتير »!.. اذ انه سلبهن عقولهن وأحلامهن ، حتى لقد كان أحب رجال عصره اليهن ، وكن يتخذنه مثالا للرجل الذى يهفو اليه قلب الأنثى !.. وهنا موطن العجب ، فقد كان فولتير رجلا نحيفا ، يوشك لنحافته أن يكون خطا مرسوما ، ذا أنف طويل ، وعينين ضيقتين ، يحمل هذه القسمات على أقبح وجه وجد فى باريس . هكذا كان معبود نساء فرنسا .. وما أعجب أمر النساء !

ولد فى تناقض ليشق سبيله فى حياة كلها متناقضات .. كان يحتقر الجنس الانسانى ، ولكنه ـ مع ذلك ـ كان ولوعا بالعيش فى صحبة الناس .. وكان يسخر من الكنيسة ، ثم اذا به يهدى أحد كتبه للبابا .. وكان يتندر على الملكية ، ولكنه قبل العيش ـ رغم ذلك ـ فى كنف الملك فردريك الأكبر .. وكان يكره التعصب ، فى حين انه كان أشد الناس تعصبا ضد اليهود .. وكان يهاجم أصحاب الثروات فيشتط فى هجومه عليهم ، فلم يردعه ذلك عن ان يحصل ثروة كبيرة بوسائل لم يتقيد فيها بالشرف .. وكان ملحدا ، الا انه ظل طول حياته

متخبطا عند أعتاب الله يحاول البحث عنه !

هكذا كان ، فى غير مبالغة أو تجن .. كان متسامحا ، حتى اذا غضب اجتمع فى قلبه غدر النمر وقسوته ، ثم لايلبث - بعد ان تذهب عنه سورة الغضب - ان ينقلب وادعا كالحمامة، يكلف نفسه ما يحتمل وفوق ما يحتمل فى سبيل النصرة لمظلوم !.. تناقض مستمر فى حياته ، وفى آرائه ، وفى شكله.. بل حتى فى أهله !.. فلقد كان أبوه من اتباع «اليانسية»، وهى طائفة متناقضة فى معتقداتها ، تجمع بين البروتستانتية والكاثوليكية ، وتدعو الى التحرر من صرامة العقائد الكنسية ، وان يكون الانسان هو الحاكم على مشروعية تصرفاته.. ولكنها - فى الوقت ذاته - تحذو حذو « البيوريتان » فى انجلترا ، اذ يحتقرون اللذات الدنيوية ، ويدعون الى الايمان بوجود عالم آخر !

الادب .. طريق الى الموت جوعا

• **ذلك** كان المحيط الذى نشأ فيه « فرانسوا مارى آروى » .. وهو اسمه الحقيقى، اذ لم يكن « فولتير » سوى اسم منتحل، استعاره ليضعه على مؤلفاته. وقد ماتت أمه وهو لم يزل طفلا، فنشأ مع أبيه وحيدا . . وكان من الطبيعى ان يعتنق عقيدة «اليانسية»، كأبيه ، ولكن.. هل كان لنفسه المتمردة أن ترضى بالأمر الطبيعى أو تشب عليه ؟ .. الواقع انه نشأ كارها لتلك العقيدة حاقدا عليها ، على غير ما كان متوقعا .. ولكنه - فى الوقت ذاته - كان ثائرا من اجلها !.. فقد كان يكره الاضطهاد المتعصب الذى لاقته العقيدة من أعدائها.. **وتلك طبيعة بنفسه: أن يكره الاضطهاد والتعصب حيثما وجدا ، فلا مانع عنده من أن يكره المرء عقيدة ما ويحتقرها ، اما ان يخرج الأمر الى حد الاضطهاد والايذاء فهذا شىء آخر !**

- وكان فولتير فى الخامسة عشرة من عمره عندما أمر لويس

الرابع عشر بتدمير معهد اليانسيين فى (بور رويال) ، وأطلق المحاريث تزيل ما تبقى من قبور موتاهم . **فكان ذلك مما اثار فى نفسه الحقد على الملوك جميعا ، فقد كان ـ رغم كراهيته لليانسيين ـ يكره ايضا الخاطئين الذين يسيئون اليهم**

ولقد كانت أمنية أبيه أن يشب محاميا مثله ، فكان لا يفتأ يسخف له أحلامه فى الكتابة والأدب ، قائلا : « لست أرى للاشتغال بالأدب اية قيمة الا أنه يقود أهله الى الموت جوعا » . .. ومن ثم فقد أرسله الى « مدرسة الحقوق » بمجرد تخرجه فى كلية لويس الاكبر الجزويتية ، وهو فى السادسة عشرة من عمره

الشيطان يجرى فى عروقه !

ولكن دراسة القانون ما كانت لتستقيم له وهو الذى لم يمل اليها . فكان لذلك طالبا فاشلا ، سرعان ما انصرف الى الاشتغال بقرض الشعر والمقامرة ، والحب !.. وتغلبت عليه طبيعته الجامحة فلم يستطع لها كبحا . ولعل أحسن وصف له ، هو ذلك الذى نعته به « سانت بوف » اذ قال : **« ان الشيطان يجرى فى دم فولتير » !**



وقد كان يقف مرة ، أثناء التجارب التى كانت تجرى لأداء مسرحيته «ميروب» ، فلم يكف عن مطالبة الممثلة الأولى بزيادة سرعة حركاتها ، حتى اذا ضاقت بمطلبه العسير ، قالت : « لكى امثل كما تريد ، يجب ان يحل الشيطان فى جسدى ! » . فقال على الفور : **« هذا عين ما أريد .. فلكى تنجحى فى أى فن من**

الفنون ، يجب ان يحل الشيطان فى جسدك ! ») وكأنما كان الشيطان عنده مرداف للفن !

واذ يئس ابوه من تعليمه ، اوجد له عملا فى خدمة « المركيز دى سان أنج » .. ذلك السياسى المحنك ، الذى كان يعرف من أسرار القصر والملك ـ الخاصة منها والعامة ـ ألشىء الكثير، مما كان يتخذه مادة للتفاخر فى احاديثه . فحرص فولتير على ان يدون كل ماكان يسمعه منه ، حتى تجمع لديه من المواد ما كان أساسا لكتابه التاريخى عن « لويس الرابع عشر »

وكثيرا ما كان المركيز يوجه النصح الى فولتير ، ان يتبع خطاه ليرى كيف يشق طريقه بين طموح رجال القصر الذين كانت الغيرة تحرق صدورهم . **وقد آلى على نفسه ان يحمى فولتير من كل المضايقات الخارجية، ولكنه لم يستطع ـ ولا كان أحد ليستطيع ـ أن يحميه من شىء واحد..من لسانه الحاد!!**

وفى تلك الأثناء ـ وفى سنة ١٧١٥ بالتحديد ـ مات لويس الرابع عشر ، فأصبح خلفه « فيليب » هدفا للسخرية والهزؤ اللذين طال كبتهما فى عهد لويس الرابع عشر . وأراد فولتير أن يسبح مع الناس فى تيارهم ، فنظم قصيدة يهجو بها الملك الجديد ، فكان جزاؤه ان استضيف احد عشر شهرا فى سجن الباستيل !

أول انتاج له .. فى السجن !

• **لكنه** كان سجنا يتمناه الناس جميعا ، اذ تفجرت فيه عبقرية فولتير . فقد امسك بالقلم ـ لأول مرة ـ بين جدران السجن السميكة ، فخط اسمه المستعار « **فولتير** » على أول أعماله الأدبية .. وكان المؤلف مجموعة من الأشعار القصصية حول الملك هنرى دى نافار !..ويبدو ان « العقوبات » كان لها أثر ابداعى فى نفس فولتير ، اذ ما كاد يخرج من السجن حتى أبعدوه عن باريس ، وهناك.. بعيدا عن مدينته المفضلة ، وقد

برح به الشوق اليها ، عاد الى القلم من جديد ، ولم يدعه الا وقد انتج مسرحية « أوديب » !

واذا كان للعقوبة اثر ابداعى ، فقد كان لهذا الاثر الابداعى بالذات ، تأثيره – هو الآخر – فى العقوبة ! .. اذ لم يلبث «فيليب» ان عفا عنه ، بل انه قلده وساما ، اعترافا بمهارته فى التأليف المسرحى . فأزجى فولتير اليه الشكر ، راجيا منه ألا يهتم – بعد ذلك – بأمر مسكنه ، فقد أصبح يفضل بيته – رغم ماكان فيه من « عدم الراحة » – على « الباستيل » وما لاقاه فيه من « الراحة وحسن الضيافة » !!

وأتبع « أوديب » بعدد من « التراجيديات » الناجحة ، درت عليه ثروة انتزعها بمثل مهارة اللصوص وحظهم . وتتابعت المسرحيات ، فزاد بها نجاحا ، ونمت ثروته . وفجأة .. وجد نفسه فى الباستيل من جديد !

فقد كان فى دار الأوبرا ذات مساء ، يحتفى بثلة من ضيوفه ، عندما قام رجل أرستقراطى فوجه اليه الحديث متعمدا اهانته : « آروى .. فولتير .. ما اسمك الحقيقى ؟ » . وكان المتكلم هو « الشيفاليه دى روهان » .. رجل كان يحمل اسما من أنبل الأسماء فى فرنسا ، رغم أنه لم يفعل – من ناحيته – أى شىء يظهر به استحقاقه للاسم . فتطلع فولتير اليه برهة ، ثم أعرض عنه ملتفتا الى أصحابه ، دون أن يكلف نفسه مشقة اجابته .

ولكن « روهان » لم يكن بالرجل الذى يعامل بمثل هذا الاهمال فلم يلبث ان صاح فيه : « هل سمعت ما سألتك ؟ .. اننى أريد معرفة اسمك ! » . وفى هذه المرة أجابه فولتير معرضا به : « ليس اسمى – أيها السيد – بالاسم الشهير ، ولكنى فعلت – على الأقل – ما أشرف به هذا الاسم ! » . وكانت عبارة قوية ، أبلغ من اقسى الصفعات ، فتضرج وجه « الشيفاليه » ، وانصرف !

يصف شكسبير بأنه همجي !

• **ولم** تحل الليلة التالية ، حتى تعرض فولتير لهجوم قام به رجال « روهان » ، محاولين الاعتداء عليه . وكان رد « فولتير » ان « تجرأ ! » فدعا الشيفاليه روهان الى المبارزة. ولكن « الشيفالييه » خاف ان يكون سيف الكاتب فى مثل حدة لسانه ، فهرع الى حماية مدير البوليس ، الذى كان ابن عم له .. فما كان من هذا الا أن ألقى القبض على فولتير ورمى به فى سجن الباستيل من جديد بتهمة « التعريض ، والسلوك الخارج عن النظام » !!

وقدر لفولتير ان يغادر سجنه فى سنة ١٧٢٦ . ولكنه لم يستنسغ الحرية فى ظل نظام كذاك الذى سمح بأن يسجن دون جريرة سوى انه دافع عن كرامته .. اذ ان هذه التجربة جعلته يكره (باريس) بألقابها ومؤامرتها ، بل انها حملته على أن يكره فرنسا بأسرها ، فهجرها الى انجلترا

واستقبله فى انجلترا منظر عجيب .. فقد تصادف ان بلغها يوم عيد ميلاد الملك ، فرأى السفن تسير — فى نهر التيمز — فى استعراض خلاب ، بهر فولتير ، وجعله يشعر بأنه فى جزيرة حرة عائمة فوق قارة مستعبدة ! ووجد ذهنه راحة فيما أحيط به من جو جديد فى انجلترا ، فسرعان ما تعلم الانجليزية بسهولة ، وهضم آدابها جميعا فيما لا يزيد عن سنة .. الا شكسبير !.. ذلك لأنه لم يكن بوسع الفلاسفة الفرنسيين أن يفهموا العقلية الانجليزية فى أحسن صورها ، — كما تمثلت فى مؤلفات شكسبير — بمثل ما كان الفلاسفة الانجليز عاجزين عن تفهم العقلية الفرنسية فى أحسن صورها ، فكان ذلك سوء فهم متبادل !.. ومن هنا فقد قال « فولتير » عن « شكسبير » أنه رجل « همجي » !.. ولقد ظلت هذه الاهانة عالقة بالعقلية الانجليزية قرنا كاملا من الزمان ، حتى ردها « كارليل » الى

الفرنسيين ، حين تعرض لذكر فولتير فوصفه بأنه « رجل مجنون » !

فولتير والحياة فى انجلترا

• لكن فولتير لم يفقد اعجابه المتزايد بالحياة فى انجلترا ، وأن عجز عن استساغة أدب شكسبير ! .. فلقد اعجبه فى الشعب الانجليزى تحرره فى التفكير ، وشجاعته فى التعبير عن الرأى ، اذ كانت هاتان هما أبعد الميزات عن العقلية الفرنسية التى أذلها الطغيان ! .. وقد كتب يوما لصديق له باريسى ، فقال : « فى هذه البلاد ــ انجلترا ــ يستطيع الانسان أن يفكر فى حرية دون ما خوف من أن يستذل . ولو كان لى أن أتبع ميولى لبقيت هنا ، ولو لكى أتعلم .. كيف أفكر » !

والحقيقة انه تأثر حقا بالعقلية الانجليزية ، وشرع يفكر على غرارها . فاطلع على قوانين العلوم الطبيعية ليتخذ منها سندا لتأملاته الفلسفية ، وحاول بكتاباته أن يصلح من شأن النظم الفرنسية ، بعد ان تطور عقله الى درجة النضج !

ولقد انعكس أثر زيارته لانجلترا فى مجموعة خطاباته عن الانجليز ، تلك الخطابات التى حاول فيها أن يقارن بين الحرية الانجليزية والعبودية الفرنسية . لكنه لم يفصح عن قصده فى صراحة واضحة ، وانما بث أفكاره خلال أسلوب فكاهى مرح ، دون أن يشير جهرا الى ما كان يراه من مساوىء نظام الحكم الفرنسى ، ومحاسن النظام الانجليزى ، لا سيما ما لاحظه من أن الملك ــ فى انجلترا ــ كان مطلق الحرية فى اتيان الخير ، لكنه كان مغلول اليدين عن تعريض شعبه للشر . واعجب كثيرا بنظام الضرائب هناك ، وعدالة تصاعد فئاتها تبعا لمستوى الدخل الفردى ، الأمر الذى أتاح للفلاح الانجليزى عيشا أهنأ وأرغد مما حظي به زميله الفرنسى البائس

بين الاعجاب والنقد !

• **على** ان فولتير لم يكن متهالكا فى اعجابه بالمجتمع الانجليزى بل انه لم يعفه من النقد .. وكان فى نقده ـ كما كان فى اعجابه ـ مقسطا ، مفكرا .. فهو لم يتحامل ، وانما كان يتخذ من النقد طريقا للدرس والتفكير

ولقد شاقه كثيرا ـ حالما وصل الى انجلترا ـ أن يتصل بأحد من افراد تلك الطائفة الدينية الغريبة ، التى شاعت تعاليمها فى انجلترا واخذت تتجاوزها ، حتى وصلت شهرتها الى سمعه وهو بعد فى فرنسا ، فأثار ما سمعه من امرها ريبا وشكوكا فى نفسه ، مما حفزه على ان يسعى للتحقق من رسالتها .. وما كان احلاها من فرصة ان وجد نفسه على ارض الانجليز ، موطن تلك الطائفة الغريبة .. طائفة « الكويكرز »!.

وكان ان كتب فولتير عن هذه الطائفة رسالة من ابدع ماكتب من الرسائل حلاوة أسلوب ، ودقة عبارة ، وعمق تفكير ، وغمز ولمز .. مما تطرب له نفس القارىء !.. فهو يقول فى مقدمتها: « رابنى من هذه الطائفة معتقداتها وتاريخها ، فانتهزتها فرصة لأتصل بواحد من اشهر رجالها فى انجلترا .. رجل قضى فى الاشتغال بالتجارة ثلاثين عاما ، ثم اذا به يعتقد هذه العقيدة ، فيعتزل الحياة الى مكان قصى منعزل

« ذهبت اليه فى « معقله » هذا فاذا به بيت صغير ، ان كان فيه شىء يزينه ، فانما هذا الشىء هو نظافته الواضحة .. وكان الرجل ذا هيئة نبيلة ، يلبس رداء « الكويكرز » المعتاد قميص فضفاض ، لا يحوى من « الازرار » شىء ، وقبعة ذات حافة مستديرة واسعة ، تنحنى أطرافها على وجهه . **واستقبلنى الرجل دون ان يخلع قبعته ، او ينحنى محييا ، فى تكلف . كما هى العادة عندنا فى فرنسا !.. وما ان عرف اننى جئت أتعرف على عقيدته ، حتى قال : ان الفرنسيين أمثالك ليعقدون**

الأمور بما يقدمون من انواع التحيات المربكة .. فدع عنك التكلف ، وتفضل فتناول الطعام معى ، ولنتحدث ! »

ولكنى لم استطع قط ان اكف — طيلة الوقت — عن « التحيات المربكة » .. فلما انتهى الطعام ، سألته عن الطريقة التى يؤدى بها « الكويكرز » بعض الطقوس الدينية ، فقال : « لا . . ليس عندنا شىء من ذلك ، انما تقوم الصلة بين بعضنا والبعض ، وبيننا وبين الله على أساس من الايمان القلبى والاخلاص فقط ! »

واستطرد الرجل يشرح لى جوهر عقيدته قائلا : « انكم تظنون اننا نحتقر الناس ، ولكننا — فى الحقيقة — لا نفرق بين انسان وآخر . . فنحن لا نخاطب الفرد بصيغة التفخيم قائلين : « انتم » ، وانما نقول : « أنت » ، مهما يكن شأن ذلك الفرد عظيما . . ولا ريب انك تعرف أن المسيح لم يكن يخاطب أحدا بصيغة الجمع ، ولكن الناس — من بعده — استذلت نفوسهم ، فاخترعوا من الالقاب عجائب . . فاذا بهذه الالقاب تنزع عن القلوب احترامها واخلاصها العميق ، ويقلب الامر الى الفاظ جوفاء ظاهرها الاحترام وباطنها الاحتقار . . أفرأيت ؟ انكم أنتم الذين تحتقرون الناس ولسنا نحن ! . . ونحن — كذلك — لا نقسم ابدا ، اذ اننا نحترم فضيلة الصدق ، فيكفى أن يقول الواحد منا « نعم » أو « لا » ، فتكون هذه كافية عن كل قسم . ولو فقد الانسان ثقته بنفسه وبكلمته ، لعجز أكبر قسم عن أن يثبتها له . **تلك هى عقيدتنا .. احترام باطنى لله والناس ، وحب واخلاص .. فنحن مسيحيون حقا ، فلا تكلف ، ولا طغيان لأحد على آخر ، ولا استعباد ، ولا استذلال .. انما اخاء جميل فحسب ! »**

« وفى يوم الاحد التالى اصطحبنى الرجل الى كنيستهم ، فما هالنى الا أن وجدت بها نحو اربعمائة امرأة .. وكان الجميع جالسين فى صمت عميق : النساء محجبات الوجوه ، والرجال

خافضى الرؤوس ، مرتدين قبعاتهم الواسعة .. وانصرم ربع ساعة فى ذلك الصمت ، ثم قام واحد منهم فخلع قبعته ، وكح وتململ ، ثم نطق فى خشوع مصطنع ، فأخرج نصف الكلمات من فمه ونصفها من أنفه .. وقال بضع مواعظ ظن - أو خيل اليه - انها من الانجيل وما هى منه فى شىء !!.. وما ان انتهى ذلك « الممثل » - ذى الحركات والنغمات - من حديثه ، حتى انصرف الناس فى خشوع مصطنع . فقلت لرفيقى : « أليس لديكم أحد من القسيسين ؟ » . قال : « كلا ، فما القساوسة من الدين فى شىء !.. انمـــا يستطيع كل مخلص ان يتلقى الالهام الالهى من السماء مباشرة ، دون ما حاجة الى واسطة بين العبد وربه ! » ... ثم غادرت الرجل ، وأنا فى عجب من أمر هذه الطائفة ، التى اختلطت عليها مواضع الصواب ومواطن الخطأ ، فأجتمع فيها من هذا وذاك ! » .

وهكذا كانت حياة فولتير فى انجلترا ، نقد مستمر لكنه مقنع .. فهو يحـكى ما رأى فى براءة ، ثم اذا به - من حـين الى آخر - يلقى بسهم سام يصيب قلب الذين اراد نقدهم ، وما أكثر ما نقد رجال الكنيسة .. والسياسة !

يهرب من البوليس الى احضان مركيزة !

• على ان فولتير لم يتمالك نفسه - رغم هـــذا الاعجاب الشديد بالحياة الانجليزية - عندما علم بأن جميع الظروف التى كانت تقصيه عن وطنه ، قد تلاشت . فكاد يجن فرحا ، وأسرع بالعودة بعد ان جفف البرد الانجليزى عظامه ، أو كاد .. وكان يهتف من صميم فـؤاده ، فى عودته : « اننى احب انجلترا ، ولكنى أهوى العيش فى باريس ! »

بيد أنه لم يكد يهبط فرنسا - بعد فراق دام ثلاثة أعوام - حتى الفى نفسه فى محنـــة عصيبة . اذ ان احد الناشرين كان قد استباح لنفسه نشر الرسائل - التى كان يكتبها لأصدقائه

أثناء مقامه فى انجلترا ـ دون علمه . **وقدر للكتاب الذى ضم هذه الرسائل ، أن يقع فى أيدى السلطات الفرنسية ، فرأت فيه كتلة من الآراء المتفجره تحت ستار الملح والفكاهات الضاحكة .. وكان هذا اكثر مما تحتمله هذه السلطات ، فقررت القاء القبض على فولتير .. ولكنه لم يشأ أن يعود الى « الباستيل » ، وقد جرب المقام فيه من قبل ، فلاذ من البوليس بأحضان .. المركيزة دى شاتيليه !**

وكانت المركيزة شابة متزوجة ، أنجبها زوجها أولادا ثلاثة ، فتمتعت بارضاء غريزة الأمومة فترة لم تلبث بعدها ان شبعت من الحياة الزوجية ، ومن غريزة الأمومة ، وأخذت تهفو الى شىء آخر ، غير الزوج ، وغير الأولاد .. الى عشيق ! . ولكنها لم تكن لترضى بأى رجل عشيقا لها ، بل كان لا بد لها من أن تصطفى لنفسها رجلا من أهل العلم والأدب . فقد كانت ـ هى نفسها ـ من اهل العلم والادب ، وكانت تقضى الليالى بطولها متطلعة الى النجوم من خلال « التلسكوب » ، فاذا كان وقت فراغها ، عكفت على كتاب علمى تترجمه ، أو ديوان شعرى تدرسه . لكنها الى ذلك كانت فاتنة ، بل كانت من اكثر نساء عصرها جمالا .. وهنا كان موضع التناقض فى لقائها مع فولتير .. وهل من تناقض اكثر من ان أجمل النساء ، وأقبح الرجال ، يتحابان ؟ ! .. ولكن النبوغ وحده كان كفيلا بالتوفيق بينهما !

الحب والخمر يلهمانه الروائع

• **وانتهز** فولتير فرصة غياب زوجها عنها ، فجعل من نفسه سيدا لبيتها ولها هى نفسها .. وكان القصر الذى سكناه فى (سيراى) مدار الحديث فى مجتمعات ذلك العصر ، اذ كانت سيرتهما فيه عجبا !

واعتادا ان يستيقظا مبكرين ، فيعكف كل منهما على دراساته ، حتى اذا كانت الساعة العاشرة والنصف تناولا وجبة من الطعام ،

يعمد بعدها فولتير الى دعوة أصحـــابه الى مكتبه ، فيتبادلون الحديث حينا من الوقت ، ثم يغادر مجلسهم فينصرفون الى تسلية أنفسهم وقتل الوقت حتى الساعة التاسعة مساء ، حين تمد مائدة العشاء . **ويكون فولتير – فى تلك الأثناء – قد عكف على كتبه ودراساته فى المكتب دون ان يجرؤ أحد من هؤلاء الضيوف على ازعاجه ، والا كان مصيره الطرد من القصر !**

ويجتمع فولتير والمركيزة مع الضيوف حول مائدة العشاء ، فيتجاذبون طرفا من الحـــديث ، ويعبون كؤوس الخمر دون حســـاب ، حتى ينفض سـامرهم وقد خلت رؤوسهم الا من النـوم !

وفى ذلك الجو الغريب ، أنتج فولتـــير روائعه : « العالم كما يسير » ، « صادق » ، « تلميذ الطبيعة » ، « أميرة بابل » ، « لويس الرابع عشر » ، « مقالة فى العادات »

هندى . . فى باريس

• **ولعل** « تلميذ الطبيعة » هو أكثر كتب فولتير تعبيرا عن آرائه ، اذ انه يصور شابا من الهنود الحمر ، نزح من أمريكا الى فرنســـا ، فاذا بصراع عنيف ينشأ بينه وبين تقاليد المجتمـــع الفرنسي وما كان يستشرى فى ذلك المجتمع من رياء ، سواء بين رجال الدنيا او بين رجال الدين . . واذ يتعلم الهندى مبادىء الدين من الانجيل ، ينزل الى النهر – وقـــد اراد العماد – فيغرق جسده حتى رقبته . ولكن رجال الدين المتزمتين ، يقولون له ان تلك الطريقة لم تعد بعد متبعة فى العماد !

ويخرج الهندى من النهر ، فيسعى الى الكنيسة ليعترف . وبعد ان يتلوا اعترافه ، اذا به يجذب القس من مكانه ليحتله هو ، طالبا من القس أن يعترف له ، قائلا ان الانجيل انما يقول: « ليعترف بعضكم الى البعض بخطاياكم » !

ويذهل الشاب الساذج للمفهومات الخاطئة التى يستقبل



بها المتمدينون تعاليم الدين والأخلاق ، فينتهى به الأمر الى ما انتهى اليه فولتير نفسه ، اذ يرى ان الهنود - وان كانوا همجيين - الا انهم خير من الفرنسيين .. لأن هؤلاء اوغاد!

ولعل السبب الوحيد الذى جعل فولتير يستثنى البابا اسكندر الثالث ، من كراهيته لرجال الكنيسة ، هو أن هذا الرئيس الدينى «لم يكن كأمراء القصور . . وانما كان يحاول أن يحرر العبيد ، بدلا من أن يستعبد الأحرار ! . . وكان يقول ان صوت الشعوب لهو صوت الله .. ولا بد للانسان من أن يستعمل عقله اذا أراد لحياته أن تستقيم ، اذ أن الله وهب الانسان عقلا يكون له بمثابة الريش للطيور ، والصوف للحيوان » !

فولتير .. بين الله والكنيسة !

من هنا فقط نرى ان فولتير كان رجلا مؤمنا متدينا ، ولكن ايمانه كان من نوع ايمان كل المفكرين ، ينبع من العقل . ثم ينتهى الى القلب . . ومن ثم فقد نظر فولتير الى الحقائق الدينية نظرا متعقلا يقبل منها ما يوافق الفكر السليم ، ويرفض ما تمجه بداهة الفكر . . وكانت المشكلة الأصيلة التى واجهت فولتير هى : « هل الله موجود ؟ »

ولم يكن لدى فولتير ريب فى ان ثمة عناية الهية هادفة ، هى التى شيدت هذا العالم المنظم الدقيق . ودليله على ذلك « تلك الكواكب التى تسير فى فلكها سيرا منتظما ، تحكمها قوانين

منتظمة». . وكما ان «الساعة» تثبت وجود «صانع الساعات»، فان عالمنا يثبت وجود صانع له .. وكان يجيب على القائلين بأن العالم وليد المصادفة ، بقوله : **« ليس هذا الرأى من القوة فى شىء ، فان وجود العقل وحده يثبت ان هناك علة اخرى للعالم غير مجرد المصادفة . فليس فى وسع المصادفة المطلقة ان توجد العقل المفكر .. مثلها فى ذلك مثل الآلة التى لا تملك ان تنتج العامل الذى يديرها . وما العالم الا آلة كبيرة ، ومجرد وجود الآلة يستلزم وجود العامل .. وما العامل هنا الا الانسان الذى لا بد منه لادارة العالم ! »**

ولقد قيل ان هذا العالم ، الذى يزعم فولتير انه عالم منظم دقيق ناتج عن علة هادفة ، ليس سوى موطن للنقص والفساد .. فان انتشار النقص والفساد فى العالم ، دليل على نقيض دعوى فولتير . فالانسان الفقير يرزح تحت اعباء امراض مرهقة ، والزلزال — كزلزال (لشبونة) الذى قتل آلاف من ضحايا — والبراكين ، والاوبئة ، والحروب ، والجرائم . . الا يدل كل ذلك على عدم وجود صانع للعالم ؟ هل يعقل ان صانعا حكيما أو أبا رحيما يصنع عالما مثقلا بكل هذه الأوزار والنقائص ؟

ولكن « فولتير » يدفع ذلك الاعتراض بقوله : « بل ان الله يخلق قوانين شاملة ليسير وفقها الكون كله، دون ما نظر للجزئيات

فهذا الرجل يموت ليولد غيره ، ومن هنا يسير العالم ابدا متجددا قويا جميلا ، وان كان ذلك التجدد الذى يفيد العالم — ككل — يسىء الى مشاعر بعض الأفراد .. على ان هناك اعتقادا يخفف من وطأة هذه الأحزان والمحن الجزئية ، فان الله الحكيم لا يلبث ان يثيب الصالحين ، ويعوض الخاسرين فى الدنيا ، فيحل النظام وتأخذ العدالة مجراها . **وليس اضر بالعالم من بدعة الالحاد ، فالانسان الملحد تنحط أخلاقه حتى يتساوى عنده ان يصافح صديقه او يطعنه فى قلبه .. انه ليأتى كل**

الجرائم ما دام مطمئنا الي ان أحدا لم يره ، وهذا امر طبيعى، اذ انه يفقد الثقة برقابة الله وبعقـــابه او مثوبته . واذا كان الالحاد شنيعا فأن التعصب فى الدين أكثر منه شناعة . ومن ثم فالطريق الســـوى هو ذلك الخط المتوسط بين الكفر والتعصب !

وهكذا نرى فولتير دائما .. ينكر الالحاد ويؤمن بالله ،ولكنه يكفر بالكنيسة ورجال الدين ، فلا يكف عن توجيه الطعنة تلو الطعنة اليهم ، من خلال حديثه .. فهم عنده المتعصبون الذين يضعون أنفسهم وسطاء بين الله والناس . وهل يحتاج الله الى واسطة لاسباغ رحمته على خلقه ؟

الحزن يغزو قلب الفيلســوف

● **على أن** « فولتير » ظل — رغم كل ذلك — طفلا فى نظرته للحياة ، وفى سلوكه فيها .. اذ لم يكن الحزن أو الأسى قد صادفاه بعد . وما من فيلسوف يستطيع ان يعالج المسائل بجد ودقة ، الا اذا انصهر عقله أولا فى بوتقة الحزن ، ليخرج منهـا ناضجا متزنا !

ظل فولتير « طفل » التفكير الأوروبى المدلل ، الى ان ماتت راعيته وعشيقته — مدام دى شاتيليه — عام ١٧٤٩ ، فكانت الصدمة الأولى فى حياته .. واستيقظ فجأة على شعورممض من الألم اجتاح قلبه دون ما خبره لهذا القلب به .. انتابه الحزن فعصر فؤاده ، ولكنه أيقظه ! .. علمه — أخيرا — أن فى الحياة أشياء أخرى غير الضحك ، والسخرية من الناس .. أشياء ما أجدرهـا بالمعالجة ، فان آلام البشرية ليست بالأمر اليسير ، وانما هى فى حاجة الى اليد الطيبة التى تسرى عنها !

وفى غمرة هذه التجربة الجديدة ، اذا به يبعد عن فرنسـا من جديد، وكان تدبيرا ماهرا من القدر أراد لهذا العقل المستخف ان يحرم — مرة واحدة — من كل ما يحب !.. واستطاع — وقد



فولتير
(لوحة دقيقة
بريشـــــة
البروفيسـور
هانس ميولر)

ذاق الآلام النفسية وتباريحهـا ـ ان يقدر آلام الغير . **فلما** حدثت كارسة الزلازل فى (لشبونة) ـ فى سنة ١٧٥٥ ـ وراح ضحيتها ثلاثة آلاف فرد ، راح يتصـور كم من محب مات ، وكم من حبيب نكب فى حبيبه ، وكم من أم ثكلت أطفالها ، وكم من أب فقـد أسرته ، وكم من طفل تيتم . . **فطارت نفسه شعاعا لكل هذا !**

وصقلته كل هذه الظروف ، فجعلت منه فيلسوفا ، بعد أن كان مجرد كاتب فكه .. فصب نقمته على الكنيسة ، لا .. بل على رعاة الكنيسة الذين كانوا يسيئون فهم روح التسامح الدينى ، ويستغلون سلطتهم الروحية ، فيعمدون الى الطغيان والتعصب . وراح يقول : « لنهدم تلك المخلوقات التى تسىء الى الدين ، ولنمجد الذين يحاربونها » !

ولم ينكر « فولتير » يوما وجود الله ، بل انه كان به مؤمنا .. وكان يقول : « اذا لم يكن الله موجودا ، لوجب علينا أن « نخترع » وجودا له » ! .. لكن الله الذى آمن به فولتير ، لم يكن ذلك السلطان الجبار ذا القلب الصارم ، ـ الذى كان رجال الدين يصورونه ـ وانما كان هو « التفكير الأسمى » للعالم .. وهو أب عادل ، لا يفضل قوما على آخرين ، ولا وطنا على غيره ، ولا دارا للعبادة على بقية الدور !

وهكذا راح « فولتير » يبذل الكثير من أجل اشاعة التسامح الدينى فى العالم ، وبعد ان كان شعاره : « اضحك ، واجعل غيرك يضحك » ، اذا به يصبح « فكر ، واجعل غيرك يفكر » ! .. وهكذا صار فيلسوفا حقا !

لم يشأ أن يكون برتقالة !

• **وكان** يقيم ـ أثناء هذه الثورة العقلية ـ فى بيت فى (فيرينى) فى الاراضى السويسرية ، على مقربة من الحدود الفرنسية .. ولكن فردريك الأكبر ـ ملك بروسيا ـ دعاه الى حاشيته ليكون بمثابة المستشار الثقافى له . فانتقل اليه ، وعاش فى كنفه مدة معجبا بذكائه الحاد ، حتى جاءه أحد رجال الحاشية ينبئه ـ ذات يوم ـ بأن الملك لا يتوقع له أن يبقى فى القصر مدة اطول من عام .. **فقد قدر الملك ان تلك المدة كافية ليأخذ عن فولتير كل ما كان بحاجة اليه من علم .. وليس من المعقول ان « يحتفظ المرء بقشر البرتقالة ، بعد أن يكون قد امتص**

عصيرها » ! ..وأراد فولتير أن يفوت على الملك رغبته ، فسارع بالرحيل عنه .. « انقاذاً لنفسي قبل أن تمتص البرتقالة » !

وعاد فولتير الى فلسفته ، فانضم الى حلقة « ديديرو » و « دالمبير » و « كوندرسيه » ، وراحوا يمهدون بأفكارهم للثورة الفرنسية .. كما اشتركوا في اعداد « دائرة معارف الفكر الحر » ، فكان أصحاب دائرة المعارف « يتهمونه » بالمسيحية ، بينما يتهمه المسيحيون بعدم الاخلاص !

كنيسة لله .. ومصنع للمجتمع !

• **وعاد** الى ممارسة حياته الفكرية الأولى ، على نطاق أوسع ، فكان يؤلف القصص « والتراجيديات » وكتب التاريخ .. فضلا عن انهماكه في اعداد قاموس فلسفي

ومع ضخامة هذا الجهد ، فانه لم يشغله عن محاربة الظلم والطغيان في كل صورهما . بيد انه خرج من دائرة الدفاع النظري الى المساعدة الايجابية .. **فأنشأ مصنعا للساعات ليشغل به المتعطلين في (فيريني) ، ونشط في مساعدتهم حتى أنه كان يشتغل بنفسه في تصريف منتجات هذا المصنع ، ثم يوزع ربحه جميعا على المشتغلين فيه !**

ولما كان يؤمن بحرية الناس في العبادة ، فقد أنشأ كنيسة وهبها لله ، ليتيح للناس ان ينعموا بهذه الحرية ، في مقابل ان يمنحوه من ناحيتهم حرية .. عدم العبادة !

ولقد كان — بالاختصار — نبيا للوعي القومي ، حتى لقد وصفه « سانت بوف » بقوله : « كان الناس يقصدونه من جميع البقاع ، فيستشيرونه في مشكلاتهم طالبين منه المساعدة » .. ولم يضن يوما على احد بالمشورة أو العون .. **ولكنه استثنى من « رحمته ! » طائفة واحدة من البشر ، لم يسمح لواحد من أفرادها بزيارته قط .. أولئك هم الصيادون !..** ولقد حدث أن جاءه أحدهم مرة وألح في طلب مقابلته ، فقال فولتير لخادمه:

« قل له انى مريض أوشك على الموت » . ولكن الصياد أصر على مقابلته ، فقال فولتير للخادم : « اذن ، فقل له انى مت » ! .. ولكن الخادم عاد يحمل رجاء الرجل فى أن يرى جسده ، ليقدم اليه احترامه ، فما كان من فولتير الا ان قال للخادم : « قل له اننا قد دفناه ، واسلمناه للشيطان .. فاذا أصر على مقابلتى بعد ذلك ، فقل له أن يذهب الى الجحيم ! »

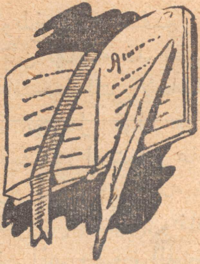
الله والحرية .. وقلب من ذهب !

• وبلغ قلقه النفسى مداه وهو فى الثالثة والثمانين !.. واذ أحس بأن نهايته قد اقتربت ، قام بزيارة الى باريس مودعا ، فكانت التحية التى لاقاها هناك أن شاهد تمثيل احدى مسرحياته .. ولم تحتمل قواه هزة الانفعال ، فكانت تلك هى آخر مرة يظهر فيها فى اجتماع عام

ولازم فولتير فراشه ضعيفا مريضا. ولقد زاره يوما — وهو طريح الفراش، قبيل وفاته بقليل — بنيامين فرانكلين الفيلسوف الأمريكى المعروف ، الذى كان — فى ذلك الحين — سفيرا لبلاده فى فرنسا .. فشكا اليه فولتير قائلا : « لكم اشعر وكأننى تمثال له قدمان من الطين الطرى » ! .. فأجاب بنيامين : « نعم ، ولكن قلبه من الذهب » !

واصر بنيامين على فولتير ان يبارك ابنه — الذى اصطحبه معه فى زيارته — فوضع يده على رأس الطفل وقال : « الله .. والحرية » ! ... كلمتان كانتا ، طول حياته ، جوهر فلسفته !

الحياة
قصة



روائع
القصص
العالمى

عزيزى القارىء ..

قرأت معى فى الأعداد الماضية قصص : مرتفعات وذرنج • أحدب نوتردام • جين اير • ايام بومباى الأخيرة • مانون ليسكو • حديقة الله • عندما تحقد المرأة • تاييس • بلاد العميان • نادى الانتحار • كوخ العم توم • الزوج والعشيق • البوهيمية • فتاة لها ماض • الجريمة والعقاب • اميرة مصر • الامطار • افردويت • جيجى • الشيطان فى الجسد • كانديد • اشجان فرتر • المعطف • يوميات زوجة • الأفق المفقود • النار الخالدة • الوحل • ابناء وعشاق • اليهودى التائه • صباح الخير أيها الحزن • احزان الشيطان • شذوذ • السنة الاولى • القرصان الفرنسى • على ضفاف البحيرة السوداء • تاراس بولبا • عبادة وخيانة • فى سبيل الحب

واليوم ، تقرأ معى احدى روائع لامارتين الخالدة :



ابنة الصيّاد!

(جرازييللا)

للتحفة الرائعة للشاعر القصصي الخالد :
ا. دى لامارتين



تلخيص : محمد بدر الدين خليل

السياسى الشاعر الذى صور الحب !

◆ كان الشاعر الفرنسى الخالد : « ا٠ دى لامارتين » ، أعجوبة ، من حيث ميوله واتجاهاته ودراساته ٠٠ كان شاعرا يحلق على أجنحة الخيال بعيدا عن الواقع ، وكان كذلك سياسيا وباحثا اجتماعيا تضطره مشكلات السياسة والمجتمع الى أن ينغمس فى هذا الواقع !٠٠ وكان فيلسوفا دينيا ، كما كان – من ناحية أخرى – ديبلوماسيا ٠٠ وما أبعد المغامرات الديبلوماسية عن القصائد التصوفية !٠٠ وكان قصاصا يصور الأحلام ويحلل العواطف ، كما كان عالما جديا ، شغل بدراسة الحركات السياسية فى بلاده والتأليف فيها !

على أن الصفة التى لصقت به حتى النهاية ، وخلدت ذكره فى التاريخ ، هى صفته كشاعر وقصاص ٠٠ وما نحسب أحدا قد وصف تسلل الحب الأول الى القلب البكر ، الخام ، الذى لا يستطيع أن يميز الحب ويتعرف عليه ، بمثل البراعة الرائعة التى وصفه بها فى القصة التى نقدمها لك فيما يلى :

((القسم الاول))

◆ **عندما** بلغت الثامنة عشرة من عمرى ، عهدت بى اسرتى الى رعاية قريب لنا ، اصطحبنى فى رحلة الى (توسكانى) .. وقد اضطرته بعض الشئون الى ان يطيل المقام فى (ليفورن)، ثم الى ان يقرر العودة الى فرنسا، ولما تسنح لى الفرصة كى اشهد (روما) و (نابولى) . فلم أتردد فى أن أتمرد على هذه الرغبة ، وقررت مواصلة التجوال فى ايطاليا وحيدا ، لا سيما حين تذكرت ان لأمى قريبا كان يقيم فى نابولى ، وما كان ليضن على بشىء من المال اذا نفدت نقودى !

ورحلت الى روما، فقضيت الشتاء وحيدا، فى حجرة ضيقة بشارع معتم .. حتى اذا سئمتها ، سافرت الى (نابولى) ، فبلغتها فى اليوم الأول من شهر أبريل . وان هى الا أيام، حتى التقيت بشاب فرنسى كان يناهزني فى السن – أو يسبقني

بعامين على الاكثر ـ يدعى « ايمون دى فيريو » ، كنت قد تعرفت به اثناء دراستي.. وتوطدت بيننا صداقة بلغت درجة الأخوة الصادقة ، اذ كانت حياتانا متشابهتين . . بل كان كل منا مكملا للآخر !

وعندما أقبلت طلائع الصيف ، عكست النباتات نضرتها على الكون ، وتنافس البحر والسماء على الاستئثار بأكبر نصيب من الزرقة ، ووفد صيادو (بوسيليبى) ينتشرون على الصخور، ويبسطون شباكهم على الشاطىء لتجف، ويتنقلون فى زوارقهم بين نابولى وجزر كابرى وبروشيدا وايسكيا ، فكنت أقضي وصديقي ساعات طويلة نرقب هذه المناظر الرائعة .. **وكنا فى السن التى تختلط فيها الأحلام بالحقائق، فاعتزمنا ان نتعرف بأولئك الصيادين، لنعيش بضعة أيام بينهم.. كنا نتصور تلك الليالى التى يقضونها فى عرض البحر ، ترفرف فوقهم أشرعة مراكبهم ، وتحيط بهم ظلمة لايهتك سترها سوى خيوط النور الواهنة المنبعثة من النجوم .. وكنا نتمثل فى هذه الليالى اغراء غامضا يحفزنا على أن نتوق الى استطلاع كنه الطبيعة وسر جمالها !**

وسنحت لنا الفرصة يوما ونحن نسير على شاطىء (مارجيللينا) ـ عند سفح جبل (بوسيليبى) الصغير ـ اذ رأينا شيخا فى قارب مع صبى فى الثانية عشرة من عمره ، فعرضنا عليه ان يصطحبنا كمعاونين له . ولكنه ابتسم قائلا : « ان أيديكما بضة ناعمة ، خلقت لمسك الأقلام ، ومن العسير ان تحتملا قسوة البحر ! » .. فزعم صديقي اننا نجرب كل الحرف لنختار مهنة المستقبل ، وان عمله يروق لنا ، فأجاب : « انه عمل يملأ القلب غبطة وقناعة ـ فى الواقع ـ ويزيد الروح ايمانا برعاية القديسين .. ولقد يكون المال والجاه فى يد السلطان ، ولكن مركب الصياد فى يد الله ! »

وزادتنا فلسفته التقية رغبة فى مشاطرته ركوب القارب ،

وما ان عرضنا عليه بعض المال ، حتى استجاب لرغبتنا .. وأبحرنا عندما انحدرت الشمس نحو المغيب !

* * *

• **وكانت** الليلة الأولى مبعث غبطة صافية لنا .. وبينما كنا نوغل فى عرض البحر، راح الصياد يلقى شبكته ثم يجذبها، والصبى جاثم عند مقدمة القارب، حاملا مشعلا لاغراء السمك، الذى كان يخف الى سطح الماء سعيا وراء النور . أما نحن ، فكنا نعمل المجاديف فى تؤدة ، بين فترة وأخرى . . وما لبث النعاس ان غشينا فاستلقينا الى جانب الصبى فى قاع القارب. ونشر الصياد علينا قلع المركب ، فما لبثنا ان رحنا فى سبات عميق !

وأقبلنا فى الايام التالية على عملنا الجديد ، فى شغف واستطابة ، نجوب البحر مع الريح ، ثم نرتد الى (نابولى) .. وهكذا قضينا شهرين كاملين فى الهواء الطلق ، بين قوم سذج النفوس، خشنى الأجساد. فأجدنا لهجتهم، وتطبعنا بعاداتهم، وراقت لنا هذه الحياة- بالرغم من أننا نشأنا مدللين مترفين- فكنا نتلقى فى مضض خطابات اسرتينا اللتين أخذتا تستحثان عودتنا

واذ أقبل شهر سبتمبر ، جاءت فى ركابه الامطار والرعود ، وجابهنا - للمرة الأولى - اخطار البحر. وفى ذات يوم ، دهمتنا ريح عاتية ، واكتنفنا ضباب ضاعفت من وطأته ظلمة الليل .. وكنا بعيدين عن كل مرفأ صالح ، فعرجنا على خليج (بايا) محاولين أن نصل الى القناة التى تفصل (رأس ميسينى) عن جزيرة (بروشيدا) . **ولكن هياج البحر اشتدعنفا ، ثم اندفعت الريح هوجاء ، فهتف الصياد الشيخ وهو يرسم علامة الصليب على صدره : ((لم يبق لنا من سبيل للنجاة ، الا بأن نلجأ الى ساحل بروشيدا)) .. وسعينا الى الساحل والأمواج ترتفع بنا**

الى شاهق، ثم تهبط فجأة فتنهبط معها قلوبنا .. وأمر الشيخ صبيه أن يوقد مشعلا ليبدد شيئا من الحلكة ، ولينبه المقيمين على الشاطىء ، لا ليخفوا لانقاذنا ـ فما كان ثمة امل فى ذلك ـ وانما ليصلوا من أجلنا !

وانقضت ثلاث ساعات ، كانت كل دقيقة منها حافلة بمزيد من الأهوال . ثم أشرق القمر ، وصفت الريح ، وان ظلت على شدتها .. بل انها ازدادت عبثا بالقارب، حتى أوشك أن يغرق، فاضطررنا الى أن نلقى الى اليم بجرار الماء ، وسلال السمك ، وبعض الأدوات والثياب .. واذ ذاك خف ثقل القارب، فاندفع فى سرعة جنونية ، مقتربا من الطرف الشرقى لبروشيدا .. وما لبث هذا الشاطىء أن بدا عند الافق ، فقال الشيخ : «لقد أنقذتنا العذراء !.. فلنهبط الى البر، ولنقض ما بقى من ليلتنا فى دارى ! »

وخيل الينا انه يهذى ، فقد كنا نعلم أنه يقيم فى كهف معتم فى (مارجيللينا)، وكان من المستحيل أن نصل اليه فى ليلتنا تلك. ولكن الصياد ذكر لنا ان له فى جزيرة (بروشيدا) كوخا ورثه عن أبيه، وأسكن فيه زوجته العجوز، وحفيدتهما ـ أخت «بيبينو» الذى كان يصحبنا فى القارب ـ وحفيدين آخرين صغيرين !.. وما لبثنا أن بلغنا البر ، فرسونا بالقارب فى بقعة تحف بها الصخور من الجانبين . ثم قفزنا الى الأرض ، ورحنا نرقى ـ وراء الشيخ وحفيده ـ درجات نحتتها الطبيعة فى الصخور ، حتى انتهينا الى فسحة فوق مرتفع، يحوطها سياج من الحجر المغبر ، قامت فى نهايته بوابتان من الصخر ، فلما تجاوزناهما نفذنا الى طريق مسقوفة حفت بها الاشجار على الجانبين .. وفى أقصى هذه الطريق ، كان ثمة باب خشبى مفكك الالواح ، قام خلفه بيت صغير ، حفت به شجرة تين وكرمة .

واندفع الصبى الى الدار وهو يصيح جذلانا : « أماه !.. أختاه !.. جرازيللا!.. هاهوذا أبى ، وها أنذا ، ومعنا ضيفان

غريبان ! » .. وانبعث من داخل البيت صوت بدا رقيقا ، صافيا ، ثم فتح مصراعا احدى نافذتى الدار ، وبانت لأعيننا ذراعان بضتان .. ثم تجلت ((جرازييللا)) فى النافذة – وهى فى قميص النوم – وقد تهدلت خصلة من شعرها على خدها ، وارتفعت يداها تفركان عينيها وهى تتمطى كما يفعل الطفل حين يستيقظ !.. وكان القميص يكسو جسمها حتى العنق، ولكنه كان يكشف عن قامة رشيقة ، وصدر برزت فيه أولى بواكير الشباب .. وكانت وجنتاها مستديرتين ، لفحتهما شمس الجزيرة بسمرة شابها شحوب لاينم عن سقم ، وانما هو مظهر من مظاهر النضرة التى عرفت عن اهل حوض البحر الأبيض المتوسط .. اما عيناها ، فكانتا واسعتين ، امتزج فيهما السواد بزرقة البحر ، وحنان المرأة بعواطف الشباب الجياشة .. وكان صوتها – وهى تتحدث الى اخيها – عذبا ، رخيما ، كأنه انغام موسيقية !

وما ان لمحتنا الفتاة حتى ارتدت فى استحياء ، وأسرعت توقظ جدتها ، فما لبثت ان بدت لنا الجدة العجوز ، وقد حملت مصباحا من الفخار، فقبلت يد زوجها وجبين حفيدها.. وفى كلمات مقتضبة واشارات موجزة، ألمت الأسرة المسكينة بما جرى.. وسرعان ماركعت العجوز امام صورة للعذراء – فوق باب البيت – بينما هرعت جرازييللا الى الشرفة ، وعادت بفرع مثقل بزهور البرتقال ، فثبتته امام الصورة .. وأدركنا أن الأسرة تحمد للعذراء أن ردت اليها الجد وحفيده ، فأقبلنا بدورنا نصلى شاكرين !

* * *

• وكان البيت متواضعا ، يتألف من حجرتين : احداهما للجلوس والطهو وتناول الوجبات ونوم الجد وأحفاده الغلمان،

والاخرى مخدع للعجوز وجرازيللا . . ومن ثم فقد اتخذت وصديقى من الشرفة مخدعا، فلم يلبث التعب والعناء أن أسلمانا لسبات عميق ، لم نستيقظ منه الا وقد ارتفعت الشمس فى كبد السماء .

وانتزعنا من خمولنا صوت العجوز ينبعث شاكيا ، باكيا ، وهى تلوم زوجها اذ ألقى بالجرار وبسلال السمك وبأدوات الصيد ومعدات القارب الى البحر ، أثناء محنتنا . . وراحت تلقى علينا تبعة النحس الذى أصابهم ، وتقول : « ألا تعرف ان الفرنسيين كفرة ملحدون، ومن ثم فقد جلب هذان الشابان علينا النحس ؟! » . . **ولم يجب الشيخ بشىء ، ولكن جرازييللا انبرت تدافع عنا قائلة : « وهل يرسم الكفرة الصليب على صدورهم ؟ . . لقد رأيت الشابين يحنيان رأسيهما ويصليان ويرسمان الصليب على صدريهما ، حين ركعت تصلين ، وحين ثبت أنا زهور البرتقال أمام صورة العذراء! » . . وبعد جدال، لاذت العجوز بالصمت ، فأدركنا ان لنا فى الدار حليفة قوية !**

ولكن القدر لم يكن قد اكتفى بما حدث ، فما ان هبطنا مع الاسرة الى الشاطىء لنتفقد القارب ، حتى ألفينا الريح قد ضربت به الصخور فتهشم . . وأذابت قلبينا أنات أفراد الاسرة وتوجعهم ومظاهر اليأس التى تجلت على اساريرهم . . واخذ الشيخ يلتقط حطام القارب ويطيل التحديق فى كل قطعة بعينين جف دمعهما ، وكأنه يرقب اشلاء عزيز راحل . . بينما انخرطت جرازيللا فى البكاء ، وراحت العجوز تهذى فى أسى يفتت الأكباد !

وعدنا الى البيت منكسى الرؤوس ، واجمين . . وما لبثت أن غادرت الدار مع صديقى ننشد بعض التسرية ، فظللنا نسير حتى بلغنا مدينة (بروشيدا) . وهناك اتفقنا على أن نحيل حزن الاسرة المنكودة فرحا . . ولم أكن أحمل معى اكثر من خمس أو ست قطع من النقود الذهبية ، ولكن صديقى كان يحمل

مبلغا كبيرا ، فتطوع بالانفاق على أن نسوى حسابنا فى فرنسا.
وعلى هذا فقد بادرنا الى ابتياع قارب بديع متين ، قريب الشبه من ذاك الذى تهشم ، وزودناه بالشباك وجرار الماء وسلال السمك ومعطفين للصياد الشيخ وحفيده ، كما ابتعنا بعض الأوانى المنزلية والأطعمة . ثم أمرنا بنقل القارب الى المرساة القريبة من دار ((أندريا)) .. مضيفنا الكهل !

وعدنا الى الدار، فاذا أهلها نائمون فى مجالسهم وكأنما أثقلهم الهم ، فأيقظنا جرازييللا واسلمناها ما حملنا من خبز وجبن وفاكهة . ثم ايقظنا بقية الأسرة ، ودعونا أفرادها الى الشاطىء لنحاول صنع قارب من أخشاب غابة قريبة . وتكتمنا مادبرنا عن الجميع !.. وما ان رأوا القارب الذى ابتعناه مستقرا فى المرساة ، حتى ارتفعت أكفهم الى السماء يحمدون لله فضله ، قبل أن تواتيهم الكلمات التى حاولوا أن يعبروا بها عن شكرهم ايانا !.. ولمحت جرازييللا تقترب من جدتها ، فتهمس فى أذنها: «ما رأيك الآن ؟.. أما زلت ترين انهما كافران ؟ » .. فترامت العجوز عند أقدامنا تستغفرنا !

ولعل هذه الليلة كانت أسعد ليلة ساقتها العناية الالهية لتلك الأسرة !

((القسم الثانى))

• **استمرت** الأنواء بضعة أيام ، وكنت أتمنى لو انها ظلت طيلة العمر .. فما أحسست يوما بسعادة كتلك التى داخلتنى وانا بين تلك الأسرة !.. وكنت انتحى وصديقى جانبا من المرتفع المشرف على البحر ــ فى أصيل كل يوم ــ فنقضى فترة فى التفكير والتأمل والاستمتاع بجمال الطبيعة والقراءة . . اذ كنا قد استبقينا من كتبنا ــ حين القينا بالأمتعة الى اليم فى تلك الليلة المشئومة ــ ثلاثة : كان احدها باللغة الايطالية ، وعنوانه

« رسائل جاكوبو أوريتس » .. وهى قصة تكاد تشبه « آلام فرتر » ، ولكنها تفوقها قوة فى تصوير الحب والحرية .. وكان ثانى الكتب ، قصة « برناردان دى سان بيير » الخالدة : « بول وفرجينى » ، الكتاب الذى يعتبر صفحة من طفولة النفوس والقلوب ، انطوت على سيرة انسانية نقية طاهرة .. اما الكتاب الثالث ، فكان من مؤلفات «تاشيتى» التى تدور حول الثأر والشرف وقسوة الظلم والطغيان .. **وهكذا كانت الكتب الثلاثة باقة نسقتها يد المصادفة، لتوحى الينا بثلاثة ألوان من العواطف تلهب أحاسيسنا الشابة !**

وكنا نعود الى الدار وقد هبط الليل ، فنجتمع بالأسرة فوق سطح الدار — على عادة أهل ريف نابولى — واذ ذاك تعزف جرازييللا على القيثارة ، بينما يدق بيبينو الدف فى رفق .. ومع اننا كنا نعتبرها لحظات سرور، الا ان الأنغام الطويلة البطيئة كانت تبعث فى أعماقنا شجى يهز قلبينا .. وكان صوت جرازييللا — حين تغنى — ينساب ناعما جياشا بالعواطف ، تشوبه رجفة البكاء ، فيثير شجوننا ويستدر دموعنا !.. وما كان ابدع الفتاة حين ترقص « التارانتيللا » على دقات الدف ! **.. ومع ذلك ، فقد كنا نخال أن ثمة حزنا يشيع فى الجو المحيط بها — حتى في رقصتها — وكأنما كان كل هذا الطرب ظاهرة عابرة على هامش قلبها !**

وكانت «جرازييللا» تسألنا أحيانا عما كنا نقرأه فى كتبنا .. وكنا نترجم لها بعض فقرات من « رسائل أوريتس » أو من كتاب «تاشيتى»، فلم تكن احاديث الوطنية تحرك قلبها الساذج، كما كان بقية أفراد الأسرة ينصرفون عن السماع .. ومن ثم اعتزمنا ذات ليلة أن نقرأ عليهم قصة « بول وفرجينى » ، وتوليت ترجمتها على اسماعهم باللغة الايطالية التى حذقتها .. **واستطاعت القصة ان تجتذب اهتمامهم واصغاءهم، فهى قصة كل القلوب ، فى كل الاجيال والاحوال، ولغتها لغة الفن الصادق**

والحقيقة السرمدية .. لغة الحب والله !.. وكان الشيخ يغفل عن غليونه وهو يصيخ السمع ، بينما كانت العجوز تشبك راحتيها فى حجرها ، وتنصت فى خشوع التقيات !

اما جرازييللا فكانت تقترب منى حتى لتكاد تلتصق بى ، وكأنما كانت تسيطر عليها قوة جاذبة تكمن بين صفحات الكتاب ، فتشد عينيها الى السطور وكأنهما تبحثان عن الروح الخفية التى كانت تلهمنى الكلام .. وكنت أسمع انفاسها تتتابع متهدجة !.. كانت الفتاة المسكينة تنسى نفسها كلما أوغلت فى القصة ، فتشتد حرارة انفاسها حتى لأحس بها تلفح راحتى، ويتهدل شعرها فيحتك بجبينى كلما ازدادت منى اقترابا !.. وكانت تحمل المصباح عاليا فوق رأسى - اذا هبط الظلام - لتنير لى صفحات الكتاب ، وكأنما كانت تخال ان الضوء كفيل بأن ينير لى الغموض المحيط بالكلمات ، أو ان ينفذ خلال عينى الى ذهنى ليضىء اركانه حتى اهتدى الى التعبير الصحيح !

وكنت أحس بدموعها تتساقط على أصابعى فتلسعها لسعا!
.. واذ بلغت من القصة - ذات مساء - ذلك الجزء الذى ذكر فيه الكاتب ان عمة فيرجينى دعتها الى زيارتها ، وأخذ يصور ما استشعرته الفتاة من لوعة الفراق المنتظر ، أغلقت الكتاب وارجأت البقية الى اليوم التالى ، فتقبلت الأسرة الأمر على مضض . أما جرازييللا فقد راحت تلحف فى الرجاء كى أتم القصة . فلما وجدت منى اصرارا على الارجاء ، انتزعت الكتاب وراحت تنعم البصر فيه وكأنها كانت واثقة من ان قوة الرغبة الطاغية فى أعماقها كفيلة بأن تمكنها من فك طلاسمه .. ثم احتضنته وقبلته ووضعته على ركبتى فى احترام !

وكأنما بثت العواطف - التى زخرت بها القصة - فى نفس الفتاة حيوية ، واشفاقا ، واحساسا بالأسى والشجن . . بل كأنما أوقدت القصة فى صدرها نارا ايقظت غريزتها وعواطفها التي كانت راقدة مستكينة !.. ما كان أروعه من كتاب عجيب

أيقظ قلب فتاة غريرة ، وأثار مشاعر أسرة ساذجة جاهلة !.. كانت القصة بسيطة، يفهمها كل امرىء ، من ساكن القصر .. الى الصياد الفقير ساكن الكوخ . فقد تعمق المؤلف فى وصف تلك العاطفة النبيلة التى تتملك القلب ، فى لهجة جديرة بأن تقنع كل جاحد ، بأن الحب نوع من الايمان !

ولقد ظلت الأسرة بأكملها واجمة ، طيلة النهار الذى أعقب تلك الليلة . حتى اذا حل المساء ، التف الجميع حولى - فوق سطح الدار - فأقبلت على الكتاب .. ولم يجسر أحد على أن ينبس بكلمة تعترض استرسال القصة .. فلما سكت فى النهاية ، ظلت جرازيللا ساكنة ، واجمة ، مسلوبة الحس ، وظل الصمت مسيطرا على الجميع .. وخبا ضوء المصباح حتى أوشك أن يحتضر ، دون أن يفطن اليه أحد . ثم انصرف أفراد الأسرة الى مضاجعهم صامتين ، **وبقيت وصديقى رازحين تحت سلطان الحقيقة ، والسذاجة البريئة ، والعاطفة التى تسيطر على كل البشر فى جميع الأجيال والأوطان ! .. وبقى فى أعماق قلبينا شىء آخر .. بقى شبح جرازييللا وهى غارقة فى دموعها، هائمة مشدوهة فى يقظة الحب ، اليقظة التى احدثتها قصة « بول وفرجينى » فى أعماقها .. كان شبحها يحوم فى خيالنا مختلطا بطيف فيرجينى !**

ووجدتنى مضطرا - فى الليلة التالية والتى أعقبتها - الى أن أقرأ القصة للشابة مرتين . ولو اننى رددتها على مسمعيها مائة مرة لما كفت عن الالحاف والاستزادة ، فتلك طبيعة خيال أهل الجنوب .. يستغرقون فى الأحلام ، ويمزجون الحقيقة بخيال الشعر والموسيقى ، فما الشعر والموسيقى عندهم سوى مقياسين يسبر بهما المرء عواطفه ! .. بل ما الطبيعة ذاتها - هذه القصيدة الرائعة واللحن السامى - سوى عبارتين أو ثلاث ، ونغمين أو ثلاثة ، تتكرر باستمرار ، فتظل تستهوى النفوس ، وتبعث فيها النشوة أو تثير فيها الأسى !

وفى اليوم التاسع ، خمدت الرياح وسكنت العاصفة وهدأ البحر ، فآن لنا أن نرحل عائدين الى (نابولى) .. ورأى الصياد ان يصطحب أسرته الى (مارجيللينا) .. وهكذا أقلع القارب بنا جميعا

((القسم الثالث))

• وكانت الرحلة من أسعد الرحلات .. وما ان بلغنا مرفأ (مارجيللينا) ، حتى أسرع أصدقاء الصياد الشيخ وجيرانه الى استقباله والالتفاف حوله ، فانتهزنا الفرصة لنتسلل فى هدوء عائدين الى مسكننا ، وقد عقدنا العزم على أن نعاود مشاطرة الصياد حياته ، كلما سنحت لنا فرصة ركوب البحر .. غير اننا وجدنا فى انتظارنا رسائل من الوطن ، كان بينها خطاب من أم صديقى تستحثه فيه على المبادرة الى العودة الى فرنسا لأمر لم يدع سبيلا له كى يتلكأ !

وكان خليقا بى أن أرحل معه ، ولكن حياة البحر ، وبيت الصياد ، وطيف جرازييللا الفاتنة .. كل هذه كانت أشياء عز على أن أفارقها ، كما اننى وجدت فى الحرية التى نعمت بها — وانا على ثلاثمائة فرسخ من وطنى — وفى ذلك الشعور الغامض الذى يكتنف المرء اذا ما وقف على أبواب حياة مجهولة يريد كشف كنهها .. وجدت فى هذا وتلك ما حفزنى على البقاء !

وهكذا اضطر الصديق — الذى كان بمثابة الأخ الأكبر — الى الرحيل ، وتركنى فى وحدة ممضة ، حتى لقد تراكمت على الأفكار والمشاعر والشجون ، فرزح تحت وطأتها فؤادى .. ولم يستطع صخب المدينة وملاهيها ان تسرى عنى البتة وعاودنى الحنين الى رحلتنا مع الصياد ، فاذا مباهج نابولى وراحة العيش فيها لا تعادل فى نظرى تلك الحياة غير المستتبة، المتحررة من الحدود والقيود .. بل لقد خلت فى ضيقى ان حياة المدينة ضرب من الموت البطىء !

وأحسست أن قلبى يغرق فى الأسى والشجون ، فحاولت جاهدا أن أغالب تيارها بالتجوال فى الطرقات ، وارتياد المسارح ، وادمان القراءة ، ولكنى عجزت . وأرهقنى الجهد فوقعت فيما يسمونه « داء الضجر من المدينة » ! .. واذا صداع قاس يثقل رأسى ، واعياء يستبد بى ويعجز ساقى عن أن تحملانى .. وأخذت أشحب وأزداد هزالا ، وعافت نفسى الطعام ، وأصبح الصمت يثير الحزن فى اعماقى ، بينما كان الضجيج يستثير أعصابى .. وصرت أقضى الليالى مسهدا ، والنهار ضجيع الفراش لا أكاد أجد حافزا أو قوة على مغادرته ! .. وشاء الحظ ان يكون قريب امى متغيبا عن المدينة . فلما أكربنى الأمر طلبت طبيبا ، ولكن الطبيب أكد — بعد أن فحصنى — أننى غير مصاب بسوء ، وان الطب لا يملك لدائى علاجا ، لأنه داء أصاب الروح والقلب والفكر !

واذ شعرت بوطأة المرض تشتد ، رحت أبحث فى ذاكرتى عمن أستطيع أن أنشد عونهم ، أو أطمع فى عطفهم . وكان من الطبيعى أن أفكر فى أسرة الصياد ، فبعثت بصبى كان فى خدمتى الى (مارجيللينا) ليسأل عن « أندريا » وينبئه بحالى .. ولكن الصبى لم يجد فى الدار سوى « جرازييللا » ، فما ان سمعت بالأمر ، حتى بادرت بالانطلاق مع الصبى الى حيث كنت .. **وما أن رأتنى ، حتى ندت منها صيحة مشفقة ، واندفعت الى فراشى ، ثم تمالكت نفسها ، ووقفت وقد عقدت يديها متراخيتين أمامها ، ومالت برأسها على كتفها اليسرى ، وتبدى العطف على اساريرها ، وراحت تتمتم راثية لحالى..** ثم تمالكت نفسها ، وتلفتت حولها تبحث عن صديقى ، فلما علمت بأنه اضطر الى السفر ، وأننى لم أكن مريضا حين رحل ، هتفت فى لوم يخالطه حنان : « وكيف لم تذكر من قبل أن لك أصدقاء فى مارجيللينا ؟ » .. وجالت ببصرها فى الحجرة ، ثم قالت : « آه ، لعلك خشيت أن تخجل أمام أهل هذه الدار من فقرنا اذا



جئناك ! .. ومع ذلك فما كنا لنحجم عن المجيء مهما نلقى من اساءة وازدراء ! »

وجلست الى جوار الفراش، ورحنا نتجاذب الحديث .. وكان جرس صوتها ، وصفاء عينيها ، وهدوؤها ، وانبساط أساريرها ، وثقتها الضافية ، واللكنة الواضحة التى تتميز بها نساء الجزر المحيطة بنابولى ، وذكرى الأوقات التى قضيتها معها فى حديقة دارها فى (بروشيدا) .. **كل هذه تمثلت لى وأنا أتأملها وانصت اليها،فخففت من آلامى،وسرت عنى شجونى، حتى خلت أننى قد عوفيت . ومن ثم رحت أطيل من الحديث لأستبقيها أطول وقت ممكن ! .. وقامت على خدمتى شطرامن النهار فى غير توجس أو تحفظ أو كلفة .. وفى غير خجل مصطنع أو استحياء زائف ، وانما كانت كأخت تخدم شقيقها ، دون ان يخطر ببالها أنه رجل وانها فتاة ! ..** فابتاعت لى برتقالا عصرت لى رحيقه وسقتنى بعضه ، ثم خلعت قلادة صغيرة من فضة ، كانت تتدلى من عنقها بخيط أسود ، فثبتتها بدبوس الى ستار فراشي ، وهى تؤكد لى أننى لن ألبث أن أشفى ببركة القديسة التى نقش رسمها على رصيعة القلادة !

وترددت طويلا فى الانصراف ـ عندما مالت الشمس الى المغيب ـ ثم سألتنى عما اشتهى من رغبات ، واوصتنى بأن أصلى قبل أن أنام ، وبأن أدعو القديسة ـ صاحبة القلادة ـ كي تعيننى على سقمى .. وانصرفت !

* * *

• **ولست** أدرى هل استجابت القديسة لصلواتى حقا ، أو أن التسرية التى أضفتهـا على رعاية « جرازييللا » هى التى استلت الداء من جسمى .. فما ان انصرفت الفتـاة ، حتى غشينى نعاس هادىء عميق . واسيقظت منه فى الصباح التالى ، فرأيت قشـور البرتقال متناثرة على أرض الحجرة ، ومقعـد جرازييللا قريبا من فراشى وكأن الفتـاة التى كانت تشغله لن تلبث أن تعود اليه ، والقلادة ذات الخيط الأسود مثبتة فى ستار فراشى ، وكل الآثار الدالة على وجودها ، وعلى عناية المرأة .. العناية التى كنت أحن اليها ! .. وكانت الشمس تنساب الى الحجرة ، وكأنما بعثت الراحة فى أعضاء جسمى قوة ونشاطا . وثقل الصمت والوحدة على نفسى ، وشعرت برغبة ملحة فى أن أسمع جرس صوت محبوب مألوف ، فتشجعت على أن أغادر فراشى رغم ضعفى ، واستقللت عربة الى شاطىء « مرجيللينا »

وألفيت جرازييللا وجميع أفراد الأسرة متأهبين للخروج ، وقد حمل كل منهم هدية متواضعة .. كانوا يعتزمون زيارتى ، فما ان رأونى وتبينوا ما أصابنى من شـحوب وهزال ، حتى صاحوا فى دهشـة وذهول . وصفقت جرازييللا وهى تهرع نحوى قائلة : « ألم أقل لك ان القلادة ستشفيك ؟ » .. والتفوا حـولى وكأننى ابن أو أخ عاد بعـد غياب طويل . والواقع أن توطيد الصداقة والمودة مع أبناء الطبقات الفقيرة لا يحتاج الى مثل ما يستغرقه توطيدهما مع أبناء الطبقات الغنية الراقيـة من وقت ، اذ ان قلوب الفقراء تتفتح سريعا لأى طارق ، نظرا لأنهم لا يفكرون فى مصلحة أو منفعة تشوب عواطفهم وتشوه حبهـم !

وقصصت عليهم ، وقصوا على ، ما لقينـاه من أحداث فى فترة الفراق .. كان الشيـخ موفقا فى صيده ، والعجوز تربح من بيع السـمك ، وجرازييللا تحصـل على كسب جزيل اذ

راحت تمارس - الى جوار أعبائها المنزلية - الحرفة التى توارثتها أسرتها .. صناعة المرجان ! . فقد كان خالها مديرا لأكبر مصنع للمرجان فى (نابولى) ، وقد فكر فى أن يمد يد العون لأبناء اخته المتوفاة - جرازييلا وأخوتها الأطفال - دون أن يضطرهم الى الانضمام الى عماله ، ومن ثم أحضر للفتاة الأدوات اللازمة، ولقنها مبادىء هذه الصناعة السهلة البسيطة، فأقبلت جرازييلا عليها فى اوقات فراغها .. وكان خالها اذا عجز عن الحضور ، يوفد اليها ابنه الذى كان فى العشرين من عمره .. وكان هادئا ساذجا ، ولكنه - الى جانب ذلك - كان عاملا موهوبا ، راح يساعد الفتاة على اتقان الصنعة ، كما كان يلقنها مبادىء القراءة والكتابة والحساب .

وهمست جدتها فى أذنى : « لكم نرجو ان يعود هذا بالنفع عليهما معا ، فيقدم الشاب على خطبتها ! » .. ولكن جرازييلا كانت فى لهو عن آمال جدتها !

* * *

• وقادتنى الفتاة الى حجرتها ، فأرتنى الآلة التى تقطع المرجان وتشذبه وتصقله ، وهى تقول : « أليست هذه حرفة طيبة لمن كانت مثلى من بنات البحر ؟ .. اننا مدينون للبحر بكل شىء ! » . وانقضى النهار فى حديث ولعب وائتناس .. وشعرت بسعادة غامرة لم ادر مأتاها ، فتمنيت لو اننى كنت أحد النباتات المتسلقة المتشعبة الفروع - التى كانت تحيط بسياج حديقة الدار - حتى استطيع أن أعيش مع هذه الأسرة الفقيرة .. واذ أوشك النهار أن ينهزم أمام طلائع الليل، شعرت باكتئاب يستولى على روحى ونفسى .. وغشينى وجوم حزين .

وكانت جرازييلا أول من فطن الى ما اعترانى ،فسارت الى جدتها ومالت عليها فأسرت اليها بحديث خافت . واذا العجوز تقول لى ، وكأنها تحدث ابنا من دمها ولحمها : « ما الذى يدعوك

الى مغادرتنا ؟ .. ألم نعش معا وئام فى بروشيدا ؟.. أولسنا نفس القوم ، أم تبدلت حالنـا فى نابولى ؟ .. انك لتشـبه العصفور الذى فقـد أمه ، فراح يطوف بكل عش صارخـا مولولا !.. تعال فاسكن عشنا اذا رأيته لائقا بسيد مثلك !)) ..

وانضم الشيخ وبيبينو وأخواه الصغيران الى العجوز فى رجائها. أما جرازييللا ، فانها لم تنبس ببنت شفة ، وانما أخذت ترتقب ردى فى تلهف جهدت فى اخفائه .. وحانت منى التفاتة اليهـا فلمحت عينيهـا أكثر وميضا من المعتـاد ، ورأيتها تعتصر بين أصابعها غصنا غضا ، فأدركت ما كان بنفسها من قلق وانفعال ، ولم أجد بدا من أن أقبل ما اجتمع عليه رأيهم .. وبالرغم من أن البيت كان مؤلفا من ثلاث حجرات ، فانهم سرعان ما أفردوا لى غرفة منها ، فرحين !

وانتقلت فى الليلة ذاتها الى بيت الصياد!.. فلما كان الصباح التالى، استيقظت على شقشقة العصافير ، وعلى غناء جرازييللا التى كانت منكبة على عملها فى الغرفة المجاورة .. ونهضت الى النافذة ، فاذا بها تطل على حدائق الصيادين المتواضعة ، وعلى مغاســـل توارت بين صخور جبل (بوسيليبى) وشـاطىء (مارجيللينا) ، وعلى المراوح الهوائية التى تعلو الآبار ، وثمار الكرنب الهزيلة ، ونسوة الصيادين وهن ينشرن غسيلهن على حبال مدت بين الأشجار، واطفالهم يلعبون فى اقمصتهم القصيرة وبدا لى هـذا المنظر الفقير أبدع من مناظر المنـازل الشاهقة المتزاحمة فى المدينة ، لا سيما واننى أخـذت استنشق الهواء نقيا خاليا من الغبار والدخان اللذين يعكران هواء المدينة !

وعدت أستلقى على فراشى .. كان الأثاث متواضعا ، ولكنى كنت قانع النفس بأن العيش فى بيت يحبنى أهله ألذ وأحلى من الاقامة وسط الرياش الفاخرة، فما كان كل ذهب العالم ليشترى خفقة قلب واحدة ، ولا لمحة حنـان ، فى نظر من حرم العطف ونعمته ! .. أبدا ما أحسست ـ كما أحسست اذ ذاك ـ بأن

السعادة لا تقوم على الرفاهية والترف !

وهكذا عشت طيلة الأشهر الأخيرة من الخريف ، والأشهر الأولى من الشتاء ، فى حياة هانئة ، صافية ! . . وكانت « جرازييللا » خلال ذلك قد ازدادت اتقانا لفنها ، فتضاعف دخلها ، وأصبحت تبتاع لجدتها ولنفسها ملابس أغلى واحسن من تلك التى عرفتها بنات الجزيرة . . ولكنها لم تنظر قط الى هذه الأشياء كمظاهر للترف والنعيم . فان الحلى والزينة — فى البيئات التى يتجلى فيها الشعور بالجمال كأسمى المشاعر الحيوية ، وحيث تكون الحياة هى الحب — لا تعد من أسباب الترف ، وانما تكون من أهم الحاجات الأساسية للمرأة . . **وكانت جرازييللا ترتدى هذه الثياب وتتخذ أبهى زينة فى أيام الأحد والأعياد ، ثم تخطر جيئة وذهابا أمام نافذة حجرتى . فاذا ما فطنت الى أننى أرقبها ، تضرج وجهها . . والواقع اننى كنت أشعر لجمالها — فى بعض اللحظات — بسحر طاغ يجعلنى أتهيب التطلع اليها ، وكأننى أراها للمرة الأولى ، ويجعلنى أشعر بأن ما بيننا من الفة ومودة ، قد تحول الى تردد والى انبهار بفتنتها ! . .**

غير أنها كانت بعيدة عن أن تتعمد الاغواء ، فان الغريزة الفطرية التى كانت توحى اليها بالتزين كانت بعيدة عن كل فتنة واغراء !

* * *

• **وفيما** عدا مصاحبتى الى الكنيسة ، لم تكن جرازييللا تغادر الدار ، فأخذت انا الآخر أعود الى دراساتى رويدا ، وأستكين الى عزلتى المألوفة ، وان خفف ود جرازييللا وألفة الأسرة من وطأتها . . وحاولت ، اذ ذاك ، أن أسجل — شعرا ونثرا ، بالفرنسية حينا وبالايطالية حينا آخر — تلك اللمحات

الأولى من يقظة العاطفة .. تلك المشاعر التى تجيش فى القلب فى بداية وعيه ، فتثقله ، ولا تخف عنه وطأتها الا اذا فضفض بهـا ! . .

والظاهر أن الكلام كان أول حاسة اصطفاها الانسان لنفسه منذ الأزل ، وما أراه قد خلق الا ليرعى الافكار ويغذوها ، كما يحمل الغصن ثماره . . فان الانسان يظل حائرا قلقا حتى يسكب على الورق خواطره ، فاذا به يرى نفسه مسجلة فى كتاباته ومؤلفاته . . وبدون ذلك ، يظل المرء عاجزا عن استكمال شعوره بالحياة! . . ذلك أن للعقل والروح نموهما الذى يشبه نمو الجسد . وقد كنت فى تلك السن التى تحتاج فيها الروح والعقل الى التغذية لينموا . وما غذاؤهما سوى الكلام والكتابة !

وكانت جرازييللا تخلو الى احيانا ، فتروح تتطلع الى ــ وقتا طويلا ــ فى صمت يفوق ما ألفته فيها .. وكانت تندفع ــ فى أحيان أخرى ــ الى غرفتى فتنتزعنى من قراءاتى وكتاباتى ، وتختطف منى الكتاب أو القلم وهى تضحك ، ثم تقول فى لوم الأم المشفقة : « ما الذى يرويه لعينيك هذا الكتاب طوال نهارك ؟ .. ولمن تظل طيلة الليل تكتب تلك الرسائل الطويلة التى لا تلبث أن تلقيها فى الصباح الى الريح ، أو تطوح بها الى الموج ؟ . . أليس من الأفضل ان تتكلم معى انا التى أراك وأسمعك ؟ »

ثم تخفى عنى الكتب والأقلام ، وتدفعنى الى الخروج لأستروح النسمات وأريح ذهنى وعينى !

« القسم الرابع »

● **ولم** يعد الشعور بالوحدة والعزلة يمضنى كسابق العهد به ، وانما أصبح يساعدني علي أن أقصر تفكيرى على قلبى ..

فانني لم أعد كالعصفور الذى يحوم صارخا حول الأوكارالغريبة ـ كما وصفت العجوز حالى يوما ـ وانما أصبحت كالعصفور الذى يحاول أن يطير أطول مسافة بعيدا عن غصنه ، وهو موقن من أنه على دراية بطريقه الى العودة .. واقتصر ودى وعواطفى على « جرازييللا » . لا ، لم يكن هـذا الذى استشعرته حبا ، فانني لم أحس معـه بقلق ، أو غيرة ، أو انشغال بال .. كان نوعا من الراحة المستعذبة التى اطمأن اليها قلبى ، وليس لونا من الحمى الناعمة التى تصيب الروح والحواس .. **وما فكرت قط فى أن أحب أو أن أغدو محبوبا .. بل اننى لم أكن أدرى ما اذا كانت جرازييللا صديقـة ، أو حبيبة ، أو أختا ، أو أى نوع آخر من الأقارب .. كل ما عنيت بأن أشعر به وأدركه هو اننى كنت سعيدا معها ، وكانت سعيدة معى !**

ولم أكن قد بلغت تلك السن التى توحى للانسان بأن يحلل مشاعره ، وأن يفتش جوانب نفسه ، محاولا ـ عبثا ـ أن يحدد سعادته . وانما كان يكفينى أن أكون مرتاحا ، متصلا بغيرى ، سعيدا ، دون أن أبحث عن سر هذه الأمور ومبعثها ! .. كانت الحياة المشتركة ، وتفكيرنا المتبادل ـ كل فى الآخر ـ يوطدان تلك الألفة البريئة الصالحة التى جمعت بيننا ! .. وأصبحت اشغل جزءا من أفكار جرازييللا ، وما لبثت ـ هى الأخرى ـ ان صارت ترى فى كائنا مكملا لقلبها ، وان لم تدر أين كان مكانى من ذلك القلب !

أبدا لم تحس نحوى بشىء من تلك الرهبة أو تلك الكلفة التى تعترض مجرى أية علاقـة تقوم بين فتاة وشاب ، والتى تولد الحب ـ أحيانا ـ من عين الاحتياطات التى يتخذها المرء لتفاديه ! .. وأبدا لم يخطر ببالها ـ وان خطر لى أحيانا ـ أن اشـعة النضج ، التى أشرقت على سذاجة الطفولة البريئة ، قد أضفت على جمالها الجذاب قوة تجعل الكل يعجبون بها .. قوة كانت بالنسبة لى ـ أنا وحدى ـ مبعث خطر .. فان الفتاة ماحاولت

قط ان تخفى فتنتها عن عينى ، شأنها فى ذلك شأن الأخت ازاء أخيها ! .. وأبدا لم تحاول أن تتكلف فى زينتها من أجلى ، أو أن تبدى تحفظا حيالى ، بل انها كانت تلج غرفتى فى أية ساعة ، فتجلس امام فراشى فى براءة وسذاجة ، كما يجلس أى فتى من جنسى !

وكنت أساعدها ــ فى الأيام الممطرة ــ فى عملها ، منفردا معها فى حجرتها ساعات طويلة ، ونحن نثرثر ونضحك .. فاذا أمسى الليل ، وهجع أفراد الأسرة ، انقلبت الآية ، فجاءت هى الى غرفتى ، حيث كنت أساعدها على تعلم القراءة والكتابة ، اذ أن ابن خالها لم يكن يملك أن يجىء يوميا لذلك . وقد استطعت أن أكون أكثر منه توفيقا فى تعليمها ، رغم لطفه وطول أناته . ولعل مرجع ذلك الى أنها لم تكن تستوعب دروسه ، وانما كانت ترقب حركاته لتقلده أمامى . وكان المسكين رقيقا لينا معها ، يفعل كل ما كانت تبتغى حتى لا يراها عابسة !.. أما أنا ، فكنت اصطنع الجد أثناء الدرس ، واقسو فى تأنيبها اذا ما اخطأت ، حتى توشك أن تبكى .. اما اذا وفقت وأصابت ، فقد كانت تتطلع الى بوجنتين متوردتين ، وعينين متألقتين ، تنشد الجزاء . فكنت اتلو عليها بعض الشعر الذى كان يستدر دموعها ويسلمها الى التفكير . فليس للشعر من صدى أقوى وأبعد من صداه فى القلوب الشابة التى ترتقب مولد الحب .. انه يبدو كجيشان العاطفة المتوثبة ، المرهفة ، فى فترتين من فترات العمر : فترة الشباب ، حيث الأمل والرجاء . . وفترة الكهولة ، حيث اليأس والحسرة !

* * *

• **على أن** هذا الجو البديع لم يبعث فى نفسينا ــ من الأحاسيس والتقارب ــ أكثر مما يبعث فى نفسى اى طفلين بريئين ، فقد كنا فى مأمن من أية مشاعر أخرى .. وكان من

الممكن أن يدوم هذا البرود العاطفى، وهذا التجاهل لأية مشاعر قد تتحرك فى صدرى أى شاب وفتاة ، لو لم تعترض صلاتنا ظروف بدلت من الموقف ، وأقيظت عواطفنا ، وولدت فى قلبينا حبا اتخذناه وسيلة للسعادة !

كان « شيكو » ــ ابن خال جرازييللا ــ قد ثابر على تردده على الأسرة . ومع أن الفتاة لم تكن تظهر له شيئا من الايثار ، الا أنه كان بالغ اللطف معها ، والتواضع فى سبيل ارضائها .. كان من ذوى القلوب اللينة الضعيفة ، التى تحب بكل ما فيها من عاطفة ،وتقنع بأن تحب دون أن تطمع فى مقابل لهذا الحب!.. **واذا كان «الحب من اجل الحب» من صفات الملائكة ، فان «شيكو» البائس كان يكشف ــ أحيانا ــ عن بعض خصال الملائكة حقا ! .. ذلك أنه بدلا من أن يغار لأن الفتاة كانت تؤثرنى دونه ، اذا به يحبنى ، قانعا بأن يحتل المكانة الثانية لديها ..ولو انه أحس بأن فى وجودى اسعادا لها ــ وكنت غائبا ــ لما تردد لدى أول اشارة منها فى أن يجوب الأقطار بحثا عنى !**

ولعل كبرياءه كانت توحى اليه بأن يكتم حبه صامتا ، على أمل اننى ــ كأجنبى ــ لن ألبث أن أرحــل ، مدركا أن بيئتى ومركزى ماكان ليجدان فى بيئة ومركز ابنة صياد ما يناسبهما ! .. بيد أن أباه لم يكن قادرا على الجلد والصبر مثله !

وفى الليلة السابقة على عيد الميلاد، عدت الى البيت متأخرا ، فاذا بأفراد الأسرة قد التفوا حول مائدة العشــاء . ولاحظت على «أندريا» وزوجته وجوما باديا .. وتطلعت الى جرازييللا، فاذا بها مقرحة الجفنين من البكاء !.. وكانت تحاول التظاهر بالأكل ، ثم لم تلبث أن ضاقت بالتظاهر ، فنهضت عن المائدة ، ولاذت بفراشها . واذ ذاك سألت جديها عما كان هناك ، فذكرا لى ان والد «شيكو» أقبل ــ أثناء النهار ــ ليخطبها الى ابنه .. وهو عمل كانا يريانه بشير خير للفتاة ، اذ يكفل لها حياة طيبة ، ويمكنها من تربية اخوتها ، ومن ثم فانهما وافقا على الخطبة ..

وعندما تلقت الفتاة النبأ فى وجوم، عزيا ذلك الى حياء العذارى، وما خطر لهما أن لدموعهـا سببا سوى فرحها . واختتما حديثهما بأنهما اتفقا مع والد «شيكو» على اجراء مراسم الخطبة بعد اعياد رأس السنة .

ولم أستمع الى مزيد من كلامهما ، فما كنت من قبل قد حفلت بما كنت أضمر لجرازييلا من مشاعر ، وما عنيت بأن أتعرف مدى حبى لها ، ونوع هذا الحب .. **ولكن التفكير فى ان ثمة انقلابا مفاجئا لن يلبث ان يلم بحياتنا وعلاقاتنا، فينتزع جرازييلا منى ، ويدفع بها الى أحضان غيرى ، ويجعل منها غريبة عنى بعد أن كانت رفيقة وأختا لى ، ويحرمنى من أن أقرأ فى عينيها وميض العطف والحنان الذى كان يجلو عن قلبى مرارة الحرمان من الأم والأخت .. كل هذا نبهنى - للمرة الأولى - الى أن ما بينى وبين الفتـاة ، كان أكثر من الحب الأخوى والصداقة.. وشعرت بأنها كانت تملأ حياتى وحدها ، لا شريك معها ، وان نبأ زواجها صدمة لقلبى كفيلة بأن تجعلنى أعانى مرارة الأسى !**

واستلقيت فى تلك الليلة على فراشى بملابسى ، وقد طرد الانفعال المحتدم كل أثر للنعاس عن جفنى .. وكانت صورة « جرازييللا » ماثلة لا تبرح خاطرى ، كثمرة حلوة كانت فى متناول يدى ، ولكنى لم أفطن الى حلاوتها الا حين فقدتها ! .. ولم يكن لجمالها اية قيمة لدى حتى ذلك اليوم ، ولكننى انتبهت فجأة الى قيمته ! .. وألفيتنى مذهولا ، حائرا ، مخبولا ، كشخص أصيب بصدمة مفاجئة ، فلم يدر - لأول وهلة - أين موطن الداء ، وان راح يحس بوخزه !

وغادرت فراشى قبل ان تنبعث اية حركة فى البيت ، فرحت أهيم أياما على وجهى ، على غير هدى .. أقضى نهارى فى ارتياد جبل (فيزوف) - وكان البركان ثائرا منذ زمن - وألوذ فى ليلى بدير (سان سلفاتورى) ، وانا زائغ البصر شارد العقل..

اشبه بروح حائرة ! .. على أننى لم أكن أستطيع أن أظل طويلا على هذه الحال ، فقد أوشكت أيام عيد الميلاد على الانقضاء ، واقترب عيد رأس السنة .. لذلك أسرعت بالعودة ، فما ان رآنى بيبينو – على قيد خطوات من النار – حتى صاح فرحا ، وتعلق بعنقى . ثم اقتادنى الى القارب ، وراح يقص على ماجرى فى غيابى .. فان جرازييللا لم تكف عن البكاء منذ رحيلى ، وعافت الأكل ، وأخذت تقضى لياليها مسهدة فى الشرفة . وكان الفتى يعتقد ان هذا كله انما نجم عن رغبة الجدين فى ان يزوجاها من « شيكو » ، على غير رغبتها . ولقد تردد والد « شيكو » على الدار ، وأخذ الجدان يلحان على الفتاة ، ولكنها أبت أن تلين ، وهددت بالانتحار ! .. ثم اردف بيبينو قائلا : « **على أنها استردت عقلها الليلة ، وسمحت لنفسها بأن تلقى شيكو عند باب غرفتها، فوضع خاتم الخطبة حول أصبعها ، ولكن.. من يدرى ؟** »

وكان « اندريا » وزوجته يجلسان وحيدين – خلف مدخل الدار – حين ولجتها أخيرا ، فاستقبلانى فى لهفة ، وعتبا على غيابى الطويل المفاجىء ، ثم فضفضا الى بهمومهما ، وقال الشيخ: « لو انك كنت هنا، لوجدنا فيك خير معين ، فان الفتاة لاترفض لك رغبة ! .. لسوف تعقد الخطبة غدا ، ولسوف تكون من شهودها ! »

* * *

• **ووجدتنى** أهاب لقاء جرازييللا ، فيممت شطر غرفتى لفورى ، واستلقيت على فراشى . وما لبث التعب والارهاق أن أسلمانى الى النعاس !.. وكانت الليلة من ليالى الشتاء العاصفة، فراح باب حجرتى يهتز فى عنف .. وخيل الى مرة أو اثنتين – وأنا بين اليقظة والنوم – انه فتح ثم أغلق ، وأننى سمعت بكاء مكتوما وشهقات وسط ولولة العاصفة ، وان صوتا يائسا

كان يهتف باسمي وكأنه يستنجد بى !

وعندما استيقظت فى الصباح ، كانت العاصفة قد هدأت .. ولكن عاصفة أخرى ألمت بأسرة الصياد . فلقد فرت الفتاة المسكينة فى غسق الليل ، وفى غمرة العاصفة ، مخلفة وراءها وريقة كتبت فيها : « **اننى أوثر ان أهب نفسى للعبادة . . وأكل اليكما أمر تعزية شيكو والسيد الفرنسي الذى أدعو الله أن يرعاه والصغيرين** » ! .. وافلتت الوريقة من يدى ، فلما انحنيت لاستعادتها ، وجدت تحت باب حجرتى زهرة من زهور الرمان ، والقلادة التى كانت جرازييللا قد علقتها فوق سريرى أثناء مرضى .. وتذكرت ما خيل الى أنه كان من وحى الأحلام فى الليلة السالفة ، فأدركت انها هى التى فتحت باب غرفتى ، وهى التى كانت تبكى !

وعبثا بحثنا عنها فى أرجاء المدينة فى ذلك اليوم ، فعدنا الى البيت بقلوب أثقلها الهم واليأس .. ولم أطق مقاما ، فرحت أهيم على وجهى ، واذا بخاطر يومض فى ذهنى ، فيدفعنى الى ان استأجر قاربا الى جزيرة (بروشيدا) وما ان بلغتها ، حتى أسرعت الى كوخ اندريا فى لهفة وقلق . وكان الباب والنافذتان مغلقة ، ولكننى لمحت شعاعا ضئيلا من النور يتسرب من خصاص الباب ، وسمعت تهدج أنفاس وشهقات ، فرحت أهز الباب فى لطف ، وأنا أهتف باسم جرازييللا بكل ما كان فى قلبى من حنان ، وأستحلفها أن تفتح لصديقها وأخيها الذى جاء وحيدا فى بهيم الليل ، وفوق الأمواج الصاخبة ، تحدوه عواطفه الى البحث عنها ، حاملا اليها صفح أسرتها ، سائلا اياها ان تعود الى حياتها المرحة والى جدتها الوالهة وشقيقيها الصغيرين !

وما لبثت أن سمعت وقع قدمين ، ثم صوت جسم يسقط على الأرض .. ولم أعد أطيق صبرا ، فرحت أدفع الباب بعنف حتى انهار ، فاندفعت الى الداخل ، واذا جرازييللا ملقاة على أرض الغرفة الداخلية وقد ضمت يديها ، وأخذت ترمقنى

بعينين متقدتين من أثر الحمى .. والحب ! .. وركعت الى جوارها ، وتناولت يديها الباردتين بين راحتى ، ورفعتهما الى شفتى عسى أن تبث فيهما أنفاسى دفءا .. وتساقطت دموعى عليهما ، فاذا بهما تضغطان أصابعى ، وكأنما شاءت المسكينة أن تشعرنى بأنها أحست بأمطار قلبى !

ودثرتها بعد أن حملتها الى الفراش ، ثم أوقدت نارا ، وجلست الى جوارها ، فقالت فى صوت واهن : **لكم أنا قريرة الآن ! .. لقد حاولت أن أكتم عاطفتى عن نفسى وعنك .. كان الموت أيسر على من أن أحب سواك ! .. لقد حاولوا أن يزوجونى وما دروا انك قرين روحى ، واننى ابدا لن اهب قلبى لسواك .. هكذا أقسمت يوم خفق قلبى نحوك ، ولكننى أعرف اننى فقيرة غير جديرة ولو بخدمتك ، لذلك لم تصب نفسى الى أن تبادلنى الحب ! . والآن ، لك أن تضحك منى .. اعتبرنى مجنونة .. افضح سرى للعالم بأسره ، ولكن هذا لن يمنعنى من ان اكرر لك اننى .. أحبك ! »**

وأسندت جبينى الملتهب الى راحتيها ، وهممت بأن أتكلم ، فرفعت أصبعها الى شفتى قائلة : « انصت الى ! .. عندما هجرت البيت بالأمس ــ بعد أن قضيت الليل بطوله أطرق بابك وأبكى عند عتبتك ــ جئت الى هنا فى جوف العاصفة ، وأنا فى يأس من أن أراك ثانية .. كنت كميت يسعى الى قبره بقدميه ، فقد كنت عازمة على أن أهب نفسى لله . ولكنى بلغت الجزيرة بعد أن أقفل الدير بابه . ولم يجدنى الطرق والنداء ، فجئت الى هنا لأقضى بقية الليل ، وأودع بيت أهلى . وأوقدت المصباح أمام صورة العذراء ، ورفعت الى الأم دعائى الأخير .. دعاء المتخبط فى دياجير اليأس .. دعاء ازجاه الحب المتقد فى أعماق فؤادى ! .. قلت لها : « يا قديستى الحارسة ، ابعثى الى بدليل أخير على أن الحب لم يغرر بفؤادى ، وعلى أننى أهب الله حياة ما كانت لتكرس لسواه . هذه ليلتى الأخيرة بين الناس ،

وليس من يدرى مكانى أو ملاذى . فاذا جاء ذلك الحبيب قبل أن ألجأ الى الدير فى الصباح الباكر ، كان هذا دليلا على أنك لا تريدين أن أكرس حياتى لك ، وعلى أننى يجب أن أعود معه لأقضى العمر فى حبه » .. وقصصت شعرى بيدى لأهبها اياه اذا تحققت هذه المعجزة ! »

ورفعت منديلا كان يحيط برأسها ، فاذا بشعرها الجميل قد تلاشى ، واستلقت خصلاته الى جوارها .. وهتفت فى صوت طافح بالغبطة : « **لقد حققت العذراء معجزتها ، فلها شعرى ولك حياتى !** » .. وخيل الى أن التضحية قد زادت الفتاة جمالا .. كنت اذ ذاك صغير السن ، غريرا !

وقضينا الليل فى مناجاة يحف بها الطهر والنقاء .. وكان قلبى لا يزال غضا لم ينضج .. كانت تربته لا تزال مجدبة .. تساقطت اعترافات جرازييلا فى فؤادى كقطرات الماء فى فم الظامىء !.. ثم انقضى الليل وكأنه شهقة عاشقة ولهانة ، وأقبل الصباح كعذول يقطع علينا خلوتنا .. وما ان ارتفعت الشمس فوق حافة الأفق ، حتى أقبلت الأسرة بأسرها . اذ كانت الفتاة قد ارسلت ـ قبل رحيلها عن دار أهلها ـ الى صديقة لها من راهبات الدير ، تعلنها بعزمها . فاشتمت الراهبة فى الأمر سرا **رابها ، واتصلت بالصياد .**

وركعت الجدة العجوز الى جوار مرقد جرازييلا ، بينما ارتمى الصغيران على صدرها ، وقد اختلط بكاؤهما بصيحات الفرح !

* * *

• **وعدنا** الى نابولى فى مساء اليوم ذاته ، وقد ازدادت الأسرة ـ لا سيما زوجة الصياد ـ اعزازا لى ، دون ان يخالج الريب أحدا فى حقيقة علاقة «جرازييللا» بى . فقد عزا القوم ماحدث الى نفور الفتاة من « شيكو » ، فتمنوا ان يعمل العقل والزمن

على مغالبة هذا الاعراض، وان وعدوها بأن لايعودوا الى الضغط عليها ، فاطمأنت نفسها !

ورفرفت السعادة علينا ، لايكاد يعكر صفوها سوى ذكر « فرنسا » فى أى حديث . . فقد كانت « جرازييللا » تجفل موجسة لدى سماعه . **بل انها أقدمت على تمزيق خير ثيابى، قائلة وهى تركع عند قدمى : « ان كل ما يذكرنى بأنك قد تفارقنى يوما ، يبعث القلق فى نفسى » !** . . وهكذا انقضت ثلاثة أشهر ونحن فى دنيا من نسج الخيال ، ينيرها الحب ، ويدفئها الحنان . . كنا فى فردوس ، لم يكن يشوب بهجته سوى نوبات من الوجوم والبكاء ، تعترى « جرازييللا » كلما فكرت فى اننى قد أعود يوما الى وطنى . ولقد فاجأتها ذات ليلة ، وهى تتأمل ثوبا باريسيا فاضحا ، كانت ترتديه ، فما ان رأتنى حتى امتقع وجهها ، ونكست رأسها . . **والحق انها كانت جميلة فى ذلك الثوب ، ولكنها بدت لى كزهرة برية وسط بستان لزهور الزينة الناعمة . . كان جمالها فى ثيابها البسيطة أروع وأبهى منه فى احدث ازياء باريس الغالية . . وقلت أخيرا : « الا ترين ان الله خلق هذا الجمال ليلائم لباسه الطبيعى ! . . لاتحاولى أن تفعلى مافعله الغراب اذ شاء ان يقلد الطاووس ! »**

وجرحت كلماتى فؤادها، وفهمت عباراتى على غير معناها ، فانفجرت باكية ، وهى تقول : « اعرف اننى لست سوى فتاة فقيرة من جزيرة متواضعة . . لقد ظننت ان بوسعى ان أصحبك الى بلادك، دون ان اجلب عليك الخزى، اذا انا غيرت لباسى . . اما الآن ، فقد آمنت باننى خليقة بأن ابقى حيث أنا ! » . . واخذت تمزق الثوب فى ثورة جامحة ، وهى لاتكف عن البكاء !

بل انها كثيرا ما كانت تمسك عنى الخطابات التى تصل من فرنسا ، لتضعها أياما أمام صورة العذراء ، عسي أن تستطيع القديسة أن تحول ما فى هذه الخطاب من دعوة الى العودة ، فتجعلها دعوة الى البقاء !



ولكن لكل شيءنهاية!.. ففى احدى الليالى الأخيرة من شهر مايو ، وقد أوى أفراد الأسرة الى مضاجعهم ، دوت طرقات عنيفة على باب الدار ، فخففت بنفسي الى الطارق . واذا به صديقى الفرنسى الحميم ، وقد جاء ينبئنى بأن أمى كانت مشرفة على الموت ، وأن لا بد لى من الرحيل ، على أن أعود — اذا شئت — بعد ان اؤدى واجبى نحو هذه الأم التى تحملت من أجلى الكثير .. وتملكتنى حيرة مشوبة بالأسى ، ولكننى لم ألبث أن أسرعت أعد حقيبتى، وكتبت لجرازييللا مؤكدا وفائى، مقسما أن أعود بعد أربعة اشهر .. **وفيما كنت أتسلل خارجا، لمحت جرازييللا وقد رابتها الحركة ، فخرجت تستطلع ما كان يجرى .. وما ان رأت مظهرى ، حتى أدركت نيتى، فصرخت فى جزع ، ثم هوت على الارض !**

واسرعت احملها الى فراشها ، وقد أحاط بنا أفراد الاسرة، الذين ايقظتهم الجلبة .. وقبل ان تفيق تماما من غشيتها ، نحى صديقى ذراعيها عن عنقى ، ودفعنى الى الخارج ، حيث أقلتنا عربة الى روما ..

ومكثت ثلاثة اشهر دون أن أتلقى من جرازييللا خطابا .. وكنت لا أنفك أفكر فيها، وأستحث طلائع الشتاء لأرحل اليها، فقد كان طيفها لايفارقنى فى يقظة أو نوم ، وكان دائما يتطلع الى فى حزن وأسى ، يشوبهما شيء من العتاب واللوم . ولكننى كنت فى تلك السن التى ينساق فيها القلب لطيش الشباب ، فيغدو عرضة للتقلب ، لا يكاد يعرف استقرارا !.. **ذلك لأن**

المرء ـ فى باكورة الشباب ـ لايستطيع السيطرة على فؤاده ، ولا يملك أن يحب حبا صادقا ، وانما هو يغتر ويزهو اذا شعر بأنه محبوب ، فيوحى له ذلك بأنه عاشق!.. ان الحب لاينجم الا عن حياة ناضجة ، ولكن المرء فى سن الثامنة عشرة لايصل الى المعرفة الصحيحة ، ولا يستطيع أن يدرك حقيقة مشاعره ونزواته ، ومن ثم يخدعه الوهم والخيال !

ولم تلبث حياة باريس ان اوحت الى بغرور تملكنى، فجعلنى أخجل من ان أحب ابنة صياد السمك فى (بروشيدا) ، وأنبذ حسان باريس !

* * *

• وفى احدى الليالى الأولى من شهر نوفمبر ، عدت الى منزلى فى ساعة متأخرة من الليل ـ عقب حفلة راقصة ـ فوجدت فى انتظارى طردا لم أكد أفضه، حتى وجدت الرسالة الأخيرة من جرازييللا . ولم تكن تحوى سوى هذه الكلمات : **((لقد قال الطبيب انني سأموت قبل انقضاء ايام ثلاثة، فأردت أن أودعك قبل أن تفارقنى قواى . أواه !.. لو انك كنت هنا، لقدر لى أن أحيا !.. لسوف أخاطبك عما قريب ـ ودائما ـ من السماء ، وسأترك روحى معك طوال حياتك !.. كما أترك لك شعرى الذى قصصته من أجلك فى تلك الليلة ، فهبه لله ، وأودعه أحد معابد بلادك ،ليكون ثمة أثر منى على مقربة منك))**

وبقيت جامدا فى مجلسى حتى الصباح .. ورحت استعرض الماضى ، وما زلت اذكره الى اليوم !

ان الزمن قد يستطيع ان يمحو ما على الارض ، ولكنه لن يقوى البتة على أن يمحو آثار الحب الاول من القلب !.. وعلى الرغم من انصرام الايام ، فاننى ما زلت أذكر أننى قد أحببت يوما ، وكنت محبوبا !.. وبالرغم من اننى التقيت بنساء من أجمل خلق الله ، الا أن واحدة منهن لم تقو على ان تمحو طيف

« جرازيللا » من نفسى !

ولقد ذهبت الى (نابولى) بعد ذلك باثنتى عشرة سنة، فبحثت عن آثارها ، ولكنى لم أجد شيئا منها فى (مارجيللينا) ولا فى (بروشيدا) . . **اواه يا جرازييللا المسكينة !**

الخالدات



شهيرات النساء

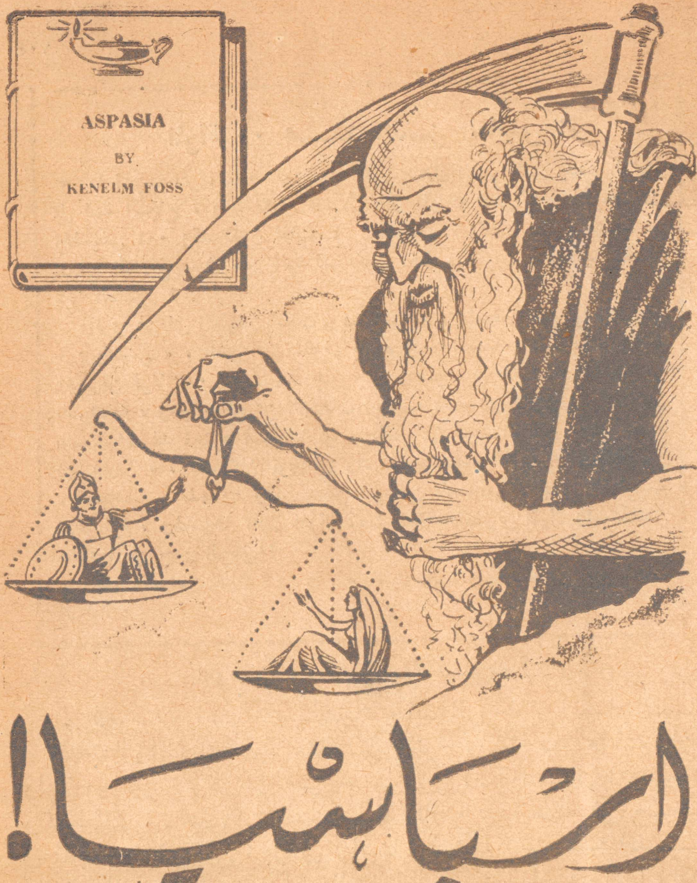
عزيزى القارىء ..

فى أعداد سابقة ، قدمت لك فى هذا الباب من قصص حياة شهيرات النساء ، هذه السير :

• فلورنس نايتنجيل • مدام كورى • ساره برنار • بيرينيس • كليوباترا • مدام دى ديفان ، وجوليا دى لسبيناس • كريستين ، ملكة السويد • راشيل • مارى باشكرتسيف • كاترين مانسفيلد • كاترين، امبراطورة روسيا • سوسان انتونى ..

واليوم أقدم لك غانية حيرت التاريخ ، هى : أسباسيا ، التى اسقطت حاكما، واشعلت حربا، وحررت المرأة الاغريقية ..

وفى الاعداد القادمة سأتبعها بسير أولئك اللائى تتوق الى معرفتهن من الخالدات



اسباسيا!

الغانية التى أفسدت حاكما ، وأثارت حربا
وحررت نساء الإغريق !

بقلم كينلم فوس

المرأة .. هــذا اللغــز الغامض !

◆ ما أعجب المرأة !.. انهـا قد تكون الملاك الملهم الذى يدفع الرجل الى قمة النجاح ، وقد تكون الشـيطان المهلك الذى يزج بالرجل الى الحضيض !.. وقد تكون أفضــل المخلوقات ، ولكنها تروح مهملة فى ادراج التاريخ ، فى حين أنها قد تكون أحط الغانيات ، ولكنها تخـلد عبر العصور !

ترى من أى الصنفين كانت « أسباسيا » ، عشيقة السياسى الاغريقى « بريكليس » ، الذى كان الحاكم بأمره فى (أثينـا) منذ نيف وثلاثة وعشرين قرنا ؟.. لقد قال « جان جاك روسو » فى الكراسة الخامسة من اعترافاته ، وهو يدافع عن العلاقات الجنسية لمدام دى فاران : « اذا كان سـقراط قد احترم أسـباسيا ، فانه كان قمينـا بأن يحترم مدام دى فاران » ، فقد كان يرى أن راعيته وعشيقته كانت أرفع مقاما من « أسباسيا » هذه .. ولكن بعض المؤرخين القدامى ، مجدوا الغانيـة الاغريقية ، وخلدوها كأول امرأة قامت تجاهد لتحرير المرأة واستخلاص حقوقها من جور الرجل !

فأى الصنفين كانت ؟.. هذا ما نترك لك استخلاصه من الصـفحات التالية :

أمومس .. أم زعيمة نسوية ؟

◆ **قد** يبدو اسم «أسباسيا» خابيا الى جوار اسماء النساء المتألقات فى التاريخ، من امثال كليوباترا، ومدام دى مونتسبان، ولولا مونتيز ، وغيرهن ممن جمعن بين فتنة الجمال ، والنفوذ والسلطان .. على ان «أسباسيا» كانت يوما ملكة غير متوجة فى المجتمع الاغريقى ، بل فى (اثينا) عندما كانت هذه المدينـة مصدر النور للعالم .. نور الحضارة ، ونور المعرفة !.. ولقد أصبحت خلال الألفى سـنة الأخيرة ، رمزا لطـراز خاص من النسـاء .. رمزا للمرأة التى تعتبر مستشـارة لرجل الحكم والسياسة ، اكثر مما هى جارية لاشباع رغباته !

وقد بلغ من طغيان الصفة الأولى على الثانية فى حياتها ، ان

بعض المصادر التاريخية تنكر انكارا مطلقا ان «أسباسيا» كانت مومسا عاهرة ، وتصورها كأول بطلة مجاهدة فى سبيل حقوق المرأة وحرياتها .. **فى حين ان بعض أهل الرأى والمؤرخين ــ ومنهم القدامى امثال اريستوفين وبلوتارخ ــ يؤكدون انها لم تكن أكثر من مومس وقوادة ، ولم تكن تمتاز على لداتها فى هذا المضمار ، الا بأنها كانت مفرطة الذكاء ، ولم تكن تحصر أهدافها فى النطاق الذى تسعى فيه زميلاتها ..** وهم يستشهدون على ذلك بأنها انجبت ابنا غير شرعى من السياسى الاغريقى « بريكليس » .. ولم يكن هذا الابن اول ــ ولا آخر ــ ابناء السفاح الذين انجبتهم !

.. أم جاسوسة للفرس ؟

♦ **اما** انها كانت على جمال لايقل عما اوتيت به من ذكاء ، فهذا ما تشهد به الصورة التى خلفها التاريخ لها فى متحف «الفاتيكان» .. وكان اول ظهورها فى ردهات التاريخ ، كعميدة لمعهد للبلاغة والبيان والالقاء ، يقال انها كانت تديره الى جانب مؤسسة أخرى ، تمثلت فى .. بيت للبغاء !

ويذهب بلوتارخ الى الظن بأنها كانت تتجسس لحساب فارس ، التى كانت ألد غريم لأثينا ، وانها أوفدت خصيصا لتوقع «بريكليس» فى احابيلها .. واذا صح هذا ، فلا بد ان اغواء هذا السياسى بالذات ، قد استغرق منها وقتا طويلا ، فقد كانت «أسباسيا» محوطة بعدد كبير من المعجبين والعشاق ، عندما ظهر « بريكليس » على ابواب حياتها للمرة الأولى !.. **وكان من هؤلاء المعجبين «سقراط» ، رب المنطق وحرية الرأى ، والفيلسوف السياسى ، والخطيب المفوه .. ولعلها من المفارقات العجيبة حقا ، ان يرى مثل هذا العبقرى الدميم السحنة ، الزرى الملبس ، فى دار مترفة للدعارة ، لم يكن يغشاها سوى اثرياء الاثينيين !**

ومن العبث ان نبحث عما اذا كان « سقراط » قد لجأ الى «صالون» أسباسيا ، فرارا من لسان زوجته السليط ، أو ان زوجته لم تطارده بلسانها الا عندما اكتشفت انه غدا من المحومين حول « أسباسيا » .. المهم فى الأمر ، انه كان يرتاد دارها !.. وتتناهى الينا ـ عبر ردهات التاريخ ـ همسات ساخرة اطلقها غرماء « سقراط » لتوحى بأنه ماكان يتردد على منزل البغاء ، الا لينعم بقرب الفتى الجميل « ألسبياديس » ، وانه كان يتخذ من «أسباسيا» وسيطة تسعى لاجتذاب الفتى اليه !

رئيس الوزراء فى « صالون » الغانية !

• **وسواء** كان هذا هو الصحيح ، او ذاك هو الاصح ، فان تردد الاستاذ النابغة على دار الغانية المتحررة ، اذكى شهرتها، واجتذب مزيدا من أهل الفكر والرأى الى مجلسها ، نظرا لما كان يعقده سقراط من ندوات ومجادلات هناك .. وسرعان ما أصبح «صالون» أسباسيا ملتقى النخبة المختارة من ذوى الفكر اللامع والآراء المدوية، وغدا هذا «الصالون» بمثابةالمشهد الأول ـ والرئيسى ـ فى فترة انبثقت فيها اضواء الثقافة قوية ثاقبة تبهر العقول .. فكان من رواده الفيلسوفان « زينون » و « برتاجوراس » ـ زميلا سقراط ـ و « افلاطون »تلميذه ، و «اريستوفانيس» الذى خلد التاريخ ذكره فى الهجاء المقذع ، و «سوفوكليس» و «يوريبيديس» ـ صاحبا المسرحيات التى لاتزال من اعظم الثروات المدخرة فىعالم الأدب ـ و «ابوقراط» ابو الطب .. وغيرهم .

وفى مقدمة هؤلاء جميعا ، كان ثمة «بريكليس» ، الذى كان بمثابة رئيس الوزراء فى جمهورية «اثينا»، والذى بلغ من نفوذه وسلطانه، انه كان الحاكم الأول ـ بل والفرد تقريبا ـ فى الدولة .. وكان الى جانب ذلك على قدر كبير من جمال الجسم ،


((بريكليس))

ووسامة الخلقة، واناقة الملبس.
ومع انه كان يأمر الرسامين والنحاتين بأن يصوروه مرتديا خوذة ضخمة ، ليبدو فى مظهر المحارب الشديد البأس ، الا انه فى الواقع كان — كهنرى الرابع، ملك انجلترا — يتوج رأسه بعمامة هائلة ، ليخفى صلعه !

بين أخطار السياسة . .

. . وأخطار الجندية

. ولا مفر من شيء من الاسهاب فى ذكر حياة «بريكليس» ، اذا اردنا ان نوفى سيرة «أسباسيا» حقها !.. فلقدنشأ «بريكليس» فى جو مشبع بأحاديث السياسة العليا للدولة وأحداثها . اذ كان ابوه «اكسانتيبوس» قائدا للأسطول الأثينى ، وكبيرا بين الرؤوس الحاكمة للدولة . وكان من الطبيعى ان يخلع هذا الجو رزانة وهدوءا وتمالكا للنفس ، على الشاب الناشىء.. ثم قدر له ان يشهد أباه يقصى عن مناصب الحكم ، لأنه كان ذا ميول محافظة أكثر مما كان ينبغى . **فكان من آثار ذلك ان عقد الشاب عزمه على ان ينأى بنفسه عن هذه المناصب بالذات ، وآثر ان يكرس حياته للجندية اذ رأى ان مخاطرها أقل عنفا ومداهمة من أخطار الجو السياسى والصراع على الحكم !**

ولقد قدر لبريكليس ان يشهد زوج ابنة عم له ، يرقى الى قمة المناصب السياسية ، فلم يغره هذا بأن يحذو حذوه ، ولم يجتذبه الى ابهة الحكم واضوائه .. على ان «سيمون» — ذلك الصهر — لم يلبث ان توفى فى سنة ٤٤٩ قبل الميلاد . **فاذا الشعب الذى كان يحبه ويتعلق به، يتطلع الى ((بريكليس))**

كخليفة طبيعى له فى حكم «اثينا»، لا سيما وان مواهب الشاب كانت قد تفتحت وتجلت للانظار ، كما ان انتصاراته العسكرية — فى المعارك التى قاد فيها الاثينيين ضد فارس واسبارطه — جعلت قلوب الشعب تتجه اليه !

لقاء ، فافتتان ، فاندفاع !

• **وهكذا** قدر لبريكليس ان يتحول الى ميدان الحكم والسياسة رغم قراره . وكانت سياسته تهدف الى توفير السيادة البحرية لدولته، والى عقد محالفة مع الدويلات القائمة فى المدن والجزر اليونانية ، ليضع حدا للتناحر والحروب التى كانت قائمة بينها. وقد أثمرت جهوده فى هذا المضمار، فأجدت على (اثينا) سلاما دام عشرين عاما . وكانت هذه الفترة بمثابة استراحة استغلتها (اثينا) فى النهوض بآدابها وفنونها ، وفى تعمير ارجائها ، وتجميل ساحاتها . . وأصبح « بريكليس » صاحب الفضل الأول فى الرقى بالدولة الى أوج الازدهار ، اذ شجع فن المعمار ، واحتضن مؤلفى التمثيليات ، رغم ما كان يلقاه فى مجلس الشيوخ من حملات معارضيه الذين كانوا يرون فى كل هذا ترفا وبذخا كفيلين باستنزاف موارد الدولة

ولن يعنينا ان نمضى فى سيرة «بريكليس» — كحاكم — الى أبعد من هذا، ولكن كل ما بقى لكى يقال، هو انه كان ديكتاتورا مصلحا محبوبا !

وعندما بلغ الأربعين من عمره — فى سنة ٤٥٠ قبل الميلاد — كان زوجا وأبا لولدين احدهما فى الرابعة عشرة ، والآخر فى الخامسة عشرة .. **ولكنه لم يكن قانعا بزوجته وحدها، فكانت له مغامرات غرامية ، شأن رجال عصره . ثم قدر له فى ذلك العام من عمره ، ان يلتقى بأسباسيا ! .** . وكانت فى الخامسة والعشرين ، غضة ، جذابة ، بلغ من وقع فتنتها عليه ، انه بادر الى نبذ غرام عنيف كان قد بداه مع غانية كورنتية ، ليرتمى فى

احضانها هى !

يطرد زوجته ليتفرغ لعشيقته

• **ووجد** «بريكليس» فى «اسباسيا» عشيقة على غير غرار من عرفهن من عشيقات . فلقد بهره ذكاؤها الفذ، وبراعتها فى معاملة ضيوفها ، وحلو شمائلها ورقة طباعها التى كانت تفوق ما لكريمات النساء من بنات أرقى النبلاء .. **وسرعان ما انصاع « بريكليس » - القائد والديكتاتور - لسلطان هذه الغانية انصياعا تاما ، حتى انه طرد زوجته من داره ، وعاش مع « أسباسيا » غارقا فى حياة اللهو والعبث ، منفقا عليها كل موارده !**

والغريب فى أمره ، انه عمد الى الطلاق من زوجته رسميا ، مع انه لم يكن بحاجة الى ذلك ، اذ ان تقاليد العصر كانت تجعل حيازة المتزوجين للعشيقات أمرا لا يدعو الى الانتقاد أو الانتقاص! .. ويبرر «بلوتارخ» - أو بالأحرى يشرح - هذه النقطة بقوله: « أصبح من المتعذر على بريكليس وزوجته ان يعيشا فى وئام ، فما كان منه الا ان خلعها - برغبة منها - على زوج آخر ، وعاش هو مع أسبآسيا التى كان مدنفا فى هواها » !.. على ان صعود نجم أسباسيا - فى سماء حياة بريكليس - فجأة وبقوة، وافول نجم زوجته فجأة وبسرعة ، يوحيان بأن ما كتبه «بلوتارخ» ، انما نقله عن شائعات اطلقها بريكليس وأعوانه ، لتخدير الرأى العام والايحاء اليه بأن الزوجة كانت «راغبة» فى هذا الانقلاب ، وانها لم تكن مظلومة !

الشعب يقف بين العاشقين !

• **ومرة اخرى** ، نرى ان بريكليس لم يكن بحاجة الى تبرير مسلكه هذا ، فقد ألف الشعب ان يرى الساسة والكبار على علاقات بالغوانى .. اذن ، فما السبب الحقيقى ؟

نستطيع ان نتبين هذا السبب اذا علمنا ان علاقة بريكليس بأسباسيا ، انتجت ثمرة راحت تتحرك فى أحشاء الغانية . . **وما كان أبناء السفاح بدعة اذ ذاك، ولكننا اذا وضعنا فى اعتبارنا ان طموح «أسباسيا» ــ لا سيما اذا صح ما قيل عن تجسسها لحساب الفرس ــ كان يدفعها الى ان تسعى الى اتصال قوى بالديكتاتور الاثينى، وجدنا ان من المعقول انها راحت تضغط ــ بكل مفاتنهــا وسحرها ــ على بريكليس لتضمن وضعا شرعيا لها ولجنينها !** . . ومن ثم طلق الرجل زوجته فى تسرع وجفاء ينبوان عن الخلق الكريم ، لكى يتزوج من «أسباسيا» قبل ان يهبط الجنين الى الدنيا !

ولكن هذا الزواج لم يتم ! . . فان الرأى العام لم يلبث أن أفاق من تخدير حبه لبريكليس، فبدأ يتهامس عن هيام حاكمه بامرأة غريبة عن (اثينا) ــ اذ كانت أسباسيا من (ميجارا) ــ وقويت الهمسات فأصبحت أصواتا تعرب عن ان الشعب قد يغفر للحاكم ان يتخذ عشيقة ، ولكنه لايرتضى اطلاقا ان تكون السيدة الأولى فى الدولة أجنبية . . ومومسا !

زعيمة النساء !..

• **وكان** بريكليس يعمل لسخط الشعب ألف حساب، حتى ليذهب «افلاطون» و «ارسطوطاليس» الى انه كان « هيابا الى درجة الجبن » من سخط العامة . . لذلك فان بريكليس لم يكد يسمع التقولات، حتى بادر الى عمل جرىء يسترضى به الناس، فأصدر تشريعا يحرم على الاثينيين ــ وهو فى طليعتهم ــ الزواج من اجنبيات . . وبهذا أوحى الى الرأى العام بأنه لم يكن يعتزم الاقدام على ما كان الجميع يتوقعونه !

على ان هــذا لم يحل دون ان يظل سلطان أسباسيا عليــه وطيــدا شاملا ، وعلى ان يبقى العاشقــان متلازمين فى حياة واحدة ، كانت الغانية فيها مثالا للزوجة وربة البيت . . **وقد**

استغلت مكانتها ونفوذها لكى تعمل ما يعزز مركزها لدى الشعب ، فهداها ذكاؤها الثاقب ، الى ان تقود معركة تحرير المرأة من ربقة الرجل ، فقد كانت المرأة الأثينية - فى ذلك الحين - جارية مسلوبة الحقوق والحريات !

وكان من الطبيعى ان تقدر نساء أثينا لها هذا الصنيع، فاذا الزوجات الشابات ، من نساء الطبقة العليا ، يترددون على « صالونها » - على قدم المساواة مع السادة من رواده - للمرة الأولى فى تاريخ المجتمع الاغريقى

تزود عشيقها بعشيقات جديدات !

• ولكن . . !

ولكن الهمسات المتسللة عبر أبهاء التاريخ ، توحى بفكرة أخرى ، تشوه جمال التحرر الذى يمثله تردد نساء « اثينا » الراقيات على «صالون» أسباسيا . . توحى بأن هذا التحرر لم يكن سوى ستار، حرصت تحته الغانية على ان توفر للديكتاتور العاشق - وعلى ان تزود دار دعارتها - بأجساد فتية ، لدنة . . طازجة !

وكانت بارعة فى دراسة نفسية بريكليس ، فأدركت ان خير الوسائل للاحتفاظ بسلطانها عليه، هى ان تمده دائما بعشيقات جديدات ناضرات . . **ويقال ان هذا الاتجاه من « أسباسيا » كان يتلاءم تماما مع النشاط الذى بدأت به حياتها ، كربةبيت للفسق ، بل ان مساهمتها فى افساد شباب (اثينا) وشاباتها ، ازدادت بازدياد نفوذها على الحاكم ، وسلطانها فى المجتمع**

على ان الشعب لم يلبث ان ضج من هذه الحال ، وارتفعت همهمته الى نقدات عالية ، وألقاب راح يخلعها على « عشيقة الديكتاتور » ليعرب عن رأيه فيها ، فما كان من « بريكليس » الا ان تعقب الناقدين بالعقاب . ولكنه ما كان ليملك ان يكمم أفواه الناس ، لا سيما وان عدد شانئيه والحاقدين عليه كان فى

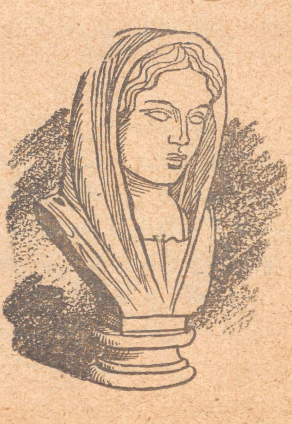
ازدياد .. ولم تثمر شدته سوى اتجاه جديد فى دعاوة خصومه، فاذا بشائعات تنتشر فى طول (اثينا) وعرضها ، بأن بريكليس قد اعتزم ان يزج بالدولة فى حرب ضد (ساموس) ، دون ما مبرر سوى ارضاء نزوات « أسباسيا » !

عشيقة الديكتاتور .. أمام القضاء !

• **ولم** تكن الشائعات تخلو من حقائق، ولكن النقمة حورت هذه الحقائق !.. فمن الصحيح ان « أسباسيا » كانت تحقد على جزيرة (ساموس) ، اذ ان اثنين من ضباطها اختطفا يوما فتاتين من المومسات اللائى كن فى خدمة رواد دارها !.. ومن الصحيح كذلك ان «بريكليس» كان يتحرش بأعدائه ، ولكنه لم يكن يذهب الى أكثر من مجرد التحرش، حتى لقد أشاع ناقدوه اذ ذاك قولا أرادوا به السخرية منه ، فذهب مثلا فى التاريخ :

« يريد ان يجرح ، ولكنه يجبن عن الطعن ! »

ولكن اعداءه فى الداخل ، ما لبثوا أن اصبحوا أقوى أثرا واشد اقلاقا لطمأنينته من اعدائه فى الخارج . . وعوقب اثنان من المقربين الى سقراط والحكماء، لانهما أطلقا لسانيهما فى النيل من «أسباسيا» .. **وان لم يجسر الحاكم على أن يقول ذلك علانية، فلفق لهما تهمة «الكفر بالآلهة ، والانحلال الخلقى » . وقد مات أحدهما ــ وهو «فيدياس» المثال ــ فى السجن،**



« أسباسيا »

بينما فر الآخر الى خارج روما !

ولكن هذا لم يزد اعداء بريكليس واسباسيا سوى جراة فى مهاجمتهما ، فاذا قادة الرأى يطالبون بمحاكمة الغانية بوصفها أجنبية تعمل ـ متعمدة ـ على افساد نساء (اثينا) فى سبيل ارضاء لذة بريكليس .. ودعيت اسباسيا فعلا لكى تحاكم ، ولكنها ـ كأجنبية ـ لم تكن تملك حق المثول مباشرة أمام القضاء ، فاذا بريكليس يتقدم بشخصه للدفاع عنها !

يعلن حربا ليشغل الرأى العام !

• **ولأول** مرة ، يجفو «بريكليس» الأصول التى كان يتطلبها وقار اسمه وجلال سمعته .. ولأول مرة ـ أيضا ـ يخونه « لسانه الذهبى » ، كما كان يوصف لشهرته كخطيب،وتخونه الحجة واللباقة ، ويخونه ما عرف به من اتزان ورباطة جأش، فاذا به يبكى امام القضاة ، ليستعطفهم من أجل عشيقته !

ولقد أفلحت الدموع فعلا ، ولكن أهل الرأى لم يحجموا عن ان يجاهروا بأن تبرئة أسباسيا كانت « منافية للعدالة » .. **واذا كان بريكليس قد أفلح فى انقاذ عشيقته، الا انه فقد سمعته كسياسى محايد كان الشعب يتطلع اليه فى اجلال واكبار !**

وهنا يتساءل المؤرخ الأشهر « بلوتارخ » : **هل كان اسراع بريكليس الى الزج بأثينا فى حرب مع (الاسيديمونيا)، عقب ذلك مباشرة، محاولة منه لتحويل الرأى العام عن هذه الفضيحة، أملا فى ان يعود الى اجتذاب ود الشعب باظهار مهارته كحاكم وقائد عسكرى ؟**

على ان القدر كان يعمل على عكس رغبته .. فلقد رأى ان الضرورة العسكرية تدعو الى ازالة المحصولات والممتلكات المنقولة من منطقة تحيط بالمدينة ، تمكينا للدفاع عنها ، فاذا بهذا الاجراء يثير عليه ثائرة أصحاب الأراضى والأثرياء !.. ثم أرسل القدر وباء على المدينة ، فأدى استفحاله الى اضعاف الروح

المعنوية لدى الشعب !.. وكما هى العادة لدى الشعوب ـ فى مثل هـذه الظروف ـ كان بريكليس وحـده هو الهدف الذى وجهت اليه حملات القوم .. حتى فيما كان القدر صاحب اليد العليا فيه ، كالوباء !

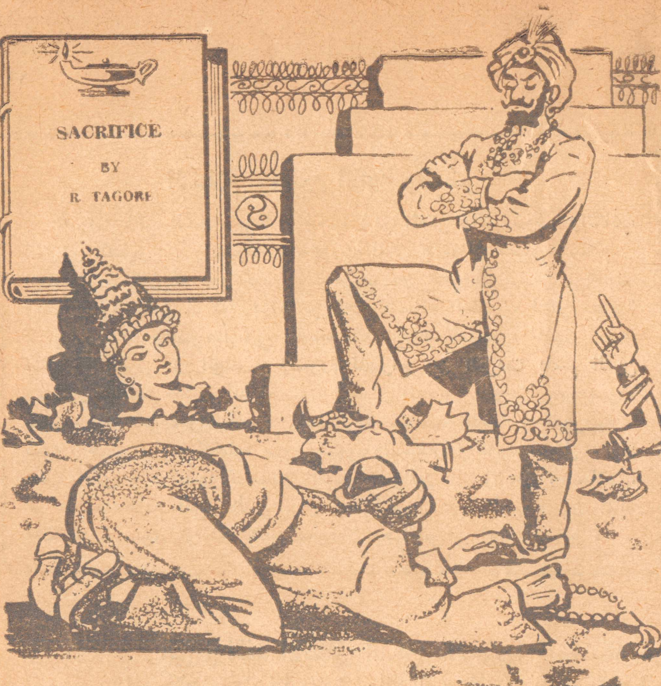
.. وراحت تواصل رسالتها !

• **وكان** من نتائج نقمة الشعب ان اتهم «بريكليس» بالفشل والخيانة . . أولم يكن مجـرد انسياقه لغـانية اجنبية غدرا بمصلحة البلاد ؟.. وأدى هذا الى حرمانه من منصبه، ثم الى اتهامه بابتزاز أموال الدولة ، فحوكم وصودرت أملاكه !

وتكالبت المصائب عليه ، فاذا بابنيه الشرعيين ، واذا بعدد من أخلص أصـدقائه يموتون ضحايا للوباء . . **ثم اذا به هو الآخر يقع صريعا له ، ويموت فى سنة ٤٢٩ قبل الميلاد ، وهو فى الحـادية والستين من عمره .. وكانت أسباسيـا فى ذلك الحين قـد بلغت الخامسة والأربعين من عمرهـا ، فلم يهدها فقـدان الرجل الذى عاشرها عشرين عاما ، والذى ضـحى فى سبيلها بزوجته ، وبسمعته ، وبمنصبه السياسى !**

وبعـد ان كانت عشيقـة لأكبر رجل فى الدولة ، لم تتورع أسباسيا عن ان تغدو عشيقة لرجل يتجر فى الاغنام ، وصفه « بلوتارخ » بخسة المنبت وضيق العقل . . ولكنه كان واسع الغنى ، لم يلبث ان مات بعد عام واحـد من موت بريكليس ، فورثت عنه كل ثروته !

ولم يكن مصابها فيه بالغا ، فقد أضافت ثروته الى ما خلفه لها بريكليس ، والى ما دره عليهـا بيت الفسق ، وعاشت بعد ذلك فى نعيم .. ترعى رسالتها الرئيسية ـ رسالة تيسير الفجور لهواته ـ وتجذب الى مجلسها الحكماء والفلاسفة وأهل الرأى



دماء الضحايا

(المسرحية الخالدة التي عالجت مشكلة السلام وضحايا التعصب)

لأديب الهند الأكبر
رابندرانات تاغور

تلخيص : محمد كامل الدهميس

السلام .. بين الآلهة والبشر !

◆ اذا ذكر السلام يوما ، وجب ذكر المفكر والفيلسوف والكاتب الشرقى العظيم : « رابندرانات تاجور » الذى جاهد فى سبيل السلام فى الهنـــد ، فكان له دور كبير فى التقريب بين الطوائف – من براهمة وبوذيين ومسلمين – كما جاهد من أجل السلام العالمى ، فظفر بجائزة « نوبل » .. والمسرحية التى نقدمها لك ، حرب أعلنها « تاغور » ضد التعصب الدينى فى الهند ، وصورة للصراع بين التزمت باسم الدين وسلطان المجتمع الكاره للدماء ، والراغب فى الوئام .. وهى أيضا صورة للصراع بين الحرب والسلام .. فما الربة المتعطشة للدماء فى المسرحية سوى الحرب ، وما كاهنها سوى شهوة السلطان والنفوذ الدولى ، وما الملك الذى تمرد عليها ، سوى البشر التواقين الى الأمان والسلام ، ثم .. ما خادم المعبد الذى أراق دمه ليحول دون الصراع بين الملك والكاهن ، سوى أولئك الذين يجودون بحياتهم من أجل السلام !

الى اولئك الأبطال الذين دافعــوا ببســالة عن السلام ، عندما نودى بالقرابين البشرية لترفع الى الهة الحرب .. أقدم مسرحيتى هذه !

طاغور

◆ **الى** المعبد القائم فى (تيبيرا) أقبلت الملكة « جونافاتى » ، تلوم الربة – أم الكون – فى دلال العبد المخلص فى الطاعة ، على أنها لم تهبها ولدا

جونافاتى : انك لتهبين الأطفال الى المرأة المتسولة فتبيعهم لتدبر معاشها ، والى الفاسقة فتقتلهم لتنجو من الاتهام بالفجور ، وأنا .. أنا الملـكة التى تسجد الدنيا عند قدميها ، أهفو دون طائل الى ان تخفق فى حياتى حياة أخرى ، أعز وأغلى .. اية

خطيئة ارتكبت ، ايتها الربة الأم ، حتى اطرد من جنة الأمومة ؟
وهنا يقبل ((راغوباتى)) الكاهن . فتقول له الملكة : « اترانى يوما قد اهملت العبادة ؟ .. ثم ، اليس زوجى كالآلهة فى الطهر؟ .. الا تقبل خضوعى يا أبت .. ان قرابينى فى طريقها الى المعبد ، وبينها أنعام للذبائح ! »

وما أن تخرج الملكة ،حتى يفد ((جوفيندا)) الملك، و((جيزينج)) خادم المعبد ، و ((أبارنا)) الفتاة المسولة

جوفيندا : أحقا سيقت عنز هذه الفتاة الفقيرة قسرا لتذبح فى المعبد ؟.. وهل تتقبل «الأم» مثل هذه الهبة وهى راضية ؟

جيزينج : أنى لنا يامولاى ان نعلم كيف يجمع الخدم القرابين التى نضحى بها يوميا ؟..اتذرفين الدمع يا فتاة على ما اخذته أمنا لنفسها ؟

أبارنا : أمنا ؟ ! .. ولكننى أم عنزتى ، فهى لا تعرف لها أما سواى . . اتقول ان امنا أخذتها ، انما الشيطان هو الذى اخذها .. ألأنت هنا ـ أيتها الأم ـ لتسلبى فتاة فقيرة ماتحب؟ .. فأين ـ اذن ـ العرش الذى أنتصف اليه منك ؟ .. وهذا الدم المراق على الدرجات، أهو دم عنزتى ؟.. اواه يا حبيبتى، لماذا لم يبلغ نداؤك سمعى حين صرخت من اجل حياتك الغالية، فى هذا العالم الأصم ؟

جيزينج (للتمثال) : اتريننى لا أفهمك ـ ايتها الأم كالى ـ وقد قمت بخدمتك منذ طفولتى ؟ .. وهل الشفقة قاصرة على الانسان الضعيف دون الآلهة ؟.. **(للفتاة)** تعالى معى يافتاتى، لأفعل من اجلك ما استطيع، فلابد للعون من ان يأتى من البشر، اذا ما انكرته الآلهة !

ويخرجان ، بينما يأتى راغوباتى الكاهن، ومعه ((ناكشاترا)) ـ شقيق الملك ـ ورجال الحاشية . ويصيح الملك غاضبا بأنه قرر منع اراقة الدماء فى المعبد . فيهتف الجميع فى استنكار ، ويزعم الكاهن انه فى حلم !

جوفيندا : انما هى يقظة وليست حلما يا ابت . فقد جاءتنى الأم متنكرة فى صورة فتاة ، فأخبرتنى بأنها لم تعد تطيق الدماء ؟

راغوبانى : ولكنها ظلت تشربها عصورا طويلة، فكيف تعرض عنها فجأة ؟ .. دعنى احذرك ، فترو وفكر ، اذ ليس لك من سلطان على القوانين التى تضمنتها الأسفار المقدسة ! .. أتجرؤ على أن تزعم ان الربة تكلمك دونى ؟

ناكشاترا : غريب حقا ان توحى الربة الى الملك دون الكاهن

جوفيندا : ان كلمات الربة تدوى فى العالم دائما ، ولكن الذى يختار ان يصم اذنيه عنها ، لا يسمعها ! .. اذهب أيها الأب فاعلن الى المصلين اننى سأعاقب - منذ الآن - كل من يريق دم المخلوقات زلفى الى أم جميع الخلائق !

راغوبانى : اللعنة عليك ! .. اتتصور فى غرورك الهائل ، ان الربة اصبحت من رعاياك لأنها تقيم فى بلادك ؟

وتتوالى الاعتراضات على قرار الملك ، لأنه يهدم تقليدا توارثه القوم عن آبائهم واجدادهم . ولكن الملك يصر على ما أعتزم

أحد الوزراء : ولكن .. لقد قررت الملكة ان تقدم قرابينها فى صلاة صباحنا هذا ، وقد اقتربت الذبائح من باب المعبد

الملك : ردوها اذن ! **(ويخرج)**

ناكشاترا : اذن فقد انحدرنا الى الدرك الذى نعامل فيه الحيوان ، كما لو كان له حق فى الحياة ! .. محال !

* * *

. ويخلو المعبد بخروج الجميع . . ثم لا يلبث الكاهن ان يعود ، وفى أثره جيزينج

راغوبانى : ألا دعنى وحيدا ، فقد تكاثفت ظلال الشيطان ، وبدأ العرش يرفع رأسه المتواقح فوق مذبح المعبد ! .. أمستعدة أيتها الربة لأن تطيعى قوانين الملك برأس منكس ؟ .. أيجتمع

الانســـان والشيطان على اغتصاب سـلطان الآلهـة ؟ . .
لسوف يزيد التاج من تأجج الغضب فى النفوس !

وينصرف الـكاهن محنقا ، ويتبعه الخادم . ولا تلبث الملكة ان تعود وفى اثرها تابعها

جونافاتى : أتقول ان ذبائح الملكة ردت عن باب المعبد ؟ . . ان الجميع هنا ينشدون رضائى ، وان الخدم ليصدعون بأمرى ، فادع لى الكاهن !

وينصرف الخـادم صادعا بأمرها . . ويقبـل الملك فى تلك الأثناء ، فتبادره الملكة بالشكوى ممن جرؤ على رد قرابينها ، وتسأله ان لا يترفق بالمذنب

جوفيندا : انه أنا يا مليكتى ! . . لقد منعت اراقة الدماء فى معابد الآلهة فى مملـكتى . . ولست صاحب الأمر ، وانما هى مشيئة « الأم » !

جونافاتى : ان سلطانك يمتد خارج المعبـد فقط ، فدعنى أتعبد للربة بالشكل الذى يتطابه ايمانى . . لقد وعدتها بأن أقدم لها دماء ثلاثمائة شاة ومائة بقرة ، ولابد أن أبر بوعدى

ولا يثقل عليها الملك ، بل يغادر المكان ، فلا يلبث الكاهن ان يفد . وتبادره الملكة قائلة : « انقذنا يا أبى ، فقد رد الملك هباتى عن باب المعبد ! »

راغوباتى : لقد أهينت الربة . . لقد تمثل غرور الملك فى شكل وحش يحجب عن البشر نعمة الربة . عـلى أن العرش الذى يتعالى على الآلهـة ، لن يلبث ان يصير حطاما ! . . اذا اردت لزوجك خلاصا من الاخطار – ايتها الملـكة – فاحمليه على ان يرد للبراهمة حقوقهم

وينصرف الـكاهن وهو سادر فى نقمته . ثم يقبـل الملك . فتجادله الملـكة محاولة اقناعه بأن يرجـع عن عزمه ، ويعرف حدود سلطته الدنيوية

جوفيندا : ليس من حق البراهمة ان يقرروا ما هو صالح

وما هو طالح وما كان دم المخلوقات طعاما للآلهة يوما !

جونافانى : ان العبادة التى توارثتها العصور ، ليست من حق الملك وحده . . انها ملك للناس جميعا . . كيف تصمت ايها المتغطرس بعد كل هذا ؟ . . الا اذهب ! . . اذهب بعيدا عنى !

* * *

• **وما ان** ينصرف الملك والملكة ، حتى يفد راغوباتى ، وجيزينج ، والقائد « نايان راى » ، الذى يحاول الكاهن ان يغريه بمقاومه الملك ، قائلا : «اجمع جندك ومرغ أعداء الربة فى التراب . انى لأختبر اخلاصك بهذا الأمر ، فادفع عنك التردد . ولتعلم أن الربة تدعوك الى تنفيذ رغبتها ! »

نايان راى : ليس بنفسى من التردد شىء ، وانما أنا ثابت فى مكانى حيث وضعتنى الربه . ولكن الظاهر اننى أحقر عباد الربة منزلة ، اذ تأمرنى – دون غيرى – بأن أنقلب خائنا ! . . ان الأم المطلعة على بواطن القلوب لتعلم اخلاصى للملك ، فهل تراها تأمرنى بقتله ؟ . . لو صح هذا فليهبط الملك اليوم ، ولتتبعه الربة غدا ، ما دام للانسان ان يتنكر لاخلاصه !

ويخرج غاضبا ، بينما يفتح جيزينج الأبواب للجمهور داعيا اياهم للعبادة ، فيدخلون صاخبين ، يرقصون ويغنون .. ويرى جيزينج ذبائح الملكة قادمة نحو المعبد ، فيامره راغوباتى باعداد المذبح للضحايا . واذا بالملك يقبل غاضبا

جوفيندا : أتجرؤ يا راغوباتى على عصيان أمرى ؟ . . فلتخرج من أرضى طريدا ! . . **(ثم يلتفت الى تابعه قائلا :)** اذهب فادع الأمير ناكشاترا ! . . وادع قائد جندى ! . . انك يا راغوباتى لتضطرنى الى الاستعانة بالجند للمحافظة على حق الآلهة !

راغوباتى : اتراك مطمئنا الى ان البراهمة قد فقدوا حمية ايمانهم القديم ؟ . . لا ، لسوف تنطلق نارها من قلبى لتحرق تاجك !

ويدخل القائد ((نايان راى)) ومعه مساعده ((شاندبال)) ، فيأمر الملك باستدعاء الجنود الى المعبد ، ليحولوا دون ازهاق أرواح القرابين

نايان : عفوا يا سيدى ، ولكن الجندى لا يملك قوة داخل المعبد . اننى خادمك يامولاى، ولكننى انسان كذلك . . لى ملك احترمه ، كما أن لى دينا أقدسه !

جوفيندا : واذن ، فاسلم سيفك الى شاندبال !

نايان : ولماذا الى شاندبال ؟.. لقد تسلم آبائى هذا السيف من أسلافك ، فاذا كان لأحد أن يأخذ السيف منى فانما هو أنت !

راغوباتى : ها قد بدأت لعنة ((براهما)) عملها !

ويدخل جيزينج معلنا أن الأضحيات معدة للذبح.. واذ ذاك يغادر الجميع المعبد ، فلا تلبث ان تفد ((أبارنا)) المتسولة ، لتبحث عن جيزينج . واذ لاتجده ، تقترب من تمثال الربة

أبارنا : انه ليس هنا .. ولكنك أنت هنا ، أيتها الصنم التى لا يستطيع احد ان يحركها عن مكانها .. انك لتسلبيننا كل خيراتنا ـ دون ان ننطق بكلمة ـ وتساق اليك خيراتنا دون ما حاجة منك اليها، فتبتلعينها كالقبر ! . . اى جيزينج ، أية سعادة تجدها فى البقاء هنا؟!.. ماذا بوسعها ان تقول لك ؟ .. آه ، يا لقلبى !



ويدخل راغوباتى فيطردها فى غلظة لأنها ((تحاول سرقة قلب جينزيج من الربة)) ، ثم يقبل الخادم الشاب ، مع الأمير

ناكشاترا .

راغوباتى : أيها الأمير ، لقد رأيت بالأمس حلما يؤكد انك ستكون ملكا بعد أسبوع على الأكثر .. ما لك تضحك ، الا تصدق ؟.. ان الربة عطشى الى دم الملك ، ويجب أن تقدمه اليها وتصبح ملكا !

ولكن ((ناكشاترا)) يقنع بمركزه كولى عهد لأخيه الملك ، واذ ذاك يلجأ الكاهن الى الوعيد ، قائلا ان الربة متعطشة الى دم ملكى .. فاذا لم تنل دم الملك ، فلا بد من دمه هو ..ويفلح الوعيد ، فيأمره الكاهن بالانصراف ريثما يدبر له الخطة

جيزينج : أيتها الأم الرحيمة ، ما هذا الذى سمعت ؟..أهى رغبتك ؟.. أتأمرين أخا بأن يقتل أخاه ؟

راغوباتى : انها الوسيلة الوحيدة لخدمة الربة

جيزينج : كيف ؟ ! .. الا تملك هى القدرة على الانتقام لنفسها ، بدلا من ان تلتمس العون من الغير ، تحت جنح الظلام كاللصوص !.. يا لها من خطيئة !

راغوباتى : ان « الخطيئة » كلمة غير ذات معنى ، فى الواقع .. ان تراب الأرض لم يتكون الا من قتلى لاسبيل الى حصرهم ، فالقتل شىء فى طبيعة الانسان ، بل فى كل شىء : فى اعشاش الطيور ، وفى جحور الحشرات .. فى البحر ، وفى الفضاء .. ان العالم لا يكف عن القتل ! . . وهذه هى الربة « كالى » ، تقف منذ الازل ولسانها الظامىء الى الدم مدلى من فمها ، وفى يدها وعاء يفيض بدم العالم !

جيزينيج : كفى .. اذن ، فالمحبة اكذوبة ، والرحمة سخرية ؟ .. كأنى بالشىء الوحيد الصحيح ، فى هذه الدنيا ، هو شهوة التدمير !.. اواه أيتها الأم المتعطشة للدماء !.. هل ترين دمى شهيا ، فأغيب هذه السكين فى صدرى ، وأضع خاتمة لحياتى ؟ .. لا ، يا سيدى ، ان أحكام القلب غير أحكام الدين !.. أحقا تريد الربة دم الملك ؟.. اوليس شرا ان يقتل الأخ أخاه ؟

راغوباتى : يا لك من طفل ! اتراك فقدت ثقتك بى ؟ . . ليس ثمة شر فى تنفيذ رغبات الآلهة !

جيزينج : لابد اذن من ان رغبة الربة تنطوى على خير ، فلماذا لا أنفذها أنا فأحظى بالخير ؟

راغوباتى : لا ، فلقد ربيتك منذ طفولتك ، ولا اقوى على أن اعرضـك للخطر . أما اذا كنت تصر ، فـدع لى الأمر اتدبره حتى الغد

* * *

• **يدخــل** جوفيندا وشاندبال ، وقد خـلا المعبد من كل انسان ، فيحذر القائد الجديد مولاه من ان راغوباتى قد تآمر مع ناكشاترا لاغتياله ، وتقديم دمه للربة

جوفيندا : ناكشاترا ؟!. . لست ألومه ، فان الانسان يفقد انسانيته عندما يتعلق الأمر بالآلهة . . اذهب لشأنك ، ودعنى وحيدا ! (**يخاطب التمثال**) الا اقبلى منى ــ ايتها الربة ــ هذه الزهور ، ودعى عبادك يعيشون فى سلام . أماه !. . لشد ماهم متهالكون أولئك الضعفاء على هذه الأرض ، ولشد ما هم جبناء أولئك الأقوياء فيها !. . ان الطمع لا يعترف بالشفقة ، والجهل أعمى . أيتها الربة . . لا ترفعى سـيفك وتلعقى شفتيك من أجل الدماء . . لا تبثى العداوة بين الأخ وأخيه ، وبين المرأة ورجلهـا . أما اذا كانت مشيئتك أن يقتلنى أحد ممن أحب ، فليكن لك ما تريدين . . ان قتل الملك بيد أخيه ، كفيل بأن يرفع النقاب عن وجه شهوة الدماء الشيطانى !

وهنا يفد جيزينج مندفعا ، متلهفا ، فيسـأل الربة : « أو تشتهين حقا دما ملكيا ؟. . اجيبينى بصوتك الخفيض ، يكن لك ماتريدين ! » . . فينبعث من التمثال صوتا خفيضا : « أريد دما ملكيا ! »

جيزينج : أسمعت ما قالت الربة ؟.. فلتتل صلاتك الأخيرة

أيها الملك فقد حان أجلك !

جوفيندا : لم يكن ذلك صوت الربة،انما هو صوت راغوباتى

ويبدو التردد على الشاب ، وتشتد حيرته بين الشك واليقين

جيزينج : صوت راغوباتى ؟ ! .. لا ، لا تسوقونى من شك الى شك . ولـكن .. ليس هناك فارق بين الحالين ، فسواء جاء الصوت من الربة أو من الكاهن .. (**يمسك عن الكلام ، ويطوح بالسكين بعيدا ، ثم يقول :**) أيتها الربة ، تقبلى الزهور هدية لك ، واكتفى بها عن الدماء !.. لن يقدم احد الدم قربانا اليك بعد اليوم ، مهما ترفعين سيفك، ومهما تثيرين الشهوة الى التخريب .. اننى لم اعد أخافك أيتها الربة !.. انصرف أيهـا الملك ، ودع هذا المعبد لربته !

ويدخل راغوباتى ثائرا ، فيتهم خادم المعبد بأنه خان الربة ، ولا يزال به حتى يحمله على ان يقسم بان يأتيها بدم ملكى قبل منتصف الليل .. ثم ينصرفان ، فتقبل الملكة

جونافاتى : لقد فشلت. كنت أظنه سيتراخى بعد ما اظهرت له من فتور وخصام ، ولكن .. لا جدوى من ذلك ، فان غضب المرأة كالجوهرة المتلألئة ، التى تلمع دون ان تحرق . كم كنت أتمنى أن أكون كالرعد يتفجر فوق بيت الملك فيوقظه من نومه، ويهبط بغروره الى مستوى الأرض !

وهنا يقبل الأمير « ناكشاترا » ، فيصارحها بأنه لايريد قتل اخيه ، وانما يسعده ان يعيش طويلا .. وعند هـذا تحرضه « جونافاتى » على صبى كان الملك قد تبناه ويدعى « دروفا »

جونافاتى : انه سيصل الى التاج يوما .. ان اللعب بالتاج خطير ، ومالم تقض على اللاعب فانه سيحاول اللعب بك انت.. اقتله ، وقـدمه الى « كالى » قربانا !.. أما سـمعت ان الربة ظمآنة الى دم ملكى !

ويخرجان ، فـلا يلبث ان يفد « جيزينج » .. وتقبـل فى أثره « أپارنا »

جيزينج : لقد طردوك من المعبد يا « أبارنا » ، ومع ذلك فها أنتذى تعودين - المرة تلو الاخرى - من أجلى .. ذلك لأنك وفية صادقة ، والحقيقة الصادقة لايمكن ابعادها !.. لماذا انت حزينة يا حبيبتى ؟.. هل تفتقدين الها لم يعد من الأرباب ؟.. ولكن ، ما حاجتنا الى الآلهة فى عالمنا الصغير هذا ؟.. لنتحرر من الآلهة حتى نزداد تقاربا ، فهى لا تريد غير دمائنا ، ومن اجل هذا فحسب هبطت من السماء .. اذ ان السماء لا تضم مخلوقات تعانى وتتألم .. لا يا فتاتى ، ان الربة لا وجود لها

أبارنا : اذن ، فاترك المعبد وتعال معى !

جيزينج : لا ، لن أستطيع ان أتركه قبل ان أسدد دينى الأخير !

وما ان يبارحا المعبد ، حتى يقبل راغوباتى وناكشاترا .. لقد اختطف الأخير ربيب الملك الصغير

ناكشاترا : لقد خبأته فى غرفة أوانى الذبائح .. لقد بكى حتى نام ، ولن احتمل بكاءه اذا استيقظ ، فاذبحه سريعا ، قبل أن يفرغ الملك من شئون الحكم ، فيأتى باحثا عن الصبى !

راغوباتى : ثق فى الربة .. ان الضحية الان فى قبضتها !

وهنا يظهر الملك - فجأة - فى ثلة من الأعوان يأمرهم بالقبض على الكاهن والأمير . ويسأل راغوباتى عما اذا كان معترفا بجريمته

جوفيندا (لراغوباتى) : سوف يصحبك جندى الى المنفى ، حيث تقضى ثمانى سنوات من عمرك ! ..

راغوباتى : أيها الملك ، انى لم أنحن لانسان فى حياتى قط ، ولكنى اسألك - بكل خشوع - ان تمهلنى يوما واحدا !

واذ يستجيب الملك لرجائه ، يخرج الكاهن

جوفيندا : وأنت يا ناكشاترا ، انى أعلم أن لك قلبا رقيقا ، فقل لى من الذى حرضك على اتيان هذا الفعل ؟

ناكشاترا : انا وحدى المذنب أيها الملك ، و لن أذكر اسم أحد

آخر .. لقد عفوت عن أخيك أكثر من مرة ، وانه ليسألك العفو مرة أخرى !

جوفيندا : دعنى أتذكر يا ناكشاترا اننى الملك ، واننى مطالب بأن أنفذ القانون . سيذهب ناكشاترا الى المنفى ثمانى سنوات ، حيث يقيم فى البيت الذى بنيناه الى جوار النهر المقدس ، خارج حدود (تريبورا) .. ان هذا العقاب ليس لك وحدك يا أخى ، وانما هو عقاب لى أيضا . فان غيابك عن القصر سيخز قلبى كل يوم بمئات من الأبر . ولعل الآلهة ان ترعاك فى غربتك !

* * *

• **وما ان** ينصرفوا ، حتى يقبل راغوباتى وجيزينج ويقول الكاهن لخادم المعبد : « لم يعد لى عليك سلطان يا بنى ، فقد ذلت كبريائى ، والحقت العار بالبراهمية .. لقد رجوت الملك راكعا على ركبتى ان يمهلنى يوما ، فلا تجعل ذلك اليوم يمر عبثا .. يجب أن تأتى بدم الملك اليوم .. مالك صامت يا بنى ؟ .. اذن ، فدعنى احنى امامك ركبتى اللتين كانتا يوما ، اكبر منك حجما ! »

جيزينج : أبى ، لاتسىء الى قلب قد تحطم بما فيه الكفاية ! .. اذا كانت الربة عطشى الى دم ملكى ، فانى سأقدمه لها قبل أن ينتصف الليل !

يخرج ، وينبعث من الخارج صوت عاصفة شديدة

راغوباتى : لقد استيقظت الربة اخيرا ، وبدأت لعنتها تنصب على المدينة . أى أمى ، لماذا تركت أتباعك فى شك وهوان كل هذه المدة الطويلة؟ .. **(تدخل أبارنا فيضطرب لرؤياها)** أخرجى أيتها المرأة الشريرة (**تخرج**) ولكن ماذا يحدث لو لم يعد جيزينج ؟ .. لا ، لسوف يعود ، ولن ينكث بوعده . النصر لك ، يا كالى العظيمة !

وهنا يدخل جيزينج مندفعا صائحا : « هاهو ذا الدم ! » ..



ولكن راغوباتي يسأله : « أين هو الدم ؟ »

جيزينج : أنه معى ، فدعنى أقدمه بنفسى . هل يجب أن نقدم دما ملكيا يا أمنا الكبرى ، يامن تغذى العالم بالحياة ؟ .. أن دمى ملكى ، وقد جلس أسلافى على العروش يوما . . أن فى عروقى دما ملكيا ، فخذيه ، وليفارقك العطش الى الأبد ! **(يطعن نفسه فيسقط)**

راغوباتي : جيزينج ! . . يا للجاحد لقد ارتكبت أسود جريمة . لقد قتلت أباك ! . . سامحنى يا حبيبى . عد الى قلبى ، ياكنز قلبى الوحيد ! دعنى أموت بدلا منك ! **(تدخل أبارنا باحثة عن جيزينج فى لهفة)** تعالى يا أبارنا ، ناده بأعذب ألفاظ حبك . اعيديه الى الحياة ، ولو لتأخذيه لنفسك . . اعزليه عنى . . فقط أريده ان يعيش **(وينهار باكيا ضاربا جبهته فى الأرض ، ثم يقف فيخاطب التمثال)** انظر اليها كيف تقف هناك . . اواه ، لن تصادف صيحاتنا الا الفضاء ! . . الفضاء الذى نحاول عبثا ان نملأه بهذه الأوثان الصخرية . بعدا لها ! بعدا لأحلامنا الفارغة التى تصلبت فكانت حجرا يثقل عالمنا !

ويلقى بتمثال الربة على الأرض ، بينما تدخل الملكة مبتهجة

جونافاتي : النصر لك . . أيتها الربة العظيمة !. ولكن ، أين هى الربة ؟

راغوباتي : ليس هناك ربات . .

جونافاتي : أعدها يا أبى . لقد أحضرت لها هداياى ، وجئت اخيرا لأمسح غضبها بدم قلبى !. . دعها تعرف ان الملكة برت

بوعدها . اشفق على يا أبى ، واعد الى الربة ، لهذه الليلة فقط !

راغوباتى : ربة ؟ اذا كانت هناك ربة حقيقية فى العالم كله ، فهل كانت تسمح لهذا الصنم الحجرى بأن يحمل اسمها ؟

ويدخل الملك فيسأل عن الربة، فلا يلقى الا نفس الاجابة.. ثم يسأل عن الدم الذى كان مراقا على الأرض

راغوباتى : انه دم جيزينج ، أيها الملك .. دم جيزينج الذى تفانى فى حبك .. لقد قتل نفسه ليقتل ذلك الزيف الذى يمتص دماء البشر .

جوفينــدا : انه لعظيم ، لقد هزم الموت ، ومن أجــله أضع أزهارى هذه !

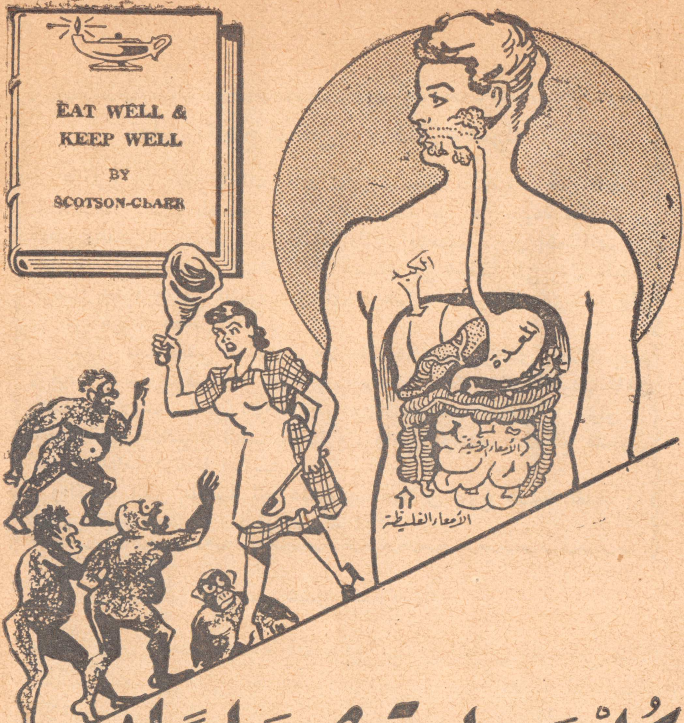
جانافاتى : أولم تعد هناك ربة ؟

جوفيندا : لقد حطمت سجنها الحجرى ، وعادت لتعيش فى قلب المرأة !

أبارنا : أبى .. لنذهب من هنا !

راغوباتى : تعالى يا طفلتى .. تعالى ، يا أمى .. لقد وجدتك أخيرا ، انك الهدية الأخيرة من جيزينج !

((ســـــتار))



كُلْ جيداً.. تَعِشْ سليماً!

للأخصائى العالمى فى التغذية :
ج . ف . سكوتسن - كلارك



تعالى نكافح المرض .. قبل وصوله !

• ترى هل خطر ببالك وأنت تبادر صديقك بالتحية - حين تلقاه - متسائلا : « كيف الصحة ؟ » ، انك انما تعبر عن طبيعة متأصلة فى النفس البشرية ، تتمثل فى اهتمام البشر بصحتهم ، وفى اطمئنانهم الى العافية ، ونفورهم من المرض ؟.. هذه هى الحقيقة التى يدل عليها حرصنا الغريزى على التهرب من أى مريض ، خشية العدوى .. ولو لم يكن مرضه معديا !

ولكن ، لماذا نخشى العدوى ، ولا يخشاها الطبيب الذى يختلط بعدد لا حصر له من المرضى ؟.. ان الجواب سهل بسيط ، فان الطبيب يؤمن دائما بأن درهما من الوقاية خير من قنطار من العلاج .. ولو ان الجمهور قدر منافع « الطب الوقائى » واتبع قواعده ، لارتفع مستوى الصحة العامة ارتفاعا مدهشا

والكتاب الذى نلخصه لك هنا ، يساعدك فى بلوغ هذه الغاية .. فتعال نكافح المرض .. قبل وصوله !

المرض عدو جبان غادر

• **اذا** كان الأطباء قد انصرفوا - فى القرن الماضى - الى اكتشاف العقاقير التى تكافح الأمراض ، بغية اطالة الاعمار ، فان الاتجاه يسير اليوم الى العناية بوسائل توقى المرض قبل وصوله .. ذلك لأن المرض بطبيعته « جبان غدار » ، لايهاجم الا العضو الضعيف من الجسم . ولو ان جسم الانسان كان سليما ، يؤدى كل عضو فيه وظائفه كاملة ، لتغلب على كل انواع المرض ، بمجرد الاحتياط واتخاذ أسباب الوقاية منها .

بيد أن الواقع يؤكد ان الذين يتمتعون بأجسام كل اعضائها سليمة ، ليسوا سوى قلة بين الناس . ذلك لأن الطفل الذى يولد سليما ، من أبوين سليمين تماما - وهذا أمر نادر المثال - لا يلبث ان يتعرض للاضطرابات ، وان تتناقص سلامته هذه ، نتيجة الاهمال فى العناية به ، أو جهل والديه بأصول هذه العناية

التغذية خير علاج للسرطان

• **واذا** كان « الألم » هو « المنبه » الذى ينذرنا بالمرض ، فان كثيرا من الأمراض تتغلغل فى الجسم قبل ان تنبعث الاجراس المنذرة بالخطر . ولعل أشد هذه الأمراض فتكا هو « السرطان » ، اذ انه يستشرى فى الجسم دون ان يعلن عن وجوده ، ما لم تمتد مخالبه الى مركز من مراكز الجهاز العصبى ، أو تظهر بوادره على سطح الجلد . **ومن العجيب ان علاجه كثيرا ما يكون ميسورا ، لو انه تدورك فى بدايته .. وأعجب من ذلك ان الانسان يملك أسباب النجاة منه بالطرق الوقائية !**

ذلك لأن السرطان - كما يقول الاخصائيون - لايغزو سوى الاجسام التى تسممت لأسباب مختلفة : منها التغذية غير الصحيحة ، او تناول الأطعمة والسوائل الشديدة السخونة ، أو تعاطى بعض المواد ذات التأثيرات الكيمياوية السامة ، كالخمر او التبغ .

ومع ما يقال عن تعذر علاج هذا المرض تعذرا يبلغ درجة الاستحالة ، فان القضاء عليه أمر ميسور ، وقد يحدث تلقائيا ، اذا عاد المريض الى نهج الحياة السليمة ! .. فان اتباع طريق « الحياة السليمة » ، هو الوقاية الناجحة الوحيدة من هذا المرض !

« والحياة السليمة » هنا ، تعنى تناول الاغذية الطبيعية .. اى الحرص على ان تكون اللحوم سليمة وطازجة وجيدة الطهو ، وان تكون الخضر والفواكه طازجة ووفيرة ، وان يكون الخبز أسمر ، لا أبيض !

المعدة رأس الجسم وبيت الداء

• **ومن** أول سبل الوقاية ، ان يعرض المرء نفسه على الطبيب مرة فى العام ، ليفحص جسمه فحصا طبيا شاملا .. تماما كما ترسل سيارتك الى « الميكانيكى » ، فى اول الشتاء ،

ليتأكد من سلامتها من كل خلل . وهذا الفحص الطبى السنوي كفيل بعلاج أية أمراض ــ تكون قد تسللت الى الجسم خفية ــ قبل استفحالها وتعذر القضاء عليها

ولسنا نغالى اذا قلنا ان المعدة هى «رأس» الاعضاء الحيوية فى الانسان ، وليس العقل أو القلب كما هو شائع . اذ أنها هى القوة المحركة فى الجسم ، كما أنها المركز الذى يوزع الطاقة على جميع الاعضاء ! .. وهى أشبه بالقربة ، تزداد اتساعا كلما اودعتها كمية اكثر من مستواها الاصلى ، ولكنها فى الوقت ذاته تقل متانة ، لان الامتداد يزيد جدرانها رقة وانسجتها تفككا .. ومن ثم نجد ان الطبيعة زودت المعدة بغشاء مخاطى يكسو جدرانها الداخلية ، ليصون متانتها اذا انت ملأتها فوق طاقتها !

على ان الظروف قد تؤدى الى تمزق جزء من هذا الغشاء ، فيتعرى جزء من جدران المعدة ويتعرض للاحماض المعوية . وهذا منشأ « القرحة المعدية » .. وقد تحدث خدوش تؤدى ــ فى بعض الأحوال ــ الى سرطان المعدة

اطرد هذه السموم من امعائك !

• **ولا يكاد** الطعام يهبط الى المعدة السليمة ، حتى تفرز أحماضا هاضمة تحول الطعام الى عصير سهل الامتصاص ، كما تفصل بين الصالح منه والفاسد . واذ ذاك تنشط خلايا ماصة كثيرة فى جدار المعدة ، فتمتص الغذاء الصالح وتوزعه ــ عن طريق الاوعية الدموية ــ الى باقى اعضاء الجسم ، اما بقية الطعام ، فتتحول من المعدة الى الامعاء ، وتسرى بين خلايا أخرى مشابهة ، تمتص مابقى به من مواد غذائية يمكن الانتفاع بها . **ولكن هذه الخلايا قد تمتص كذلك بعض العناصر السامة . ومن ثم كان من الافضل طرد الفضلات خارج الجسم فى وقت مناسب ، حتى لا تمتص الخلايا ما بها من عناصر سامة** .

وهنا ايضا ، نجد ان الطبيعة قد امدت الانسان بأغشية مخاطية تكسو الجدران الداخلية للامعاء ، وتساعد على طرد تلك العناصر ، لأن بقاءها يؤدى الى « الامساك » الذى ينشأ عن جفاف الفضلات داخل الامعاء . لهذا كان من الواجب صون هذه الأغشية التى لايضرها شىء قدر مايضرها تناول المسهلات .. ومن ثم كان تناول « الشربة » أو « الحقنة الشرجية » ، دون اشراف طبيب ، نوعا من الانتحار !

ومن ناحية اخرى ، نجد ان « الامساك » يؤدى الى اختلال الجسم كله ، ويمهد لكثير من الامراض الخطيرة ، كعسر الهضم ، والتسمم الذاتى ، والروماتيزم ، والسرطان

قد يكون الفقر .. نعمة !

• **واذا** كانت هذه هى خطورة المعدة ، كان من الطبيعى أن نعنى عناية خاصة بما نلقى به اليها من طعام . اذ انها كبقية أعضاء الجسم ، تتعرض للارهاق من جراء العمل الشاق ، كما يضعفها العمل الهين ، ومن هنا كان الضرر الذى يترتب على المثابرة على تناول الاطعمة المهوكة ، أو الخلاصات ، أو المواد السهلة . فهى تريح المعدة الى درجة تعودها التهاون والخمول ، فلا تلبث ان تضعف وتختل !

لهذا ، فليس أفضل من انتهاج مسلك طبيعى معتدل ، لأن الافراط فى انهاك المعدة ، كالافراط فى تدليلها .. كلاهما يؤذيها ! .. ولعل هذا يفسر لنا كيف ان الطفل الفقير ينشأ أقوى وأسلم ـ بدنيا ـ من ابن الاسرة المرفهة .. ذلك لأنه يدرج فى حياة طبيعية ، ويتناول طعاما خشنا ـ يدرب معدته على العمل ـ وغير وفير بحيث انه لا يتخمها !

ولقد قلنا ان بقاء الفضلات فى الامعاء ، يعرض الخلايا الماصة فى هذه ، الى استيعاب ما قد يكون فى الفضلات من سوائل سامة . ومن ثم يشعر المرء بكل اعراض التسمم ، ومنها

الصداع واختلال البصر .. وهو قد يخطىء ادراك ما به ، فينصرف الى علاج الاعراض ، بينما يظل السبب الرئيسى فى استفحال

وهناك نوع من الامساك ، تظل فيه الامعاء الغليظة محملة بالفضلات سنوات ، دون ان يفطن المرء ، ثم اذا به يقع فجأة ضحية آلام حادة ، تستلزم الاستعانة بالجراحة . وكثيرا ماتتسرب هذه الفضلات الى الزائدة الدودية ، فتؤدى الى التهابها

وقد يغرى الامساك بتعود تناول الملينات فى كل صباح ، فاذا بهذه العادة تضعف الامعاء ، وتساعد على جفاف غشائها المخاطى . ومما يساعد على « تليين » جدران المعدة والامعاء ، ان يتناول الفرد كمية من الدهن مع طعامه . اذ يكون هذا بمثابة « الزيت » الذى يوضع فى المحرك ليسهل حركته ، فضلا عما للدهن من فائدة غذائية كبيرة تفوق قيمة اللحم الاحمر .

عسر الهضم .. وأكل « الكرشة » !

• **أما** عسر الهضم ، فينتج – فى معظم الحالات – عن أسباب نفسية . ونذكر – بهذه المناسبة – ان رجلا من رجال الاعمال الناجحين ، كان لا يجد شهية الى تناول الطعام فى مواعيده ، واذا أكل فانما كان يقتصر على مقادير قليلة من أطعمة يجهد نفسه فى انتقائها ، حتى لقد كان ذلك يضايق زوجته كثيرا . ثم قدر لهذا الرجل ان يذهب الى (باريس) فى رحلة ، فلما عاد ، اذا به يتبدل ، ويقبل على الطعام بشهية ، غير منصرف عن اى نوع من انواعه .. ذلك أنه كان يعانى – قبل رحلته هذه – مخاوف تتصل بالعمل ، مما أدى الى اضطراب نظام المعدة .. وبتكرار هذا الاضطراب ، أصبح الرجل فى خوف مما يتبع تناول الطعام من عسر هضم ، فكان هذا الخوف سببا فى مضاعفة عسر الهضم ! .. أما فى باريس ، فقد صادف الرجل جوا آخر ، ووسطا غير الذى ألفه ، ونمطا للمعيشة غير الذى

تعوده .. كما انه كان بعيدا عن مشاغل العمل وهواجسه .. فاذا بشهيته تعود الى حالتها السوية .

ومن غريب الأمر ان « الكرشة » ـ وما اليها من لحوم « السقط » ـ هى أسهل أنواع اللحم هضما .. حتى لقد تهضمها المعدة السليمة فى عشرين دقيقة .فضلا عن ان قيمتها الغذائية تفوق قيمة أى نوع من اللحم ! .. ومع ذلك ، فمن الناس من يزدرى هذه اللحوم !

وليس أضر بالمعدة من الوجبات السهلة الهضم ، فان اعتياد تناولها بضعف من قوة الافرازات المعوية ، ومن ثم يحسن بالمرء ان يحرص على الوجبات الطبيعية ، فيتناول اللحم والخضر الطازجة ، والخبز « الأسمر » !

« بيكربونات الصودا » .. سم !

• **وكثير** من الناس لا يجدون شهية الى الأكل فى الصباح ، اذ ان معداتهم تتوقف عن العمل أثناء النوم ،فلا تفرز أحماضها الهاضمة ، مما يجعل المرء خاملا فاقد الشهية عند يقظته فى الصباح ، وخير مايفعله الانسان فى هذه الحالة ، ان يمارس بعض التمرينات الرياضية، وان يأخذ حماما باردا ليثير نشاط اعضاء جسمه ، فتعود المعدة الى حالتها الطبيعية ، وتقوم بافراز احماضها .



أما وجبة الافطار ، فلا يجب أن تحتوى على أطعمة عسيرة الهضم ـ كالقشدة مثلا ـ لانها لاتكاد تصل الى المعدة ، حتى

تتحول الى كتلة صعبة الهضم . ويعتبر اللبن غذاء متوسطا ، لا بالعسير الهضم ولا باليسير . وهو لا يكاد يهبط الى المعدة حتى يتجبن ، فتعمل الاحماض على هضمه كما تفعل بالأطعمة الصلبة .. **ولذلك يحسن شرب اللبن على دفعات صغيرة لا تزيد الواحدة منها عن مقدار ملعقة ، ليتجمد فى قطع صغيرة تكون أسهل هضما من الكتل الكبيرة**

وليس أضر بالمعدة من تناول المواد المفرطة البرودة ، اذ أنها تحدث صدمة توقف افراز السائل المعوى . وان كان « الآيس كريم » أقل ضررا من غيره من المثلجات ، لأن المرء يتناوله على دفعات يسيرة لا تكاد تسير فى طريقها الى المعدة حتى ترتفع درجة حرارتها . . ويظن بعض الناس ان « الصودا » من المواد الهاضمة ، فى حين أن ضررها لا يكاد يقل عن الويسكى غير الممتزج بماء أو مادة تخفف مفعوله . ولا يفوتنا هنا أن ننبه الى ضرر «بيكربونات الصودا»، اذ ان لهامثل أثر «الصودا» ، فضلا عن أنها تجفف الغشاء المخاطى للمعدة والامعاء .. فاذا وجدت فى صيدلية البيت ، وجب أن يكتب عليها كلمة « سم » ، حتى لا يتناولها احد الا عند الضرورة !

تعلم من الجندى الوضع السليم لجسمك !

• **وللتنفس** دور هام فى حفظ صحة الجسد ، وسلامة المعدة .. ذلك أننا فى التنفس نستقبل الهواء الى الرئتين حيث يتفاعل بالدم عن طريق خلايا خاصة، فينتقل الى الدم ما بالهواء من « أوكسجين » . وقد أمدت الطبيعة الأنف بشعر وأغشية من شأنها تنقية الهواء من الغبار قبل هبوطه الى الرئتين . ومن هنا كان المفروض ألا نستنشق الهواء الا عن طريق الأنف لتنقيته ، وان نستبقيه فى الرئتين مدة كافية لاستغلال كل ذرة من الاوكسجين به !

والتمرينات الرياضية تفيد التنفس فائدة كبيرة ، لا سيما

التمرينات التى تعنى بتقوية الصدر . وثمة وضع معين للجسم ، يفيد فى هذا الصدد فائدة كبيرة .. **ذلك هو ابراز الصدر الى الأمام وتأخير الكتفين الى الخلف ، كما يفعل الجندى فى وقفة ((الانتباه)). اذ أن الجسم ـ فى هذا الوضع ـ يكون فى أحسن حالات توازنه ، مما يساعد الأعضاء كلها على النشاط للقيام بوظيفتها ! .. وقليل من الوقت يقضيه الانسان فى هذا التمرين كفيل بأن يعيد اليه نشاطه فى فترة القيلولة ، اذا شاء أن يقاوم النوم !**

ولا يقف أمر التنفس عند الرئتين والأنف فحسب ، بل ان هناك نوعا آخر من التنفس تقوم به المسام الكثيرة على سطح الجلد ، اذ أنها تتفاعل بالهواء والأشعة فتنشط ، وتطرد ما قد يكون بالجسم من افرازات سامة. لهذا كان من الواجب تنظيف البشرة باستمرار ، لتمكين المسام من أداء هذه الوظيفة .. والى جانب الحمام الساخن ـ الذى يمكن الاكتفاء به مرة واحدة فى الأسبوع ـ يحسن كثيرا بالانسان أن يستمتع فى كل صباح بحمام بارد ، فان ذلك يفيد فى تنظيف المسام ، كما يعمل على تنشيط الجهاز الجسمى كله !

الماء عبد نافع وسيد ضار !

• **والاكثار** من شرب الماء مفسد للمعدة ، اذ يسبب عسر الهضم ، نظرا لأنه يخفف مفعول الأحماض الهاضمة ، ويؤدى الى بقاء الطعام مدة أطول مما ينبغى ، فيتكاثر الغاز المتصاعد منه ، مما يسبب التهاب جدار المعدة .. والواقع ان الانسان فى غير حاجة الى الاكثار من الماء ، لأنه يتناوله ضمنيا فى المواد الغذائية جميعا

والماء المثلوج شديد الضرر ، لا سيما اذا وضع فيه الثلج مباشرة. فهو ـ الى جانب الصدمة التى يوقعها بالمعدة فيوقفها عن العمل ـ يعد سببا قويا فى احداث تضخم الغدة الدرقية ..

والماء ـ وان كان استعماله بحكمة عظيم الفائدة ـ الا أنه شديد الضرر اذ يحول المعدة الى ما يشبه الثلاجة ، ويساعد على تيبس الانسجة الحيوية المحيطة بالمعدة ومن هنا قيل : « الماء كالمال .. عبد نافع ، لكنه سيد ضار » !

وقد يصاب الانسان أحيانا بعطش لا سبيل الى التخلص منه مهما يشرب من ماء . وعلاج هذه الحال بسيط : اذ ان نصف كوب من الماء الدافىء كفيل بازالته تماما . . ومن أحسن العادات ، ان يشرب المرء نصف كوب من الماء الدافىء كل صباح، فان هذا يساعد المعدة على أداء مهمتها . .

ولا ينسينا هذا أمر الشاى والقهوة . . فهما وان كانا مفيدين فى بعض الظروف ، الا أن الاعتدال فى تناولهما نعمة كبرى. ومن الضرر الشديد ان يجمع المرء بين الشاى واللحم فى وجبة واحدة ، اذ ان المادة الحمضية التى فى الشاى ، تؤدى الى تيبس اللحم الى درجة تجعل هضمه مستعصيا !

استغلال المواهب العقلية يقهر الشيخوخة

• **والشعر** بمثابة « الترمومتر » بالنسبة للجسد ، فهو يشير الى درجة صحته العامة . وما لم يكن بالجلد مرض خاص او كان المرء يفرط فى استعمال المعاجين فى تنسيق شعره ،فان تساقط الشعر وتحول لونه انما يدل على اضطراب فى المعدة. والشيب المبكر يدل على نقص « الجير » و« السليكا» فى الجسد . وهما مادتان توجدان فى القمح ، اذا لم يتعرض للافرط فى التنقية كما هو حال الدقيق الأبيض . وهنا نكرر ان **الخبز الأسمر أفيد للجسد من الأبيض ..** والى جانب ذلك فان « تبييض » الدقيق هو السبب الأول فى حدوث الامساك وعسر الهضم وأمراض الأسنان ، وما ينجم عن ذلك من علل

ويستطيع الانسان ان يحافظ على حيويته الى سن كبيرة ، اذا عنى بتنمية قواه وملكاته . **واذا كان بعض الرجال**

« يشيخون » فى سن الأربعين ، فاننا نجد ـ كذلك ـ ان كبار رجال الأعمال ، ومشاهير الفنانين والكتاب ، ورجال السياسة النابهين ، لا يبلغون اوج الشهرة الا فيما بين الأربعين والخمسين من أعمارهم . ففى هذه السن يبلغ العقل أوج اكتماله ونشاطه، وما على الانسان الا أن يحسن استعماله ، فيحصل على النتائج الباهرة التى تذيع شهرته ! على ان نسبة الذين يستعملون عقولهم فى الحياة ضئيلة ، لسوء الحظ . اذ يعيش أغلب الناس فى خمول ، منكرين على العقل كل قواه فى التفكير . وهؤلاء هم الذين يبلغون فى سن الأربعين ، مالا يبلغه أبناء السبعين من ضعف واكتهال . فى حين ان بين المفكرين من يحتفظ بقواه ونشاطه الى ما بعد السبعين .. ولعل « برنارد شو » كان أعظم مثل لذلك

على ان الاحتفاظ بالحيوية والنشاط ليس سواء لدى كل امرىء ، أى أن أسبابه تختلف من فرد الى آخر ، فلا سبيل الى وضع قواعد ثابتة له .. فلكل فرد قانونه الخاص به . ولو انك سألت عددا من المعمرين عن اسباب احتفاظهم بقواهم وحيويتهم ، لتعددت الأسباب التى يبدونها بتعددهم . فمنهم من يرجع ذلك الى الانتظام فى المأكل والمشرب، ومنهم من يرجعه الى العزوف عن المشروبات الكحولية أو التدخين أو ما اليه

الموت الفجائى والسكتة القلبية

• **ونذكر** ـ بهذه المناسبة ـ قصة رجل معمر ، أقام احتفالا عند بلوغه الحادية والتسعين ، فأقبل عليه مندوبو الصحف يسألونه عن أسباب تعميره ، فقال لهم : **« انما يرجع ذلك الى اننى لم أقرب الخمر فى حياتى ! »** . وفيما هو يتحدث اليهم ،تناهى الى سمعهم صخب من داخل الدار ، فسألوا المعمر



عما هناك ، واذا به يجيب: **((انه أخى الأكبر .. جاء ثم لا كعادته!))**
وكثيرا ما حدث ان ينام رجل صحيح الجسم موفور العافية ، فلا يقبل الصباح التالى الا وهو ميت .. وقد يقال اذ ذاك ان وفاته راجعة الى عسر هضم حاد ، او الى سكتة قلبية . ولكن الأرجح ان السبب هو **((هبوط القلب))**. واهم اسباب الهبوط هو الافراط فى الأكل ، وقلة الاقبال على الرياضة

الافراط فى الأكل ، خير طريقة للموت !

• **ذلك** ان الافراط فى الأكل يؤدى الى نتيجتين ، أولهما : تكاثر الغذاء اكثر مما ينبغى ، بحيث لا يستغل الجسم سوى جزء منه ، **ويختزن الباقى على شكل شحم يتراكم على بعض أعضاء الجسم ، ومنها القلب** . فنجد ان القلب ــ عند الشخص المفرط فى الأكل ــ يتضخم لكثرة مايرد اليه من غذاء ، كما تتراكم عليه طبقة دهنية تجعله فى حاجة الى فراغ من التجويف الصدرى أكبر من الفراغ المخصص له .

أما النتيجة الثانية، فتتمثل فى تولد الغازات فى المعدة ــ نتيجة تخلف الاطعمة فيها ــ **فلا يلبث ضغط هذه الغازات ان يعوق القلب عن اداء وظائفه ، وان يضعف من قوته**

وهاتان النتيجتان ، وما يترتب عليهما ، لا تلبث ان تؤدى الى توقف القلب فجأة عن العمل . وهو ما يعبر عنه بـ ((السكتة القلبية !))

اختلال الكبد يجعل الحياة عبءا ثقيلا

• **وعندما** تشعر بغيم يرين على بصرك ، وصداع يقض راحتك ، وكسل يحد من رغبتك فى العمل ، وعطش غير عادى تحار فى الخلاص منه ، وطباع حادة تحملك على الثورة لأتفه الأسباب .. عندما تشعر بكل هذه الأعراض ، وجب ان تدرك ان كبدك مختلة !

وتنجم امراض الكبد عادة عن قلة الرياضة البدنية ، وعدم الانتظام فى الأكل . ومن ثم فلا بد من أن تلتزم نظاما صحيا معتدلا فى مأكلك ، وان تقبل على ممارسة بعض أنواع الرياضة الميسورة ، البسيطة .. والاعتدال فى الرياضة امر ضرورى ، فليس أضر بالجسم من انغماس المرء فى عمله طول الأسبوع دون ان يؤدى تدريبات ما تنشط بدنه ، ثم يقبل فجأة على الرياضة ـ فى عطلة نهاية الأسبوع ـ فى اسراف ينهك قواه

ولعل أسعد الناس حقا ، هم أولئك الذين يمارسون اعمالا تستدعى قيامهم ببعض الحركات الرياضية اثناء ادائهم اياها

التدخين تسلية قد تصبح سيدا متسلطا

• **ولقد** يكون التدخين تسلية مفيدة ، لو ان المرء عرف كيف يروض نفسه عليه ، بحيث يقيها شر الخضوع له . ذلك ان سيجارتين أو ثلاثا ـ فى اليوم ـ قد لا تؤدى الى ضرر ، بل انها قد تساعد على راحة الفكر ، وتسرية الارهاق !

ولكن الواقع هو ان المدخن لا يلبث ان ينساق وراء لذة التدخين ، حتى يصبح عبدا لها ، وحتى يصير فريسة سهلة لما ينشأ عن الافراط فى التدخين من تبلد ذهنى واضطراب عصبى !

واذا كانت عادة مضغ التبغ ـ وهى من أسوأ العادات ـ قد أوشكت على الانقراض ، الا ان ثمة عادة أبشع منها يجب ان تتلاشى .. تلك هى مضغ « اللبان » . ففضلا عما فيها من نبو عن الذوق يثير الاشمئزاز لدى من يجالس ممارسها ، نجد انها

تسبب ارتباكا فى المعدة ، وتساعد على عسر الهضم .. وليس على تسهيله ، كما هو شائع !

لا تنزعج اذا زارك الأرق !

• **وقد** لا يكون من الممكن تحديد عدد معين من الساعات للنوم ، نظرا لتباين ظروف الافراد . ولكن من المفيد حقا ان يتعود المرء ان يأوى الى فراشه فى ساعة معينة من الليل ، وان يغادره فى ساعة معينة من الصباح . فالى جانب مافى هذا من فائدة للجسم ، نجد انه يقى المرء شر الأرق ، اذ ان التعود يجعل النوم يوافيه بمجرد ذهابه الى الفراش

وخير ما تفعله اذا شعرت بالأرق ، هو ان توحى الى نفسك بأن النوم لن يلبث ان يواتيك ، فلا تبالغ فى الانشغال والقلق . ويحسن ان تتناول كوبا من اللبن الدافىء . أما اذا تكرر الأرق ، فمن النافع حقا ان تكثر من النشاط فى يومك ، بالاقبال على العمل ، وممارسة الرياضة ، والاستمتاع بمباهج الحياة - كالرقص او ارتياد السينما - بحيث يكون جسمك مهيئا للنوم عندما تؤوب الى فراشك أخيرا !.. على أنه لا بد من ان تسعى الى استشارة الطبيب ، اذا استمر الأرق بعد ذلك

واحرص - اذا نمت - على الاستلقاء على جنبك الأيمن، حتى لا تثقل الضغط على قلبك فتعوق حركته . واترك النافذة مفتوحة .. وعندما تتراءى لك احلام مزعجة ، فتذكر ان هذا غالبا ما ينشأ عن الهضم أو اختلال فى الصحة . اذ ان الانسان السليم قليلا ما تنتابه الأحلام !

« تقليعة » .. اسمها « الريجيم » !

• **من** « التقاليع » التى استشرت هذه الأيام ، عدول المرء عن بعض الأطعمة ، أو اقباله على بعض آخر باسم « الريجيم » . وقد يشتط المرء فى ذلك الى درجة تسلمه الى الوهم الذى

لا يلبث ان يسلمه بدوره الى المرض !

وأخطر مافى « الرجيم » ان كثيرا ممن يتبعونه لا يستشيرون فيه طبيبا وانما يأخذونه عن الكتب والمجلات ، دون مراعاة لتباين الظروف الخاصة من انسان الى آخر !

وهناك « سخافات » كثيرة ، نسمعها الآن من الناس حول الفيتامينات والبروتينات والسعرات الحرارية ، دون ان يفهم اصحابها شيئا عن الموضوع او يحاولوا دراسته . والواقع انه لم تكتشف ـ حتى الآن ـ من الفيتامينات الا أنواع خمسة :

فيتامين (أ) : ويوجد فى الزبد ، وصفار البيض ، والكرنب ، والخس ، والفاصوليا ، والكرفس .. وما شابه ذلك من الخضر

وفيتامين (ب) : ويوجد فى الخبز الأسمر ، والحبوب جميعا ، وفى البطاطس ، والجزر ، وباقى النباتات « الجذرية » المشابهة . كما يوجد فى البندق ، والزيوت النباتية ، ودهن الحيوان ، والفاصوليا ، والفول ، واللبن

وفيتامين (ج) : ويوجد فى الموالح ، والليمون ، والتفاح ، والعنب ، ومعظم الفواكه . ويوجد كذلك فى بعض الخضراوات كالفاصوليا ، والكرنب ، والقرنبيط . ولكنه يتبدد بالتسخين

وفيتامين (د) : ويوجد فى اللبن الطازج ، والجبن .

وفيتامين (هـ) : الذى لم يعرف العلم بعد كل ما يتعلق به ، ولكن الاعتقاد يتجه الى أن له تأثيرا على الحيوان أقوى من تأثيره على الانسان .. وان كان من المنتظر أن يغير العلم من هذا الرأى

لماذا يحب المفكرون تناول السمك ؟

• **والفيتامينات** جد ضرورية بالنسبة لصحتنا ووجودنا . ولكنها سريعة التلف ، فالغليان يفسدها وكذلك « التحمير » والتجفيف ، كما تفسدها وسائل الحفظ فى العلب . ولذلك فان الأغذية المحفوظة قليلة الفائدة

واذا كانت الفيتامينات غاية فى الأهمية بالنسبة لجسم الانسان ، فكذلك نجد ان بعض الأملاح لا تقل عنها أهمية ، نظرا لمفعولها فى تنقية الدم ، وتغذية الجسم . . تلك هى مركبات الجير ، والحديد ، والصودا ، والبوتاس ، والفوسفور ، والكبريت ، والزرنيخ ، والسيليكا . . وهى توجد - بوجه خاص - فى الخضر والفواكه الطازجة . ويعمل الماء الموجود فى الخضر والفواكه على تحليل هذه الأملاح .

فاذا ما تناولت وجبة مكونة من الحساء ، والخبز الأسمر ، واللحم ، والخضر والبطاطس - محمرا أو مسلوقا - والسلطة ، والفاكهة .. فانك تكون قد حصلت على كل نوع من الأغذية مما تحتاج . . اما الأطعمة المحفوظة ، فلا تعود عليك بمادة غذائية تذكر ، لأن وسائل الحفظ تفسد الفيتامينات والأملاح جميعا .

ولكننا نحب ان ننبه الى ان بعض الناس قد تكتفى اجسادهم بأنواع معينة من الأغذية ، دون سواها ، فلا يؤثر هذا على صحتهم .. ومن هؤلاء النباتيون ، وكثير من المفكرين لاسيما العباقرة منهم

ذلك أن الظروف الخاصة فى معيشة كل انسان تشكل حاجات اجسادهم بأنواع معينة من الأغذية ، دون سواها ، فلا يؤثر ما ، قد تكون سما لغيره . **ومن المعتقدات الشائعة ان الخضر والسمك مفيدة للذهن ، ولذلك يعتمد المفكرون عليها فى غذائهم .. والحقيقة انها سهلة الهضم ، ومن ثم فانها تريح المشتغلين بالأعمال العقلية ولا تعوق نشاطهم ، على العكس من الوجبات الدسمة التى تدعوهم الى التراخى والكسل !**

وهذا يؤكد ما قلناه من ان بعض الأطعمة قد تصلح لفريق من الناس دون فريق آخر ، فلا يكون لذلك تأثير على صحة أى الفريقين

بين المطبخ والمائدة

• ولكي تحصل أكبر فائدة من غذائك ، يجب أن تعتني

بطهوه .. فلا تدع الخضر على النار اكثر مما ينبغى ، حتى لا تفسد ما بها من الفيتامينات والاملاح . ويكفى ان تبقى الخضر على النار من عشر دقائق الى عشرين دقيقة .

أما النباتات الجذرية - كالبطاطس - فانها تقتضى وقتا أطول من ذلك . واللحم الأحمر لا يتطلب نضجا على النار لأكثر من الدرجة التى تجعل من اليسير مضغه وابتلاعه . فى حين ان اللحوم البيضاء تتطلب وقتا أطول .. ومن المستحسن ان لا تتناول اللحوم مقلوة (محمرة) !

وثمة غذاء جيد جدا يجب الاهتمام به . . ذلك هو السمك ، فان له قيمة غذائية كبرى ، فضلا عن انه سهل الهضم ، تستريح اليه اكثر المعدات اختلالا

والوجبة الغذائية ليست عملا يؤديه المرء كيفما اتفق ليفرغ منه متعجلا ، وانما هى متعة يجب ان يستمرئها ، فيتبادل مع من يشاركونه المائدة أحاديث أقل ما يشترط فيها أن تكون مسلية وبعيدة عن العمل والمزعجات التى تثقل على الصدر . وهناك من يعيبون على المرء اقباله على القراءة اثناء تناول الطعام . ولكن القراءة خير ما يفعله المرء - اذا جلس وحيدا الى المائدة - ليهرب من افكاره . . على ان تكون المادة التى يقرأها غير دسمة ، ولا معقدة، ولا متصلة بالعمل. وليس اضر بالمعدة من تلك الطريقة التى يتناول رجال الاعمال بها طعامهم، اذ انهم يقبلون عليه فى عجلة من أمرهم ، فيزدردون الأكل ازدرادا ، ثم يغادرون المائدة مسرعين .. ولا يلبث الواحد منهم أن يشكو من معدته ، وهو لايدرى ان طريقته فى تناول الطعام هى السبب، اذ ان ارسال الطعام الى المعدة دون ان يمضغه مضغا كافيا لتيسير مهمتها فى الهضم

المرض الذى حير رجال الصين دون نسائها

• **والمضغ** الجيد للطعام يقوى الاسنان . وليست الاسنان

السليمة ذات اهمية بالنسبة للمضغ فحسب ،بل ان امراض الاسنان تحدث اختلالا فى الجهاز الجسمى كله .. ولذلك يجب العناية بها وتنظيفها جيدا ، باستعمال الفرجون والمحاليل المطهرة بعد كل وجبة ، وقبل النوم ، وعقب الاستيقاظ

وتتعرض الأسنان للتلف من جراء عدة عوامل . . فالسكر يساعد على تكوين الأحماض التي تذيب المادة الواقية التى تكسو الأسنان .. والمشروبات المثلوجة قد تميت الاعصاب المتصلة بها . . والأطعمة السهلة المضغ تحرمها من المران فتضعفها .. والمشروبات الشديدة السخونة تضعفها هى الأخرى ، وتمكن فضلات الأطعمة والمشروبات من مهاجمة المناطق المحيطة بها بجراثيم تؤدى الى تآكل اللثة وتقيحها .. كما ان ضعف اللثة والاسنان قد ينشأ عن قلة اللحم والخضر الطازجة . . وبوجه عام ، يجب عرض الاسنان على طبيب اخصائي لفحصها مرة فى كل ستة أشهر ، أو فى كل عام على الأكثر !

وأهم ما ينبغى اتباعه، هو تجنب الطعام الشديد السخونة ، أو الشديد البرودة . وقد لوحظ فى (الصين) ان معظم الرجال كانوا يتعرضون لسرطان اللسان ، فى حين ان النساء لم يكن يصبن به . وما لبث البحث ان كشف عن ان التقاليد هناك ، جرت على ان يقدم الطعام ــ بمجرد رفعه عن النار ــ الى الرجال ، فيتناولونه وهو ساخن .. اما النساء ، فكن يعتبرن أقل مقاما من الرجال ، ومن ثم فانهن كن يقنعن بفضلات طعامهم .. وهى عادة تكون قد فقدت سخونتها !

فن الطهو فى « تاكتيكات » معركة الصحة

• **وليس** أضر بجسم الانسان من الطعام الصناعى . . ونعنى به الطعام المحفوظ ، والطعام الذى يؤخذ مستخلصا فى شكل حساء أو أقراص أو ما الى ذلك مما يبتكره العلماء . ذلك

لأن الانسان نتاج ملايين السنين ، وقد تكيف جسده ونظامه الحيوى بما ألفه خلال ذلك من عادات ونظم فى التغذية ، وبما حبته به الطبيعة من أطعمة . ومن ثم فليس بوسع العلم ان يغير كل ذلك ، دون ان يتعرض الانسان للأمراض والعلل

لذلك فمن الضرورى للانسان ان يعود الى الاطعمة الطبيعية ، من خضر ولحوم طازجة ، مع مراعاة طهوها واعدادها بمايكفل صيانة عناصرها الغذائية

وطهو الطعام فن . . فالمرأة التى تقف فى مطبخها ، وتعمل فكرها فى اعداد وجبة لزوجها تحتوى على ماتحتاج اليه صحته من مواد غذائية ، لا تقل شيئا عن الفنان الذى ينسق الأنغام فى لحن يجد فيه متعة ولذة لروحه وعواطفه !

واختيار الطعام لا يحتاج الى عناء كبير ، وانما هو يحتاج الى شىء من التفكير والذوق السليم والالمام بالقيمة الغذائية للمواد . . **ولو أجادت المرأة هذه الأمور ، لكانت بمثابة الجندى الأول فى معركة الصحة !**



عالم الغد

الى أين المصير ؟!

للباحث العلامة الانجليزى "ا . م . لو"

تلخيص : الدكتور ناجى يسى

العالم .. فى مفترق الطرق

◆ الى أين المصير ؟.. ان الأحوال التى تسود العالم اليوم ، تتسم بالتناقض . فبينما تتقدم وسائل الترفيه عن البشر وزيادة سعادتهم ، نجد أن البشر أنفسهم يتطلعون الى المستقبل فى توجس وخوف .. ذلك لأن الوسائل التى يقدمها العلم للترفيه عنهم ، قد تنقلب - تحت ضغط شهوات الجشع السياسى - الى أدوات لتدمير العالم بأسره !.. فالصاروخ الذى يمكن البشر من الحصول على وسيلة سريعة للمواصلات ، تعزز من ترابطهم ، قد ينقلب الى أداة للخراب الذريع !.. والطاقة الذرية التى تستطيع أن تجعل حياة الانسان نعيما ، قد تنقلب - اذا ما أسىء استخدامها - الى وبال يقضى على هذه الحياة تماما !

فالى أى المصيرين يسير العالم ؟ .. هذا هو الموضوع الذى تناوله الباحث العلامة « ا. م. لو » ، فى هذه الحلقة الأخيرة من كتابه « عالم الغد » .. على أنه قبل أن ينفذ الى لب الموضوع ، لم يشأ الا أن يستكمل نبوءاته - التى بناها على أسس من العلم والواقع - فرسم صورة اجتهادية لما ينتظر أن تصير اليه فى « عالم الغد » ناحية من أهم نواحى الحياة الانسانية ، يزيدها التطور العلمى اتساعا وأهمية ، يوما بعد يوم .. تلك هى « أوقات الفراغ » فى الحياة اليومية للانسان !

لماذا ننشد أوقات الفراغ ؟

• **أصبحت** السرعة والآلة هما الميزتان اللاصقتان بعصرنا الحاضر .. وأصبح الاقتصاد فى الوقت ، والاقتصاد فى الجهد ، ميزتان أخريان ، تنجمان عن السرعة والآلة ، ولكنهما تتخذان لنفسيهما قيمة خاصة . اذ ما الذى يدعونا الى الاستزادة من السرعة ومن ابتكار الآلات ، لكى نتيح لأنفسنا مزيدا من اوقات الفراغ ، ولكى نعفيها من اكبر قسط ممكن من الجهد ؟

لابد ان يكون هدفنا الحقيقى هو ان نتيح لأنفسنا فترة فسيحة ننصرف فيها الى وسائل الترفيه والتسلية والترويح عن النفس من عناء العمل ، دون ان نتعرض للملل . لا فى

العمل ، ولا فى الترويح !.. **واذا كان الأمر كذلك ، افلا يحسن ان نحدد العلاقة بين العمل وأسباب الترفيه ؟**

ان العمل ـ من حيث المبدأ ـ واجب تفرضه علينا أوضاعنا الاجتماعية والاقتصادية ، فليس لنا خيار فى زيادة الاقبال عليه أو الانصراف عنه ، الا فى حدود ضيقة .. **ولقد نستشعر لذة فى الاقبال عليه احيانا، ولكن هذه اللذة لاتنقله من نطاق الواجب الى محيط الترفيه .. واذن ، فدرجة ((الالتزام)) بأداء العمل، هى الفيصل فى هذا الصدد .** وكثيرا ما نجد عملا واحدا، يكون مبعث ترفيه عند البعض ، وواجبا ممضا لا بد منه عند بعض آخر . ففلاحة البساتين ـ مثلا ـ رياضة ذهنية وبدنية محببة لدى هواتها، فى حين انها عمل شاق لدى البستانى الذى يضطر الى اتخاذها وسيلة لكسب العيش !

ازدياد الفراغ يفسح المجال للجريمة !

• **وعلى** هذا ، فالفارق الرئيسى بين العمل وتسلية الفراغ ـ سواء كانت رياضة أو هواية ـ هو اننا نؤدى الاول اجباريا لقاء اجر ، بينما نقبل على الثانى لمجرد المتعة ، سواء افدنا من هذه المتعة أو لم نفد . . فلعب الكرة هواية عند الذى يمارسه للتسلية والرياضة ، فى حين انه حرفة لدى من يتكسب منه . **وهنا يجب أن لانقرن المتعة بالتسلية ونقصرها عليها ، فكم من أناس يجدون متعة فى مزاولة عملهم، تفوق ما يجدونه فى مزاولة هواياتهم ورياضاتهم فى أوقات الفراغ !**

وقد دلت التجربة على ان السعادة ليست نتيجة حتمية للتقليل من ساعات العمل . بل ان العكس قد يكون أقرب للحقيقة ، اذ أن البطالة شاقة على النفس ، ولو لم تكن بالمرء حاجة الى كسب القوت عن طريق العمل !.. **فهى تهيىء لنا فراغا نشتهيه عندما تحرمنا منه دواعى العمل ، ولكنا نضيق به اذا لم تتوفر لنا وسائل التسلية والترفيه .** ومن هنا ربط

علماء الاجتماع بين ازدياد الجـرائم ـ لا سيما بين الاحداث ـ وبين نقص ساعات العمل فى السنوات الأخيرة، ونظموا الحملات لاستغلال اوقات الفراغ استغلالا سليما يقى الانسان من الانزلاق الى الجريمة

ميزانية للعمل والراحة

• **على** هذا الضوء ، نستطيع ان ندرك ان الاتجاه الحديث نحو اطراد تقليل ساعات العمل الاسبوعى ، من شأنه ان يفتح آفاقا جديدة لاستغلال اوقات الفـراغ ، وان يلقى على نقابات العمال واتحاداتهم ، عبء وضع ميزانية للعمل والفراغ ـ بين العمال ـ على نمط الميزانية المالية، للتمكين من دراسة ساعات العمل التى تستلزمهـا حاجات الانتـاج حتى يحتفظ المجتمع بمستوى لائق للحياة، ودراسة ساعات الفراغ اللازمة لكل فرد حتى يحصل على الراحة والترفيه الكافيين ، دون ان يتعرض للملل . **ولا بد من ان تكون الميزانية ـ التى من هذا القبيل ـ كثيرة المرونة ، حتى يسـتطيع ان يكيف كل فرد ـ من افراد المجتمع ـ داخل اطارها ساعات شغله طبقا لاحتياجاته المالية فى أوقات فراغه** • فاذا كانت الهواية التى سيستغل فى ممارستها اوقات فراغه تتكلف نفقات كثيرة ـ كارتياد المسارح، أو سباق الخيل ـ فقد يجد الفرد ان الأحـرى به ان يزيد من ساعات عمله ، ليرفع دخله الى الدرجة التى تمكنه من ان يرضى هذه الهوايات .. هذا ، فى حين ان هناك فريقا آخر من الناس ، قد يفضـل ان يعمل وقتا أقل ، ليتـوفر له مزيد من الوقت كى يمارس الرياضات المنتجة ـ أى التى لا يستخدم فيها جهود سواه كالرياضة البدنية ـ ولو أدى هذا الى انخفاض دخله !

ساعات العمل وعطلة نهاية الأسبوع

• **ومن** المشكلات التى سنواجههـا فى عالم الغـد ، مشكلة



العمال الذين تقتضى اعمالهم ان يحرموا من عطلة نهاية الاسبوع لاشتغالهم بتوفير وسائل المتعة لبقية الأفراد فى عطلاتهم، كعمال النقل والمطاعم والملاهى.. وقد كان الاتجاه فيما مضى، منحصرا فى زيادة أجر العامل الذى من هذا القبيل، كتعويض له عن حرمانه من الراحة فى نهاية الاسبوع . **ولكن الواقع يتطلب ان لاينظر الى ايام معينة من الاسبوع ، على انها مخصصة ـ دون سواها ـ للعطلة ، كما يتطلب أن يصبح أسبوع العمل مكونا من أية خمسة ايام متتالية . . كذلك يجب ان يبدأ يوم العمل ـ وهو سبع ساعات متتالية ـ فى أى وقت من اليوم ، دون ارتباط بالمواعيد التقليدية**

ومع ذلك ، فقد يكون هناك أفراد يفضلون العمل طيلة أيام الاسبوع السبعة باستمرار ، على ان يحظوا فى النهاية بعطلة سنوية تمتد الى ستة اسابيع بدلا من اسبوعين .. فان العطلات الطويلة تتيح للمرء ان يمارس الرياضات التى تحتاج الى فترات طويلة ، كالرحلات

ومن المسلم به ـ كذلك ـ ان السياسة العليا للتعليم، تقضى بمنح المدرسين اوقات طويلة للراحة ، بحيث ان وقت العمل قد لايستغرق سوى الشطر الأصغر من يومهم . وذلك لكى يتوفروا على الدرس والبحث. وليس من شك فى ان كثيرا من رجال الفكر قد يستيطعون القيام بدراسات مبتكرة ، عظيمة النفع للبشر ، اذا هم حظوا بالوقت الكافى للتأمل والملاحظة

مؤسسات لرياضة النفوس والافكار

• **ولعل** ادراك عالم الغد لهذه الملاحظات ، كفيل بأن يفتح امام أصحاب المواهب مجال ممارسة البحث العلمى ـ على سبيل التسلية والترويح ـ فى اوقات فراغهم . وذلك بانشاء معامل عامة ، على غرار المكتبات العامة ، يترددون عليها كلما طرأت لهم فكرة طريفة ، ليعملوا على تحقيقها . **والواقع ان انشاء اماكن يرتادها الناس لرياضة النفوس والأفكار، لايقل فى قيمته عن انشاء الملاعب لرياضة الأجسام**

ان الملل هو العدو الأكبر للأنسان ، وما لم نستطع زيادة عنصر الابتكار والاستحداث فى تنسيق أوقات الفراغ واستغلالها، فان الملل الذى سيثقل على الأفراد فى الاوقات التى يقضونها بعيدا عن اعمالهم ، سيكون اشد ارهاقا لاعصابهم من جهد العمل ذاته .. ولن يؤدى هذا الا الى تفاقم الانحراف والجريمة، والاقبال على الرياضات المنطوية على مقامرات ، كسباق الخيل!

« الرادار » فى ميادين الرياضة

• **ولقد** غزت ميادين الرياضة ـ فى ربع القرن الاخير ـ مئات

من الآلات الدقيقة ، التى تساعد على تجنب عنصر الخطأ والمصادفة فى الرياضة. فهناك أجهزة ضبط الوقت التى تسجل الوقت مقربا الى عشر الثانية . وهناك التسجيل السينمائى لنهاية اشواط سباق الخيل وقد اصبح اساس الكلمة الفاصلة اذا ما اختلف الحكام فى تعيين الجواد الأسبق من سواه الى نقطة النهاية !

وليس من شك فى أن المستقبل سيشهد توسعا فى استخدام الآلة لتيسير دقة الحكم فى نتائج الالعاب الرياضية المختلفة . كما ان التسجيل السينمائى الكامل للمباريات الرياضية العظيمة الاهمية ـ كمباريات التنس الدولية مثلا ـ سيقضى على المنازعات التى قد تنشأ من وقت الى آخر بين اللاعبين بعضهم وبعض ، أو بينهم وبين الحكام

ولو اننا تمادينا فى التكهن ـ فى هذا المضمار ـ فليس من المستبعد أن نتوقع استخدام « الرادار » فى بعض الألعاب الرياضية !.. كأن يستخدم فى اقامة حدود غير منظورة لملاعب التنس ـ مثلا ـ ما ان تتخطاها الكرة ، او اللاعب ، حتى ينعكس تخطيه على ستار ، أو على جهاز ينبه الحكم !

الرياضة .. فى عالم الغد

• **ومن** الحقائق التى لا مجال للجدال بشأنها ، أن الألعاب والمباريات الرياضية أصبحت عنصرا هاما فى حياتنا الحديثة.. ومن ثم أصبحت المباريات الدولية تجتذب اهتمام الملايين ، فى كافة أرجاء العالم ، لا سيما بعد ان ساهمت وسائل النقل السريع ـ كالطائرات ـ فى تيسير اقامة مباريات دولية بين دول تبعد الواحدة منها عن الأخرى بمئات الأميال .

بل ان هذه المباريات أصبحت اليوم ـ فيما يقال ـ من أهم الوسائل لتعزيز الترابط والتآخى بين الشعوب ، وان كانت فى بعض الاحيان ، تخلف مرارة تهدد علاقات الصداقة والوئام

بين الدول ـ كما حدث بين انجلترا واستراليا فى بطولة «الكريكيت» منذ اعوام ـ او تستعمل فى اذكاء الخلافات السياسية !

ولقد قيل ان الرياضة تؤدى الى رفع مستوى اللياقة الصحية لمن يمارسونها ، وانها تنمى الشخصية لدى اللاعبين ، ولكن : **ما الهدف الذى نرمى اليه من رفع مستوى اللياقة الصحية ، او من تنمية الشخصية لدى اللاعبين؟ .. ما الفائدة التى تعود على المتفرجين بالذات ؟**

لا شيء !.. والواقع ان السبب الرئيسى فى اقبال الناس على الرياضة ، هو ما يجدونه من متعة وتسلية فى مشاهدتها ـ اذا كانوا من المتفرجين ـ وفى ممارستها ، اذا كانوا من اللاعبين .. على أن استمتاع المتفرجين بالرياضة أمر نسبى . وقد يأتى اليوم الذى ننظر فيه بشىء من الاشفاق الى عقلية الشخص الذى يقضى نهارا كاملا فى محاولات متكررة لادخال كرة فى حفرة صغيرة فى الأرض ، كما يفعل لاعب الكريكيت !

ألعاب رياضية .. آلية !

• **على** ان التغير الذى سيطرأ على نظرتنا للألعاب الرياضية لن يكون تغيرا فجائيا ، بل انه سيأتى تدريجيا . . وفى اثناء ذلك ، تحل رياضات جديدة محل القديمة ، تقوم على اسس من العلم او من مبتكرات العلم ، كسباق السيارات . **وسيكون لهذه الرياضات ـ فى الوقت ذاته ـ اثر علمى على الصناعة ، اذ تكشف عن النواحى التى تساعد على ادخال المبتكرات والتحسينات الفنية على الانتاج الصناعى وهذا يردنا الى ما كان شائعا فى الأزمنة الماضية من مباريات بين اصحاب الحرف ، كسباق خدم الموائد ـ فى باريس ـ وهم حاملون صحافا حاشدة بأكواب الشراب المليئة ، أو سباق عمال الغابات فى تقطيع الأشجار . ولا يبعد ـ والحال هذه ـ ان تنتشر رياضات آلية فى كثير من دوائر الصناعة ، تساهم فى العمل على رفع مستوى**

الانتاج ، دون أن تتطلب من ممارسيها جهدا بشريا كبيرا .

واذا كانت الرغبة فى التسابق من الغرائز الكامنة فى النفس البشرية، فان المستقبل قد يوجهها وجهات اكثر فائدة للمجتمع من المباريات الرياضية الحالية.. بل انه قد لا يكون من المستبعد ان ينظر أحفادنا الى مبارياتنا هذه ـ التى يستخدم فيها الجهد العضلى ـ نظرة اشمئزاز ، لما تنطوى عليه من وحشية ينبو عنها الذوق الانسانى

الى أين المصير ؟!

. **والآن** وقد استعرضنا فى الحلقات السابقة ما ينتظر العالم من تطورات فى المستقبل ، ورأينا ـ فى كل ناحية من نواحى الحياة البشرية ـ ان المستحدثات العلمية والفنية لن تلبث ان تقضى على كثير من أسباب الألم والارهاق ، وان تؤدى الى وفرة الانتاج ، بحيث ينعم البشر بكفايتهم من الغذاء والكساء .. الآن وقد وجدنا أننا سائرون الى هذه الحال ، هل تراها كافية لتحقيق أكبر قدر من السعادة للانسان ؟

ان الاوضاع الراهنة فى العالم، تنطوى على متناقضات مذهلة. فبينما نجد ان وسائل الانتقال تتقدم وتزداد سرعة وراحة ، نجد ـ من ناحية أخرى ـ أن الخلافات السياسية تعمل على زيادة القيود المفروضة على السفر والتنقل بين الدول ، حتى أصبحت أشد مما كانت فى القرون الوسطى .. وفى الوقت الذى تشيع فيه كل المظاهر الموحية بالرخاء ، نجد ان الخوف من المستقبل هو الطابع الذى يبرز فى صورة الحياة العصرية.. وبالرغم مما أحرزته العلوم الطبية والصحية من تقدم ، فاننا لا نملك ان ننكر انها لا تزال عاجزة عن ان تخفف التزاحم على المستشفيات والعيادات .. بل انها زادت هذا التزاحم حدة !

ان جميع الدلائل تشير الى ان مستوى المعيشة للفرد العادي لن

يلبث ان يصل — فى المســتقبل القريب — الى درجـة لم تكن ميسورة لغير كبار الاغنياء ، فى العصور الماضية . ولكن الروح الســائدة بين أهل هذه الأيام ، تتسـم — رغم ذلك — بالقلق والتشاؤم ، وقد تكون هذه حال عابرة لن تلبث ان تزول . . اذ ليس من شــك فى ان الانقــلاب الصناعى — الذى غير وجه الحياة فى نصف القرن الأخير — اشاع الاضطراب فى حياة الأفراد ، فلم يعــد فى وسعهم ان يكيفوا مسلــكهم ونظرتهم للحياة ، طبقا له !

المطامع السياسية تعكر صفو الانسانية

• **ومن** أسباب السخط الواضحة ، عجز العلوم الاجتماعية عن متابعة التقدم الذى احرزته العلوم الطبيعية والهندسية ، والذى تمثــل فى المخترعات العلمية . فلا تزال علوم الاقتصاد والنفس والسياسة ، أبعد ما تكون عن « العلم » بمعناه الفنى القــائم على الحقائق الثابتــة والقواعد والقوانين المقررة ، التى لا دخل فيها للافتراضات والعواطف والأهواء .

ذلك لأن الانسان يستطيع ان يضبط العلوم الطبيعية بقوانين قياسية ، تقوم على أسس من التجارب . وهو أمر لا يتسنى — بالدقة التى يطمئن اليها — فى العلوم الاجتماعية ، لتعذر اجراء التجربة الدقيقة الكاملة فى المجال الانسانى ، ولتدخل « الارادة الانسانية الحرة » فى سير الظواهر فى محيط تلك العلوم . **ومن ثم ، فمن الأمور الواضحة اننا فى الوقت الذى نستطيع فيه ان ننتج كميات متزايدة من الأطعمة ، نجد انفسنا عاجزين عجزا تاما عن توزيعها توزيعا مجديا . وبالرغم من ان ظروف الحياة العصرية خليقة بأن تجعلنا فى غنى عن الطمع فى ممتلكات الغير ، فاننا نجد ان المطامع السياسية تهدد الانسانية بالحرب فى كل لحظــة !**

ولو اننا اســتخدمنا القواعــد التى يبنى عليهــا الساسة

مشروعاتهم ، فى تصميم الجسور والقناطر ، لكانت مقدرة هذه الجسور والقناطر على تحمل ما يمر عليهـا ، متروكة للحظ والمصادفة !

يجب ان تبنى السياسة بطرق علمية

• **لهذا** كان من الواجب على « عالم الغد » ـ اذا شاء الافادة من التقدم الحديث بدلا من ان يرزح تحت وطأته ـ ان يسعى أولا، وقبل كل شيء ، الى دراسة سلوك الفرد والجماعة، والوصول الى القوة الدافعة للفكر البشرى . ومما يضاعف من صعوبة مهمتنا ـ فى هذا الصدد ـ ان نتائج بحثنا لا بد وأن تصطدم بأوضاع مقررة ، يتعذر التسليم بوجوب هدمها واستبدالها بأوضاع أصلح منها !

لقد أصبحنا ـ من جراء التعقيدات السياسية ـ نؤمن بأن الوسيلة الوحيدة لاتخاذ أى قرار، هى ان نترك الفرصة لجميع الأفراد ـ الجاهل منهم والعالم على السواء ـ لابداء آرائهم ، وذلك استنادا الى ان الأغلبية لن تجرؤ على الشكوى . ويكفى لبيان سخف هذا الوضع ـ فى المجال العلمى ـ ان نتصور عالما كيمياويا يعمد الى استفتاء أصدقائه ، ليسترشد بآرائهم فى الاهتداء الى العناصر اللازمة لتركيب مستحضر معين ، بغض النظر عن جهلهم التام بكل ما يتصل بالكيمياء .. ان هذه هى عين الطريقة التى تقيم بها نصف دول العالم حكوماتها ! !

ان القانون الذى يصوغه احد علمـاء الطبيعة ، يكون صالح التطبيق فى كل زمان ومكان ، والا فقد قوته كقانون علمى اذا ثبت عدم صلاحيته، ولو فى مناسبة واحدة. أما علماء الاقتصاد، فانهم يبنون آراءهم على افتراضات وقوانين ما ان تطبق على الناس وحاجاتهم حتى يثبت بطلانها وعجزها . ذلك لأن رجال الاقتصـاد ينتمون الى مدارس فكرية قل أن تسلم احـداها بوجود حقائق مشتركة بينها وبين الأخرى .. فهى أقرب شيء

الى الأديان منها الى العلوم !

العلم أضل الناس عن الدين !

• **على** ان علم النفس اتجه أخيرا الى الناحيـة التجريبية ، وهى الوحيدة الكفيلة بتحويله من « دجل » الى « علم » ! .. ولعل ما ستتمخض عنه هذه التجارب كفيل بتغيير نظرة العالم، الى كثير من العلاقات بين البشر ، تغييرا أكثر واقعية وتحررا من الفروض والأوهام السائدة .

ان الحقائق ثابتة ازلية ، وكل مانستطيع عمله هو ان نكتشفها ونسجلها ونقررهـــا . فما لم تطلق حرية البحث والتجربة والنشر ــ مهما تتعارض نتائجها مع الأوضاع القائمة والفروض السائدة ــ فان العالم سيظل يتخبط فى ظلام دجل اقتصادى ونفسى ، تحت ستار « علوم » الاقتصاد والسياسة والنفس !

وقد يكون سير الناس فى حياتهم دون ما هدف محدد ، هو أهم أسباب القلق على المستقبل . ففى الوقت الذى قضى فيه المنطق العلمى على ايمان الملايين العديدة بالأديان ، نجد انه ترك الناس حيارى فى مغزى الحياة وهدفهـا ، دون ان يقدم لهم عقيدة جديدة تحفز جهودهم وتوجه نشاطهم . ولقد استطاعت الفلسفة الانسانية أن تأخذ مكان العقيدة الدينية ، مما فتـح المجال للعقائد السياسية والاقتصادية ، فبات من السهل اقناع الجماهير بأنهم لا ينالون « الخلاص » الا بالايمان بنظام سياسى معين ، بعد ان كانوا يؤمنون بأن طرق الخلاص تتمثل فى الاديان! .. واذا كانت الاديان تعد بملكوت السموات فى الآخرة ــ دون أن يسهل تكذيبهـا ــ فان العقائد السياسية الحديثـة تبشر بملكوتها على الأرض ، فاذا لم تحقق وعودها ، فان خيبة الأمل التى تصيب اتباعها خليقة بأن تزلزل كيانهم النفسى ، وتوليد القلق على المستقبل فى نفوسهم ! .. وكان من جراء ذلك ان البشر ــ اذ تمردوا كثيرا على السلطة الدينية كمصدر لتوجيه

السلوك الانسانى ـ لم يستطيعوا الاهتداء الى مصدر آخر لهذا التوجيـه !

الرخاء المـادى لا يكفى لتحقيق السعادة

• **لقد** أصبحنا نقدس الأغلبية ونعتقد أن الملايين لاتخطىء ، وان مشروعات السنين الخمس بمثابة وحى منزل من السماء. وما اسهل أن يجد رجل السياسة اتباعا يسيرون تحت رايتـه وهو يصيح : « من آمن بى ، ضمنت له طريق الخلاص » ! .. غير انه لابد من يوم ندرك فيه ان النجاح المادى ليس هدفا فى حد ذاته ، وان انتقال الأسرة من كوخ الى منزل حديث ـ مجهز بكل مستحدث من نعم العلم والاختراع ـ ليس كافيا لجعلها أسعد حالا من ذى قبل . كما انه ليسـت هناك جدوى من اقتصاد الوقت ، اذا نحن لم ندر ما يخلق بنا ان نستغله فيه اذا ما زاد عن حاجتنا !

ان أعظم درس تلقاه رجال العلم ، هو ان العلم ليس غاية فى حد ذاته ، وانما هو وسيلة لغاية أخرى . **واذا لم يستطـع البشر أن يميزوا بين التقـدم الهندسي الفني ـ الممثـل فى الاختراعات ـ كوسيلة، وبين المدنية الحقة كغاية وهدف ، فأن ما يضعه العلم الحديث بين أيدينا من امكانيات ضخمة ، قد ينقلب حربا على المدنيـة ومعولا يهدم أساس السـعادة الانسانية !**

ولقد تروج الدعوة الى الحد من التقدم العلمى ، على أساس افتراض أن المخترعات الحديثة لم تقرب الانسان من السعادة المرجـوة ، وان الأخطـار التى ينطوى عليهـا الاختراع تفوق الفائدة المرتقبة منه . ولكن هذه النظرة السطحية لا تحتمل التمحيص ، فمن الواضح ان العلم قد جعل الناس اكثر صحة وثراء فكريا .. وهذا فى حد ذاته اساس طيب لبناء المستقبل. **ولقد استخدم الانسان الأول الأسلحة لصيد الحيوان ، ولـكن**

هذه الأسلحة نفسها استخدمت لقتل الانسان ، فهل كان ذلك داعيا لتجنب استعمال السلاح ؟

ولكن .. لعل العلماء مسئولون ــ الى حد ما ــ عن سوء استخدام المخترعات العلمية باصرارهم على حرية البحث العلمى ، دون النظر الى ما قد يترتب على ذلك من سوء استعمال هـذا البحث ونتائجه !

ويرجع جزء كبير من الفوضى التى نعيش فيهـا الى عجزنا عن التنبؤ بالمستقبل تنبؤا قائما على أسس علمية سليمة ، وعن التحذير من العواقب التى لا بد من توقعها للمخترعات الحديثة .. وان الطاقة الذرية لتقوم دليلا على مسئولية رجال العلم فى التبصير باحتمالات المستقبل . **فاذا لم توجه الابحاث الذرية توجيهـا يضمن عدم استخدامها فى الهدم والدمار فان نهـاية الكرة الأرضية ــ أو نهاية الانسان على أقل تقدير ــ لن تكون بعيـدة .**

وخلاصة القول أن النتائج قد لا تظهر الا بعد وقت طويل ، ولكنها ــ عندما تظهر ــ انما تكون مترتبة على الأسـباب التى سبقتها . ومن ثم فعلينا ان ندرك مسئولية أعمالنا نحو الأجيال القـادمة ، وان نوجه العلم الى خير البشرية بدلا من محـاولة الوقوف فى سبيله والحد من نشاطه .

التطور .. فى « البوم » الزمن !

• **ان** دراسة التطور والتغير ، هى بمثابة استعراض للزمن فى مجال بصرنا ، فنمضى فى استطلاعه من اليمين الى اليسار أو من اليسار الى اليمين ، كما يفعل المرء حين يتصفح سـجلا (ألبوم) للصور العائلية ، يضم صورا لمختلف الأجيال . بل ان عمر الفرد ــ على قصره بالنسبة لعمر الكون ــ يضم من التباين ما يمكننا من ان نحدد أوضاعنا ، مستندين الى بعض أحداث من الماضى ، وبعض معلومات جغرافية ، وما نراه من رقى وتقدم

واضحين . ومن ثم ، فرؤية التطور المرتقب أمر ميسور ، ولو أننا تخلينا عن الافكار الراسخة فى أذهاننا ، والتى تملى علينا آراء أو مشاعر معينة ، لاستطعنا أن نتبين المستقبل بمزيد من الوضوح والدقة

ولكنا لا نزال ممعنين فى الجهل ، فضلا عن اننا لا نزال عنيدين فى تشبثنا بما نحن عليه ، بحيث يصعب نقلنا منه . ومما يذكر فى هذا الصدد ، ان صبيا قدم للمحاكمة ، فسأله القاضى: « هل تعرف الله ؟ » .. فما كان من الصبى الا ان أجاب بسذاجة : « لا ياسيدى » ! . . وهنا ، التفت القاضى الى الحضور، وقال فى عجب : «اننا ننفق مئات الآلاف من الجنيهات سنويا على تعليم النشء ، وهاكم ولدا لا يعرف الله ! » .. ولو اننى كنت فى مقام الصبى ،لسألته : «ومن هو الله ياسيدى؟» .. وما أبهج منظر القاضى عندما تشتد حيرته ، ويشعر بعجزه عن الاجابة عن هذا السؤال . . وهو الذى يسخر من عجز الصبى !

سنتغذى بشحنات كهربائية !

• **ان** التشبث بالآراء دون تمحيصها ـ أو دون محاولة دراستها لمعرفة مدى صحتها ـ شر يعوق تقدم الجنس البشرى . والذين يقولون ان « العلم قد اشتط » ، او ان « الآلة قد فرضت سلطانها البغيض » ، انما يتشدقون بآراء لم يعنوا بأن يتفهموها ويتعرفوا مدى صحتها . . ذلك لأن العلم ـ فى الواقع ـ لا يزال فى بداية الطريق ـ فنحن لا نزال فى طور من أطوار البداوة ، وان افكارنا لتعتمد على بطون ممتلئة ،فاذا خوت هذه البطون ،خوت معها الرؤوس !. . اننا لا نزال حيوانات بائسة ، تبدد خمسة وتسعين فى المائة من الطاقة الكهربائية التى فى متناولها ، فى الاستضاءه. . وخمسة وسبعين فى المائة من الوقود فى توليد القوى المحركة !



ولكن هذا لا يدعو الى انكار اننا قطعنا – فى خلال قرن من الزمن – شوطاً بعيداً فى مضمار التقدم ، بفضل العلم .. غير انه مجرد « شوط » .. جزء من المضمار الذى لا حد لطوله .. أونتصور حقاً اننا بكل ما لدينا من ادوات حديثة انتجها لنا العلم ، قد بلغنا نهاية مضمار التقدم ، وآن لنا ان نقف ؟

ان رؤوسنا الجامدة تتطلب ان نوضح هذا القول بالأمثلة والمقارنات ، فهل نحن اليوم نعجب بالأكولين ، الذين يفخرون بمقدرتهم على استيعاب اكبر قدر من ادسم ألوان الطعام ؟.. الواقع اننا اصبحنا ننظر الى مثل هذا الصنف بشىء من الاشمئزاز ، ومعنى هذا ان انفسنا أصبحت تعاف الافراط فى الأكل ، كما تعاف المأكولات الدسمة.. وجريا على هذا التقدير ،

نستطيع ان نتوقع انه من المنتظر ان يأتى يوم لا نتناول فيه من الطعام الا كميات تحدد بمقدار العمل المراد منا ان ننتجه ! .. على ان هذا التطور يحتاج الى زمن طويل. وقد تنقضى قرون قبل ان تصبح تغذيتنا مجرد أقراص تبتلع ، أو مجرد طاقة كهربائية تزود بها اجسامنا اثناء النوم .. لكى لا نبدد شيئا من الوقت للتزود بها فى اليقظة !

التدفئة فى الشوارع

• **ولقد** كان من الميسور لأهل القرون الماضية ، ان يتنبأوا بكثير من التطورات التى تمت فى عصرنا الحديث ، لو انهم خلصوا رؤسهم من الجمود الناشىء عن افكار آمنوا بها دون تمحيص .. ان الذين شهدوا « صندوق الدنيا » كانوا خليقين بأن يتوقعوا اختراع السينما ، كما نتوقع ــ نحن ــ اليوم ان يغنينا التليفزيون ، والاتصالات « التليفزيونية » عن ان نجر أجسادنا الى مختلف الأماكن .. وليس من الاغراق فى الخيال ، ان نقول اننا ــ بتطور الاختراعات ــ لن نلبث ان نفقد الرغبة فى المشى ، اذ لن تعود لنا حاجة اليه .. وسيأتى يوم تقتلع فيه اسنان الطفل عند مولده ، حتى لا تكون له أسنان ، لأنه لن يستخدمها .. لاسيما وان التغذية ستتم عن طريق الاقراص أو الشحنات الكهربائية !

ولو أننا أوغلنا فى هذا المضمار ، لتبينا تطورات عديدة تثير الدهشة ، ولا يكاد يتقبلها العقل .. ومنها ــ على سبيل المثال ــ الارصفة المتنقلة ، والشوارع ذات التدفئة ! .. ولسوف يؤدى الافراط فى توفير الراحة والسرعة الى ان نفقد الرغبة فى بذل الجهد البدنى ، الى حد بعيد ، فيزداد اعتمادنا على الادوات التى تيسر لنا ذلك ، وننعم بالملابس ذات التدفئة الكهربائية ..
ولن يطول الزمن حتى نحظى بثياب لا يفسدها البلل ، ومن الممكن تطهيرها يوميا من الميكروبات والطفيليات التى قد

تعلق بهــا

ومن السهل ان نمضى فى التنبؤ بالتطورات التى يرتقب ان تحدث فى الأزياء ، والحب ، والسفر ، والاجهزة الكهربائية .. ولكن لنطمئن الى هذه النواحى، ولنتجه ـ فى استطلاعنا الغد ـ الى المبانى !

مساكن اوتوماتيكية !

• **اننا** لا نزال نقيم منازلنا فى شكل رأسى ، طوبة فوق طوبة على غرار ما كان اجدادنا يبنون الاكواخ ، فى حين ان من الممكن ان تقام المنازل بصب جدرانها ، جـدارا اثر جدار . ومن الصحيح ان التطور فى أساليب البناء ، لا يوحى بتغير جوهرى سريع ، فى المســتقبل القريب ، ولــكن من الملاحظ ان حركة العمران فى ازدياد مستمر، مما دعا الى محاولة استغلال كل شبر ممكن من اراضى المدن لاقامة دور السكنى . **لذلك فمن المتوقع ان تحرم بيوت المدن من الحدائق المحيطة بها . ولسوف تكون ـ فى المستقبل القريب ـ مجهزة بالتليفزيون ، والماء الساخن ، وربما جهزت ايضا بمستودع مركزى للألبان ، يوزع اللبن الطازج على أجزاء المبنى اوتوماتيكيا !.. كذلك ســيجد الساكن فى مسكنه ساعة اوتوماتيكية ، تضبط بموجات ترسل من جهاز فى محطة الاذاعة اللاسلكية !**

وقبل ان ينقضى وقت طويل ، سننسى من المــاضى سخائمه، ولا نذكر سوى محاسنه .. وبدلا من ان نحتفل بذكرى موقعة مجيدة، سنرى ان من الافضل الاحتفال باكتشاف «البنسلين» مثــلا !

وفى غمار الراحة التى يسعى بنا العلم اليها ، سنصبح كسالى ـ من الناحية البدنية ـ حتى ان الرقص لن يعود وسيلة من وسائل اللهو والتسلية .. واذا بقى منه شىء ، فسيبقى نوع من الحركات الايقاعية الفنيــة الصامتة ، يوحى بها الى رؤوس

القائمين بها أجهزة خاصة ، تسلط موجات ايقاعية منتظمة على المخ .. ومن المحتمل ان يتغير تركيب أجسامنا ذاتها ، فيصلح حالها وينتظم عندما تجهز بقلوب ورئات وكلى واكباد تسير بالكهرباء .

هذا هو عالم الغد

• **وكم** يكون من الممتع ان نستعرض بسرعة ، بعض برامج التسلية والترفية فى المستقبل : رحلات الى افريقيا فى عطلات نهاية الاسبوع ، ونظام اوتوماتيكى للانتخابات ـ تعطى فيه الأصوات وتفرز وتعلن النتائج ، بوسائل اوتوماتيكية ـ وراديو للجيب .. الخ .

ولسوف يكون « عالم الغد » صامتا بالنسبة لعالم اليوم ولن نمضى فى حياة تعتمد على الارضاء البدنى ، أو على استعمال المخدرات والعقاقير لاثارة انفعالاتنا الحسية . وقد لا يغدو حتما علينا ان نحرك شفاهنا لنتكلم ، اكتفاء باستخدام الموجات المخية فى التفاهم ..

ولكن أهم ما سوف يتمخض عنه الغد ، هو ان مجموع مالدينا اليوم من معرفة ، ليس شيئا مذكورا .. على الاطلاق !

« انتهى الكتاب »

حوافز الحياة



النفس والجنس .. والمجتمع ..

عزيزى القارىء ..

فى هذا الباب قدمت لك فى الاعداد الماضية ، الكتب الآتية على التوالى :

◆ كيف تصارح أولادك وبناتك بالحقائق الجنسية ◆ طريق السعادة الزوجية ◆ مركب النقص ◆ حواء الجديدة ◆ كيف تقهر الخجل ◆ كيف تقهر القلق وتستمتع بالحياة ◆ فنون الحياة : فن الحب ، فن الزواج ، فن الحياة العائلية ، فن الصداقة ، فن العمل ، فن الزعامة ، فن التفكير ، فن الاستمتاع بالشيخوخة ◆ غزو السعادة ◆ التحليل النفسى ◆ الجنس الآخر ◆ عش حياة ايجابية ◆ ابواب الحب المغلقة ◆ فن الحب (لأوفيد) ◆ الانتصار على الخوف ◆ عش بحكمة تعش سليما ◆ كيف تتجنب متاعب الاعصاب المرهقة ◆ كيف تفسر أحلامك ◆ كن متفائلا ◆ تاريخ الغزل ◆ كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السنة ◆ اتح لعقلك حياة جديدة ◆ دنيا الحب والسعادة ◆ حب وجنس وخيانة ◆ السلوك الجنسى عند الرجل ◆ فى بلاد العراة ◆ السلوك الجنسى عند المرأة

واليوم ، تقرأ معى حلقة جديدة من اعظم بحث جنسى فى تاريخ البشرية :


SEXUAL
BEHAVIOUR
BY
A.C. KINSEY
& OTHERS

.. عسى أن نستفيد من البحث العلمى المحض !

◆ عندما أقدم المرحوم الدكتور « الفريد كينزى » على القيام بالبحث الذى تضمنه كتاب « السلوك الجنسى » ، لم يصدر فى عمله الاعنشعور علمى محض ، ولم يدر بخلده سوى انه : اذا كان للمدرس - فى بعض مراحل الدراسة - أن يشرح لتلاميذه وتلميذاته ، من المراهقين ، تركيب الجسم الانسانى ، بما فى ذلك الجهاز التناسلى .. فليس ثمة ما يحول دون ان يقوم العالم الاحصائى بدراسة نواحى السلوك الجنسى الذى يعتبر هذا الجهاز أداته الأولى .. لا سيما بعد أن أثبت علماء النفس والاجتماع والطب ، أن الجهل بهذه المسائل عامة ، يؤثر على المجتمع أسوأ الاثر . ومن ثم فقد حرص « كينزى » على أن يؤكد ان « هذه الدراسة محاولة لجمع الحقائق والبيانات العلمية ، دون تأثر بايحاء من الاعتبارات الاجتماعية والخلقية ، أى انها دراسة علمية محض » .. ومع ان الكتاب قوبل بضجة عنيفة فى أمريكا - لما كشف عنه من انحلال فى المجتمع الامريكى - الا أن الهيئات العلمية والتربوية والاجتماعية لم تلبث ان قدرت قيمة الدافع العلمى لهذه الدراسة ، فأصبح هذا البحث الأول من نوعه فى تاريخ البشرية ، مرجعا هاما للاصلاح الاجتماعى والخلقى فى المجتمع الامريكى .. وهذا عين ما هدفنا اليه من نشره - ابتداء من العدد ٥٢ من « كتابى » - فقد رجونا ان يفيد منه التربويون والمشتغلون بالاصلاح الاجتماعى ، فى العالم العربى

الصراع بين الدين والبغاء

• **اجمعت** الشريعة اليهودية ، وكافة أقسام الكنيسة المسيحية ، على ان كل جماع خارج نطاق الزوجية اثم . ويرى الكثيرون ان هذا امر لا يمكن ان يكون موضوع نقاش علمى .. وهم يعزون ذلك بما يترتب على هذا النشاط من مشكلات خلقية ، ومن نتائج مادية منها الحمل سفاحا ، والاجهاض ، والتعرض للأمراض السرية

وكثير من الذكور ، فى اوساط اجتماعية معينة ، وفى ارجاء من الولايات المتحدة ، لا يتورعون عن أن ينشدوا هذا اللون من النشاط الجنسى عند كل فتاة تصادفهم ، حتى اذا أرادوا

الزواج ، أصر الواحد منهم على ان تكون فتاته عذراء ، بكرا .. على ان الاناث اقل من الرجال اصرارا فى هذه الناحية . فان الاغلبية الساحقة منهن ، لا يحفلن كثيرا بأن يكون ازواجهن محتفظين بطهرهم العذرى عند الزواج !

وفى سبيل التخفف من الصراع الذى ظل محتدما فى كافة عهود البشرية بين الغريزة الجنسية عند الرجل ، وبين القيود المفروضة على علاقاته بالأنثى فى هذه الناحية . فى سبيل التخفف من هذا الصراع ، ظهر البغاء . ولكن ظهوره قوبل من الثقافتين اليهودية والمسيحية بخطوة مضادة ، اذ اتجهتا الى تحتيم الطهر والعفة كاملين على الذكر والانثى قبل الزواج

القضاء أقسى على الأحداث منه على الكبار

• **والقوانين** الموضوعة فى امريكا – فيما يتعلق بالجماع قبل الزواج – تعكس الى حد كبير القوانين الخلقية المتوارثة عن الثقافتين اليهودية والمسيحية ، وعن الثقافة الاوربية فى القرون الوسطى وعصر النهضة ، والقانون الجنسى الذى كان مطبقا فى المحاكم الكنسية فى انجلترا ، وما ينشأ عن كل هذه من عادات وتقاليد فى المواطن التى عمرت من امريكا ، فى بداية العهد بالهجرة اليها

والجماع محرم قانونا – فى الولايات المتحدة بوجه عام – على الاحداث ، ذكورا كانوا أو اناثا .. وتتراوح سن تجاوز مرحلة « الحداثة » بين الرابعة عشرة والحادية والعشرين ، تبعا لتباين الولايات المتحدة ، على انها محددة بالثامنة عشرة فى حوالى ٢٣ ولاية . ومع ان الاجراءات القضائية والحبس – فى حالات انحراف الأحداث – لايقصد بها أن تكون عقابية ، بقدر ما هى اصلاحية ، الا أن القسوة التى تصحب تطبيقها تفوق – فى كثير من الاحيان – العقوبات التى يتعرض لها الكبار .. وغالبا ما تكون الادارة فى اصلاحيات الأحداث ، أشد واعنف منها فى

ـسجون البالغين !

وبوجه عام ، نجد ان المحاكم تميل الى القسوة فى أحكامها ، عندما يكون الجماع بين اثنين يقل عمراهما عن عشرين عاما ، أو من طبقتين اجتماعيتين مختلفتين ، او من عنصرين مختلفين ـ بوجه خاص ـ او اذا كان الذكر بالغا والانثى قاصرا !..

ومع ذلك ، فان القضايا التى تعرض على المحاكم ـ من هذا النوع ـ لا تشمل جزءا من واحد فى المائة من الحالات التى يمارس فيها هذا اللون من النشاط الجنسى فى الولايات المتحدة.. ونعنى الجماع بين الذين لم يسبق لهم الزواج ، من الجنسين !.. وقد دلت ابحاثنا على ان الحالات التى تكتشف لا تتجاوز ٦ من كل ١٠٠٫٠٠٠ حالة !

.. لهذا يهتم المجتمع بهذا النشاط !

• **واحتمال** الحمل او الاصابة بأمراض سرية ـ نتيجة الجماع السابق للزواج ـ تجعل لهذا النشاط قيمة اجتماعية جديرة بالدراسة

وتدل الاحصاءات الرسمية ، على ان الولايات المتحدة تشهد ـ فى كل عام ـ مولد حوالى ١٣٠٫٠٠٠ ابن غير شرعى . وقد تضاعف الحقائق الواقعة هذا الرقم مرات عديدة . **وهى مشكلة خطيرة تبين السر فى اهتمام المجتمع بأن يحد من هذا اللون من النشاط الجنسى . وان كان هذا الاهتمام يتجه أحيانا الى محاولة الحد من الحمل السفاح ـ بالطرق العلمية الحديثة ـ فاذا هذه المحاولة تشغل المعنيين عن المشكلة الأصلية ..**

وهو عين ما يحدث ايضا بصدد الأمراض التناسلية الناجمة عن هذا اللون من النشاط الجنسى ، فان الأساليب الحديثة فى علاج هذه الأمراض أدت الى الاسراع فى الشفاء منها ، وبالتالى الى الحد من انتشارها !

ولا يكون الجزم بمدى تقبل المجتمع أو عدم تقبله لهذا

النشاط كاملا ،الا اذاتضمنت دراسات المعنيين به الآثار العاطفية والنفسية التى تترتب عليه

البيت .. والاسرة .. والمجتمع !

• **لايزال** البيت فى معظم المجتمعات البشرية ـ فى كافة أرجاء الدنيا ـ هو الوحدة الأساسية التى يقوم عليها المجتمع . ولا يكاد يوجد سوى محاولات جدية معدودة للتحول عن نظام الاسرة ، وانشاء نظام آخر يتركز حول الدولة كوحدة للمجتمع ، ويلغى الروابط التقليدية بين البالغين والنسل !

ولقد اجريت مثل هذه المحاولة فى (اسبارطه) قديما ، كما اجريت فى بعض مستعمرات تجريبية ـ مثل مستعمرة بروك فارم ، ومستعمرة نيوهارمونى فى الولايات المتحدة ـ منذ نيف وقرن من الزمن . ومن أحدث المحاولات الشبيهة بذلك ـ فى القرن الحالى ـ تلك التى اجريت فى المانيا النازية ، ومايجرى فى روسيا والصين الشيوعية . **على أن أيا من هذه المحاولات لم يفلح حتى الآن فى ايجاد نظـام موفق يحل محل البيت والأسرة . وحتى المحاولات التى اقتربت من التوفيق ، لم يقدر لها أن تبقى طويلا ومن ثم نجد أن التاريخ يؤكد أهمية الأسرة !**

ونكرر هنا ما قلناه فى الجزء الخاص بالذكور من بحثنا : « يهتم المجتمع بالاحتفاظ بالاسرة وصيانتها بوصفهـا طريقة تمكن الرجـل والمرأة من ان يعيشا معيشة مشتركة قد تكون ذات نفع فعال يفوق ما تجديه حياة الوحدة ، أو العزوبة . . فالمجتمع انما يهتم بالاحتفاظ بالأسرة كوسيلة لتهيئـة المأوى للأطفال الذين ينجمون عن الجماع ، فى رأى كثير من الفلاسفة فى الديانتين اليهودية والمسيحية ، ومن ثم فقد جعل هذا الامر هـدفا رئيسيا للزواج . كذلك يهتم المجتمـع بصيانة الاسرة لتوفير وسيلة للتفريج الجنسى المنظم لدى البالغين ، وللحد من

النشاط الجنسي الذي لا رابط له »

السينما من الاخطار المهددة لكيان الأسرة

• **ويبدى** بعض الأفراد خوفا من أن الاسرة - كنظام اجتماعي - معرضة لخطر هائل في المجتمع الأمريكي الراهن . فهم منزعجون لارتفاع معدل الطلاق .. وهم يرون ان العلاقة التقليدية بين الجنسين قد اختلت بسبب تحرر المرأة المطرد من دورها المألوف في البيت ، ولازدياد ما لها من مكانة في النظام الاجتماعي خارج نطاق البيت .. **وهم يعتقدون ان الاحداث الاجتماعية ، ووسائل الترفية الجماعية - كالسينما - قد أقصت الأسرة عن اجتماعاتها وندواتها المنزلية .. وهم - بوجه عام - يرون أن تماسك النظام العائلي مهدد ، من جراء تمرد الجيل الناشيء على رقابة الآباء !**

ولقد كان الرابط الرئيسي للاسرة - في بداية عهد الانسان بهذا النظام - هو ما لرئيسها الذكر من قوة وسطوة . ولا يكاد يوجد ما يوحي بوجود اي اثر للشركة بين الذكر والانثى في هذا النظام ، في العصور الاولى للبشرية .. بل كان النسل في تلك العصور يعتمدون على الام في الحصول على معظم الرعاية والحماية اللتين يحتاجون اليهما .

نحو استكمال الكيان العائلي

• **ولقد** ظلت كثير من الاسرات البشرية في اوربا وامريكا - الى نصف قرن مضى - تخضع لسلطان الرجل ، بوصفه المسيطر الاول ، كما كان حال الاسرة في العصور الاولى . ولكن ظهور الانثى كقوة ذات أثر وقيمة - في الحياة السياسية والصناعية والثقافية ، في المجتمعات الغربية - جعل الزواج يقترب باطراد من ان يكون شركة حقيقية - بين الزوجين - في الواجبات ، والمسئوليات ، والامتيازات .. شركة يقتسم فيها الزوجان كل هذه النواحي ، على قدم المساواة

كذلك ادى ازدياد فهم النفسية البشرية ، وازدياد الأضواء

التى يلقيها علم النفس على أهمية السنوات الاولى فى حياة الفرد، الى أن أصبح الطفل شريكا فى البيت. وهو امر من نادر الحصول فى اوروبا وامريكا ، من قرن مضى !

ومن نتائج هذا السعى المطرد الى تنمية روابط الشركة فى الاسره ، ان الاهتمام يزداد باطراد ــ فى امريكا وفى بقاع اخرى من العالم ــ بتفهم بعض العوامل التى تساعد على تنميه مفعول الاسرة والبيت ، وبتدريب النشىء والكبار على ان يكونوا ازواجا اكثر تمشيا مع اصول المشاركه الزوجية

وعلى ضوء هذه النتائج تقدر اليوم قيمة التربية الجنسية، ونواحى التفريج الجنسى السابق على الزواج ، والوان النشاط الجنسى للبالعين ــ خارج نطاق الزوجيه ــ وأساليب وعدد مرات الاتصال الجنسى فى ظلال الزوجية

العلاقات الجنسية بين الاوزاج والزوجات

• **ولقد** دلت الاحصاءات والدراسات التى اجريناها ، على ان الاقبال على الجماع بين اى زوجين ، يبلغ أقصاه فى العام الاول ــ او العامين الاولين ــ من الزواج . ثم ياخذ فى الهبوط بعد ذلك ، حتى يبلغ ادناه لدى المتعدمين فى العمر .. وليس بين الوان النشاط الجنسى ــ لدى الاناث ــ ما ينم عن هبوط مطرد ، منتظم كهذا اللون

وتبلغ نسبة الاقبال عليه مائة فى المائة، عقب الزواج مباشرة .. بمعنى ان كل النساء يمارسن الجماع بمجرد الزواج . **وليس بينهن من يرجئنه الا قليلات لا تكاد نسبتهن تذكر ، وغالبا ما يرجع هذا الارجاء الى تغيب الازواج ــ عقب الزواج ــ او الى موانع طبيعية لدى الزوجات ، او الى وجود شذوذ لدى بعض الازواج ــ كعلاقات جنسية مع افراد من جنسهم ــ تشغلهم عن ممارسة العلاقات الجنسية مع الزوجات !**

وتدل الارقام على ان عدد مرات الجماع بين الزوجين ، يصل الى حوالي ثلاث مرات فى الاسبوع ، لدى اللائى يتزوجن فى

اواخر العقد الثانى من اعمارهن ، أى بين السادسة عشرة والعشرين . ثم تهبط بالنسبة الى حوالى مرتين فى الأسبوع - او ١١ مره فى كل خمسة اسابيع - عندما يبلغن حوالى الثلاثين من العمر ، ثم الى ٣ مرات فى كل اسبوعين ، عند الاربعين ، ومرة فى الاسبوع عند الخمسين .. ومرة كل اثنى عشر يوما فى حوالى الستين

أسباب هبوط النشاط الجنسى لدى المرأة

• **ومن** الامور التى يحسن تأكيدها هنا ، ان هذا الهبوط - فى عدد الممارسات للجماع الزوجى، وفى عدد مرات الممارسه - لايقوم دليلا على ان المراه تحتهل فى معدرتها الجنسية . فقد ذكرنا فى حلقة سابقه ، ان متوسطات انواع النشاط الجنسى الفردية - كالاستمناء والاحتلام الى درجة دروه اللذة - تزداد لدى الأناث باطراد ، متمشية مع العمر، حتى تصل الى مستوى تظل ثابتة عنده الى ما بعد سن الخامسة والخمسين او الستين .

ولما كانت ممارسة المرأة للنشاط الفردى - لا سيما الاستنماء - انما تصدر عن رغبة ذاتية منها ، لذلك يمكن اعتبار متوسطات هذه الممارسة ، مقياسا صحيحا لمدى ميولها ومقدرتها الجنسية . كذلك نلاحظ فى انواع النشاط المشتركة، كالجماع - سواء بين زوجين ، أو بين فردين لايربطهما الزواج - أن الاقبال على ممارستها ، انما يتوقف على رغبة كل من الشريكين . أى أن لرغبات الرجل أثرا كبيرا فى متوسط الممارسة لدى المرأة .. والرجل عادة اسرع اكتهالا ، وأسرع انصرافا عن الجنس ، من المرأة !

ومن المآسى التى تبدو فى عدد من الزيجات ، مأساة تنبعث - فى الاصل - من ان الرجل قد يكون اشد اشتهاء للاتصال الجنسى فى سنى شبابه المبكرة ، وبالتالى فى السنين الاولى لزواجه . والمرأة عادة ، لا تكون فى هذه المرحلة ، مؤهلة لكى تتمشى معه ، بل انها تكون فى صراع مع ما رسخ فى نفسها - من

تأثير التربية والمعتقدات ـ عن الجنس .. مما يحد من نشاطها الجنسى ، او من اشتهائها لهذا النشاط !

العقدة التى تجعل من الزواج مأساة

• **على** ان كثيرا من النساء ، لا يلبثن ان يتغلبن على هذه العقدة ، على مر الأعوام ، حتى يتخلصن منها تماما . وفى هذه الاثناء، يكن ـ فى الغالب ـ قد بلغن الخمسين او الستين، ويكون التجاوب لدى الرجل ـ فى المتوسط ـ قد هبط بدرجة كبيرة ، حتى ان اشتهاءه الجماع ـ لا سيما مع زوجة كانت تصده من قبل ـ يكاد ينعدم !.. وحتى الذين يظلون محتفظين برغباتهم فى الجماع ، غالبا ما يكونون قد انصرفوا بهذه الرغبات عن زوجاتهم ، الى نساء آخريات

ومن الحقائق المدهشة ـ التى تكشفت خلال المعلومات التى أدلت بها الينا عيناتنا ـ ان عدد مرات ممارسة الجماع الزوجى ، ونسبة المقبلات عليه ، لا يختلفان كثيرا بين مستوى وآخر من مستويات التعلم ولا بين الأوساط الاجتماعية. ومن ثم فان الرأى الشائع ـ الذى يوحى بأن معدل الجماع يزداد لدى أفقر اقسام المجتمع وأقلها تعلما ـ لايكاد يلقى ، على ضوء هذه البيانات ، سوى تأييد طفيف !

وتظل نسبة الجماع الزوجى الى مجموع التفريج لدى النساء ـ فى كافة مستويات التعلم ـ واحدة تقريبا حتى سن الخامسة والعشرين . ثم نرى بعدها ان اللائى تلقين تعليما ثانويا ، يلتمسن مابين ٧٣ و٨٠ فى المائة من التفريج الجنسى فى الجماع الزوجى ، فى حين ان النسبة تتراوح بين ٦٠ و ٦٥ فى المائة لدى اللائى تلقين تعليما عاليا .. وذلك فى العقد الرابع من العمر !. وهذا يتمشى مع ما شوهد بين الذكور، ممايوحى بأن لهذه الظاهرة قيمة تستحق الدرس

على ان تناقص الاعتماد على الجماع الزوجى تبعا لتقدم

الانثى فى السن، ليس نتاج رغبتها فى ان تستغنى عنه بالاستمناء، أو بعلاقات مع غير الزوج . . وانما هو ناشىء عن ان الرجل يفقد ـ كلما كبرت سنه ـ اقباله على الجماع .. مع زوجته، على الأقل !

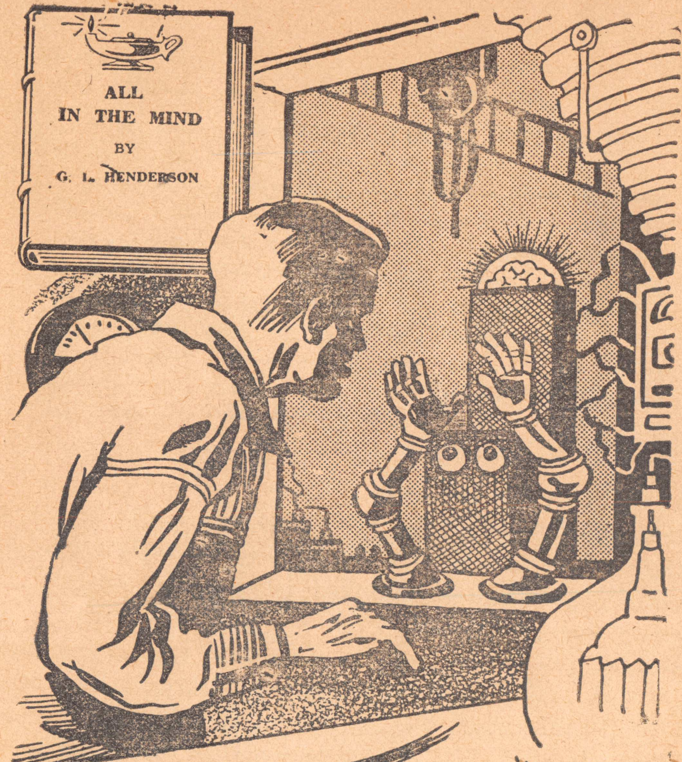
التربية الجنسية تقضى على البرود الجنسى

• وقد لوحظ ان عدد النســاء اللائى كن يبلغن ذروة اللذة فى الجماع الزوجى، قد ازداد من جيل الى آخر ، خلال الأجيال الاربعة الأخيرة ، وبالتالى هبط عدد النساء اللائى كن يعــانين برودا جنسيا كاملا فى علاقاتهن الزوجية !

وتعزى هذه الظاهرة الى ازدياد الصراحة والتحرر فى مناقشة مسائل الجنس ـ فى الولايات المتحدة الامريكية ـ خلال السنوات العشرين الأخيرة ، والى ازدياد تفهم النواحى البدنية والنفسية للجنس . فان الذكر والانثى اكثر ادراكا ـ اليوم ـ لقيمة العلاقات المتبادلة فى الزواج، ومن ثم فهما اكثر من ابناء الاجيال السابقة رغبة فى أن يجعلا هذه العلاقات موفقة مرضية

ويكاد الجماع الزوجى ان يكون العلاقة الجنسية الوحيـدة التى ترضى عنها الاديان والقوانين الموضوعة والقوانين الخلقية، فى كافة ارجاء العالم . بل لنه ـ من الناحية الدينية والأدبية ـ لايعتبر متعة مباحة فحسب ، وانمـا هو واجب وفرض على الزوجين، وذلك لأنه الوسيلة المشروعة التى تؤدى الى التناسل والتكاثر .

وفى الحلقة القادمة ، نتابع هـذا البحث العلمى الطريف ، الذى يلقى أضواء ـ لم يسبق القاؤها على أسس علمية سليمة ـ على ناحية من أهم نواحى الحياة الانسانية



العقل يكفي!

قصة علمية بقلم: چين هندرسن

القصص .. بين الخيال والواقع العلمى

◆ هل يستطيع الانسان ان يعيش ، وأن يعمل ، وأن يكون منتجا ، اذا هو فقد جسده ، ولم يبق منه حيا سوى المخ ؟

هذا هو الموضوع الطريف الذى تدور حوله هذه القصة التى نقدمها للقارىء ، كنموذج للون جديد من القصص ، أوحت به روح العصر الحديث .. عصر الآلة والعلم ! .. وهذا القصص العلمى يجمع بين الخيال والواقع .. الخيال فى ابتكار مواقف القصة وأحداثها ، والواقع الممثل فى ان هذا الخيال يقوم على اسس من العلم والنظريات العلمية .. فهو ليس محض تصور . بل ان من الخيال القصصى العلمى ما لا تلبث الأيام أن تحققه ، كما حدث فى بضعة أمور أوردها يوما الكاتب الخالد : « هـ . ج ويلز » ـ فى قصصه العلمية ـ فتقبلها الناس على انها « شطحات » ، فاذا بها تصبح حقائق !

◆ **أحس** « ميل » كما لو كان يطفو على سحب فى أشد ما عرف من ظلام ، وحاول أن يفتح عينيه ولكنه لم يفز بغير ألم حاد . وأومضت بعض ذكريات ، فحاول ان يفسر ما جرى .. كان آخر ما وسعه أن يتذكره هو المعمل الصغير المتوارى فى سرداب منجم قديم فى الجبال .. كان بعيدا عن العالم ، ومع ذلك فان السيارة كانت تقطع ما بينه وبين المدينة فى ساعة واحدة ! .. وماذا تراه كان يفعل فى المعمل ؟ .. آه ، كان يتحدث مع شريكه « نييل » ! .. وتذكر كلمات هذا الشريك :

ـ لقد وصلنا الى اقصى ما يمكن الوصول اليه باستخدام امخاخ الحيوان ، فلا بد لنا من مخ بشرى !

ـ هذا هو المستحيل ، فان الصحافة كفيلة بأن تقيم الدنيا ، حتى لو قدر لنا ان نجد شخصا مشرفا على الموت يوصى لنا بمخه !

ـ ولكن احدا لن يدرى بشىء ، فان معملنا متوار عن الدنيا !

ـ لاتنس ان المخ قد يتعرض للضرر ، بسبب نقص الاوكسيجين ، فلا يكون لعملنا اى نفع .. وقد نتعب دون ان

نفطن الى ان المخ قد فسدا !

ـ هذا امر لا نملك الجزم به الا بالتجربة !

وانصرف « ميل » عن تريكه ، فاولاه ظهره وراح يرقب آخر مخ كان فى الحوض . . كان مخ كلب ، يسبح فى السائل المانح للحياة . وكان الدليل الوحيد على ان المخ حى ، يتمثل فى شعاع رفيع من النور ، كان منعكسا على ستار « مجال الذبذبه » . . **فما الذى حدث بعد ذلك ؟**

وراح « ميل » يجهد فكره ، حتى شعر بألم حاد وصداع مطرد ، كادا ان يفقداه رشده . . ما الذى حدث بعد ذلك : . .اما انه فارق الحياة ، واما ان حادثا جرى . . لعل السرداب قد انهار فهدم جدران المعمل ، وان لم يكن هذا امرا معقولا !

***

• **وفطن** الى أصوات كانت تصل اليه خافتة ـ فى البداية ـ فأرهف احاسيسه حتى استطاع ان يسمع بجلاء ، وان يميز فى هذه الأصوات كلمات . . وما لبث أن فهم الكلمات ، وبعض العبارات التى كانت تؤلفها !

« . .أكمل توصيل السلك بهذا العصب » ! . . « احترس ، فان التيار القوى قد يتلف كل شىء » ! . . وشعر بذبذبات عنيفة كادت تبدد مخه ، ثم سمع صيحة جزعة : « لا ، لا ، أيها الأحمق . .! » . ثم سرى فى راس « ميل » ألم كأنه طعنة سكين ، فصرخ . . ولكنه لم يسمع صوتا ينبعث منه !

وغاب عن الوعى من جديد ، ثم راح يكافح للعودة اليه ، وهو يسمع صوتا يتردد بانتظام : « ميل كارلسن ، هل تسمعنى ؟ » . . **وارهف السمع محاولا التعرف على صاحب الصوت . وهم بأن يتحرك ، ولكنه لم يشعر باية استجابة من اطرافه. واحس كما لو كان قد دفن حيا ، فصرخ مستنجدا ، ولكنه لم يسمع لاستغاثته صوتا** . . وفجأة ، توقف الصوت

الآخر عن ترديد النداء ، وهتف : « آه ، أرى انك تسمعنى !.. لا تنزعج ، فنحن لانزال نعمل على تمكينك من اطلاق صوتك . كل ما عليك الآن ، هو ان تستريح ! » . وفطن « ميل » اذ ذاك الى ان مخاطبه لم يكن سوى « نبيل » ، فاطمأنت نفسه ، وخيل اليه ان المعمل قد انهار فعلا ، وانه كان فى فجوة تحت الانقاض !

ومرة أخرى ، سمع « نبيل » يقول بلهجة العالم المنهمك فى تجربة ما : **« آسف لانه لم يكن ثمة مفر مما حدث .. ان الأشعة الدالة على النشاط تتذبذب، فلا بد من انك قد فهمت الآن هذا الذى حدث .. انك ـ على اية حال ـ لست ميتا ، وكل مافى الأمر هو اننا تخلصنا من جسدك ، أما مخك فسوف يعيش مئات الاعوام ! »** .. ولم يسمع « ميل » شيئا بعد ذلك ، اذ راح فى اغماء جديد .. ثم عاوده الحس مرة اخرى ، فخيل اليه انه يطفو على سحب فى بحر من الظلمات .. وفطن الى نور خافت أخذ يبدو أمامه ، والى أصوات كانت تحيط به ، وما لبث ان تبين صوت « نبيل » وهو يقول : « .. ها قد بدأ يعود الى الوعى . خفف الشحنة الكهربائية ! »

وساد الصمت لحظة وجيزة ، ثم سمع « ميل » زميله يقول : « أراك تسمعنى يا ميل ، وهذا نتيجة بعض نظرياتى العلمية التى حاولت تطبيقها .. ولن تمر لحظة حتى تستعيد القدرة على الابصار ، اما الصوت فلا نزال نجد عناء فى رده اليك » .. وفى تلك الأثناء كان النور ـ الذى رآه « ميل » أمامه ـ يشتد حتى خشى منه على عينيه .. ولكنه تذكر انه أصبح بلا عينين ، فأحس بأسى وحزن .. بينما كان « نبيل » يقول : « لو انك تقبلت الواقع ، لاستطعنا ان نعمل متعاونين فى وئام ! »

وبدأت بعض أشكال تتراءى له ، غير واضحة تماما .. وتبين بينها زميله ، وقد عكف على لوحة عليها أزرار كهربائية كان

يحركها وهو ينظر - بين وقت وآخر - الى ضوء أخضر على ستار « مجال الذبذبة » ، فادرك أن صاحبه قد اوصل اعصاب الحس فى مخه بأسلاك كهربائية . واجتاحته موجة من الكراهيه ، فاذا الضوء الأخضر يتذبذب بعنف ، جعل نيل يلقى نظرة سريعة فى اتجاه ادرك « ميل » ان الحوض الذى احتوى مخه ، كان موضوعا فى نطاقه .. **وكان الضوء الأخضر لايزال يتذبذب فى عنف ، نم عن أن طاقه الكراهيه التى اجتاحته كانت قويه !.. وأخذ مخه يبعث اشارات محركه الى اطراف الأعصاب التى كانت تسيطر على ذراعيه وساقيه، فاحس كما لو انها كانت مشلولة**

وازداد عقله صفاء وحدة ، الى درجة لم يعهدها اثناء حياته، فشرع يحلل موقفه، املا فى ان يهتدى الى خطة يثأر بها لنفسه!

* * *

• **ولم** يحل بين « ميل » والجنون - فى الأسابيع القلائل التالية - سوى كراهيته لنيل .. فاذا الشعور المبهم الذى دهمه حين تبين ان المستقبل لا يدخر له سوى الهول .. اذا هذا الشعور ينحسر ، ويتركه يفرغ للتدبير .. تدبير الثأر !

وكان جهاز الصوت الذى وصل بأعصاب مخه قد اسفر عن نجاح .. وذهل « ميل » وهو يتبين مدى النمو المطرد الذى ألم بقواه العقلية ، بتأثير المنشطات التى كان زميله السابق يبثها فى الحوض الذى استقر به المخ . ولقد أدرك ان « نيل » ما عنى بتنشيط قواه العقلية الا لكى يستغلها فى اغراضه . لا سيما عندما احضر الزميل الغادر اليه مشكلة وسأله ان يساعده على حلها .. فقد كان يسعى لانتاج طلاء يمتص أشعة الشمس ويحيلها الى طاقة كهربائية . ولأول مرة، شعر « ميل » بالابتهاج لأن صوته كان ينبعث من الجهاز أجوف ، لا يعكس أى انفعال . فقال لنيل : « لا ريب فى أنك

لن تعبث بعقد الشركة الذى ارتبطنا به ! » . فسأله الآخر وهو يبتسم فى خبث : « ماذا تعنى ؟ » .. فأجاب ميل : «أحسبك تسلم بأن الشركة قائمة ، مالم تكن ترى اننى فقدت وجودى ، وبالتالى ، انك قاتل ! » . فضحك نبيل قائلا :

« هذا صحيح .. ان لى بالطبع أن أسحب كل ارصدتنا فى المصرف لوشئت ، ولكن السلطات ستجد ـ اذا رابها الامر ـ ان ثمة حسابا منفصلا قد فتح باسمك ، فلا تحمل لذلك هما .. لقد قضينا شهرين فى اعدادك للعمل ، اذ أننى قد افتتحت مؤسسة للمبتكرات الهندسية فى المدينة ، وسوف تنهال علينا المسائل التى تحتاج الى دراسة وتفكير »

وتظاهر نبيل بالانشغال بشىء ما ، ولكن « ميل » استطاع ان يلمحه وهو يسترق النظر الى ستار « مجال الذبذبة » ليتعرف انفعالات المخ المودع فى الحوض . غير أن « ميل » كان قد تعلم ـ خلال الاسابيع الاخيرة ـ كيف يسيطر على انفعالاته ، دون ان يدرى « نبيل » ذلك

وكان عليه ان يأخذ زميله الغادر بالحيلة .. وبعد تجارب عديدة على مركز اعصاب السيطرة ، وفق « نبيل » فى أن يمكن مخ « ميل » من السيطرة على منصدة تتحرك بالتيار الكهربائى الذى تتحكم فى ارساله وقطعه موجة لاسلكية قصيرة .. وجهزت هذه المنصدة بعين تتحرك فى جميع الاتجاهات ، وترسل مشاهداتها الى الدورة البصرية للمخ ! . كذلك جهزت المنصدة بذراع ميكانيكيه ، تتصل بأعصاب المخ التى كانت تسيطر على الاطراف . فقضى « ميل » ليالى كان يتدرب خلالها ـ عقب انصراف « نبيل » من المعمل ـ على السيطرة التامة على هذه الذراع ، وسرعان ما اصبح يتحكم فيها كما كان يتحكم فى يده الطبيعية !

واذ ذاك نشط فى رسم خطته ! .. وكان اول ما احتاج اليه

هو السلاح . ففكر فى استخدام ابر فولاذية تنطلق من انبوبة بالضغط الهوائى المتولد من ثانى اوكسيد الكربون .. ولكنه لم يلبث ان عدل عن هذه الفكرة ، لصعوبة الوصول الى « الورشة » لصنع اجزاء الجهاز . لذلك اتجه الى استغلال الشىء الذى كان يتوفر بكثرة فى متناوله .. وهو **الكهرباء !** . ومن ثم فقد راح يدرس امكانياته فى ترو . كان لابد للسلاح من ان يكون مركبا على منضدته الكهربائية ، وان يتلقى التيار اما عن طريق موجات لاسلكية ، واما عن طريق بطارية ، ثم انتهى رأيه على البطارية . . وكانت الفكرة من البساطة الى درجة انه عجب من انها لم تخطر لأحد من قبل!.. **فبمساعدة بعض مكثفات خاصة ، كان بوسعه ان يرفع شحنة البطارية الى اكثر من مليون فولت ، فتظل هذه الشحنة غير ظاهرة ـ الى ان تصطدم بجسم اكثر صلابة من الهواء ـ وذلك بحصرها فى مجال ضيق . وقدر ان بوسعه ان يحصر هذه الطاقة فى نقطة تحت « عينه » . . العين المركبة على المنضدة الكهربائية ، حتى يتسنى اطلاقها الى اى هدف ينظر اليه !**

وما ان اطمأن « ميل » الى ذلك ، حتى شعر بارتياح ، وان راح يفكر فى الخطوات التالية .. ماذا يحدث بعد ان يقضى على « نييل » و « جنكينز » ؟ .. وقبل ان يهتدى الى جواب، كان « نييل » قد بدأ يشعر بأن فى الجو شيئا اذ أقبل ذات صباح ، فظل يرقب ستار « مجال الذبذبة » فى تفرس واهتمام، لفترة طويلة .. ثم نزع الصمام الذى كان يصل المنضدة ـ وبالتالى اعصاب المخ ـ بالتيار الكهربائى العام . وقال وعلى شفتيه ابتسامة ماكرة : « لقد قطعت الاتصال » . . وآثر « ميل » ان لا يجيب ، وان يتخذ الصمت وسيلة دفاعية . بينما استطرد الآخر : « لابد ان ثمة سرا فى الامر ، فلقد لفت نظرى كشف حساب شركة الكهرباء ، اذ لاحظت ارتفاعا عجيبا فى استهلاك التيار ، فرحت اتفقد « العدادات » اثناء

الليل .. فما الذى كنت تدبره ؟ »

واذا لم يتلق « نبيل » جوابا سار ناحية الحوض ، فأغلق صمام المواد الكيمياوية التى كانت تغذى خلايا المخ ، وأوقف الجهاز الذى كان يرسل « الاوكسجين » بانتظام الى السائل. ثم راح يرقب ستار «مجال الذبذبة» .. **وشعر «ميل» بأن منظر الستار اخذ يهتز امامه ، واستطاع ان يتبين ان الخط الضوئى الدال على طاقة مخه قد اخذ يهبط بدرجة غير عادية .. وسمع « نبيل » يقول : « هذه عينة مما يمكن ان يحدث . لمسة اخرى للجهاز ، فاذا المخ مجرد كتلة طرية فاسدة .. ولكنى لا أزال بحاجة الى خدماتك ! » .. ثم تحول الى لوحة الأزرار التى تضبط قوة التيار المنساب الى المنضدة وتوصيلاتها ، فأدار زرا ، وهو يقول : « وهذا جزاؤك اذا أبيت التعاون ! » . فأحس « ميل » بألم يشق مخه ، وكأنه سكين .. ثم أعاد نبيل الزر الى حاله فانجاب الالم ، مخلفا أثرا ممضا !**

ولم يجد « ميل » سوى ان يتظاهر بالانصياع لغريمه . وتبين ــ كما لم يتبين فى اى يوم آخر ــ انه ضعيف ، أعزل ، عديم الحيلة . ولم يكن يملك سوى ان يتجلد ويتذرع بالصبر .. وقال « نبيل » وهو يتهيأ للانصراف : « سأبقى التيار الكهربائى مقطوعا فى كل ليلة ، خشية ان تؤذى نفسك ! »

* * *

• **وكان** انقطاع التيار صدمة قاسية لميل ، فقد كان بمثابة الدم الذى يجرى فى عروق جسمه الميكانيكى ، أى المنضدة . وعاد مخه يلجأ الى مقدراته الذاتية ، فاذا التحول يوحى اليه بفكرة جديدة .. كانت الاعصاب الاخرى ــ غير تلك الموكلة باملاء الحركة ــ متصلة بلوحة أخرى لم ينقطع عنها التيار الكهربائى ، اذ كان انقطاعه كفيل بأن يفقده الحس وان

يسلمه الى غيبوبة .. **وفى ذات ليلة ، فطن ((ميل))الى وجود فأر صغير فى الحجرة ، اقترب من اللوحـة ، وهو يبحث عن غذاء يقتات به . . وجزع ((ميل)) اذ رأى الفأر يمد مخالبه نحو مجموعة من الاسلاك كان اقل اهتزاز فيها كفيلا بأن يسبب للمخ اقسى الآلام !..** وراح يصرخ ، فأجفل الفأر ، ثم اطمـأن الى ان لا خطر يتهدده من الصوت فلم يعد يحفل به .. وظل « ميل » يصرخ ، حتى تذكر ان « نيبيـل » و « جنكير » كانا يقضيان سهرة تلك الليلة فى المدينة ، فكف عن الصراخ يائسا !

ومس الفأر الاسلاك القريبة منه ، فاذا بألم حاد يمرق خلال المخ .. واذ اوشك ((ميل))ان يفيق من الصدمة ، رأى الفأر يمد مخالبه الى مجموعـة اخرى من الاسلاك . وعلق بصره بالمخالب وهو موجس .. وما ان مس الفأر تلك الاسـلاك ، حتى شعر ((ميل)) بفيض من الكراهية العنيفة يفور فى خلايا مخه .. وبهت اذ رأى الفأر يرتمى فى عنف على الأرض ، دون حـراك !

وتبين « ميل » ان الفأر قد مات ، فبدأ يفكر فى كل ما جرى .. كان التيار الذى يسرى فى الاسلاك ضعيفا، وكانت الاسلاك مكسوة بطبقة عازلة ، فمن المستحيل ان تكون هى السبب فى موت الفأر .. وراح « ميل » يفكر ، ويطيل التفكر ، ولكنه كان ينتهى دائما الى تعليل واحد ، هو ان .. **أفكاره كانت السبب فيما حدث !.. ان الأمواج المنبعثة من عقله استطاعت ان تتصل بمخ الفأر ، فتصعقه !**

وشرع « ميل » فى الأيام التـالية يجرى التجارب على هذا الكشف .. فوجـه افكاره ـ فى حـذر ـ نحو « جنكينز » ، واستطاع ان يحدث اثرا مباشرا ، ولكنه احس بمقاومة شديدة من مخ المساعد .. ومضى فى تجاربه قدما ، حتى اسـتطاع ان يغلب هذه المقاومة ، واذا « جنكينز » يصرخ ، وقـد وضع احدى يديه على جانب من راسه . فسأله « ميل » عمـا

أصابه ، وكان جوابه وهو يسير مترنحا نحو الباب : « لست ادرى .. لقد شعرت كأن شيئا اصاب رأسى بضربة قاسية .. لابد انه الم طارىء من اثر الارهاق ! »

وأدرك « ميل » ان القوة الجديدة ـ التى اكتشفها ـ شديدة الخطورة ، فواصل تجاربه فى حذر . وكان « جنكينز » هو هدف تجاربه ، فما لبث ان تبين ان بوسعه ان يوجه تصرفاته، لو انه تغلب تماما على المقاومة التى كان يبديها عقل الرجل . فقد لاحظ ان « جنكينز » اصبح قلقا ، سريع الانفعال. ورأى « ميل » ان يزداد حذرا ، وان يسعى فى تؤدة للسيطرة التامة على مخ الرجل . والى ان يستكمل هذا العمل ، رأى أن يوسع نطاق الطاقة العقلية لمخه شيئا فشيئا ، فأخذ يمدها خلال الجدران ، حتى استطاع ان يصل بها الى ما وراء السرداب الذى كان المعمل يقوم فيه ، وان يتسلط على عقول ما كان يصادفه من حيوانات وطيور ، فيشهد بعيونها ما حرم منه من مناظر الطبيعة !.. **واخذ يحاول ان يجربها ـ كذلك ـ مع « نبيل » ، فتبين ان مقاومة هذا كانت اشد من مقاومة « جنكينز » ، ولكنه راح يواصل محاولته فى تؤدة ، وفى خطى مدروسة ومنظمة ، حتى لا يشعر « نبيل » بشىء .. وشد ما كانت دهشته حين تبين ان التسلط على عقل شريكه ، كان أسهل من التسلط على عقل المساعد !**

وكان ينسى ـ فى كثير من هذه الاثناء ـ كل حذر، فيستغرق فى التفكير ، مما كان يستلفت نظر « نبيل »، فسأله يوما : « ماذا دهاك فى هذه الأيام ؟ .. اننى اراك منصرفا نصف وقتك الى افكار خاصة ! » فأجابه « ميل »وقد فطن فجأة الى ان ثمة خطرا جديدا : « انما افكر فى معادلات جديدة خطرت لى .. لا سيما وانك لم تعد تأتى الى بمسائل كثيرة . فماذا جرى؟ » .. وهنا تبدى الارتباك على نبيل ، ثم ضحك قائلا : « لاشىء .. كل ما هنالك اننا كسبنا ثروة من وراء اختراعين ومن

« العمولة » التى تأتينا من بعض المشروعات التى نقدم اليها المشوره الفنية . وأخشى ان اسرفنا فى النشاط ، ان نثير الشبهات ! »

وادرك « ميل » الحقيقة .. ادرك ان الغادر كان يتجر باسمه الخاص ، فيما يستولى عليه من افكار ، فقال : **« يعنى ان ماضيك اذا قورن بحاضرك قد يستثير شكوى السلطات ؟ .. وان هذا قد يدعو الى التساؤل عن سر غيابى ؟ »** . **فاجاب الآخر : « لقد سئلت فعلا ، واديت باجابات مقنعة .. ولكنى احسب ان الاقناع لن يدوم طويلا »** . . وارتقب نبيل منه تعليقا ، ولكنه آثر الصمت ، وحرص على ان يظل على اتصال ذهنى به ـ بعد خروجه من الحجره ـ فرآه يمضى الى غرفه مكتبه فيوصده على نفسه ، ثم يخرج محتويات الدرج الاوسط من مكتبه ، ويراجعها فى اهتمام . **وبهت « ميل » اذ تبين ان رصيد « نبيل » فى المصرف كان هائلا ، وانه كان ينقل بعض مبالغ من الارصده المشتركة بينهما الى حسابه الخاص ، بين آن وآخر ، وان كانت هذه الارصدة المشتركة فى ازدياد بفضل ما كان يتدفق عليهما !**

وراح « ميل » يرقب ما حول « نبيل » بعينى « نبيل » نفسه ، فما لبث أن رأى « جنكينز » يدخل الغرفة ، وهو يحرك شفتيه ، ولكنه لم يسمع الصوت الذى كان ينبعث خلالهما .. وكان بوسعه ان يقرا حركات الشفتين فيعرف ما كان المساعد يقول ، ولكن « جنكينز » كان يتحدث بسرعة . ثم كف فجأة عن الكلام ، ليصغى الى « نبيل » .. وما لبث هذا ان صوب مسدسا . . وتقهقر المساعد ، ورفع يديه مسلما ، ثم ارتسمت على اساريره ابتسامة وراحت شفتاه تتحركان بسرعة . وما لبث نبيل ان خفض المسدس !

وعاد « ميل » بقوة ابصاره الى غرفته . . الى العينين السحريتين اللتين كانتا تقومان بمهمة العينين له . وما لبث

« جنكينز » ان اقبل وهو بادى الهم ، مثقل النفس ، فظل « ميل » يرقبه حتى اذا اقترب من الحوض ، صرخ « ميل » هاتفا باسمه ، فاذا الرجل يقفز فى ذعر . واذ ذاك قال له : « هل خطر لك يوما ان تتصور حياة كالتى أعيشها الآن يا جنكينز ؟ .. لقد كنت عونا فيما جرى لى . ولكننى لا احقد عليك ، لأننى أعرف مدى تأثير نييل .. بيد ان فى وسعك الآن ان تساعدنى ! »

وكان كل العون الذى طلبه ، هو أن يعيد المساعد تثبيت الصمام الذى يصل التيار الكهربائى بالمنضدة المتحركة ، التى كانت بمثابة الجسم لميل . ولكن المساعد رفض فى حزم . **وعبثا حاول « ميل » اغراءه ، ومن ثم لجأ الى سلاحه الجديد الى التسلط على عقل « جنكينز » . وكان الصراع عنيفا ، فقد راح هذا يقاوم فى شدة .. ولكن مخ « ميل » كان قد أوتى ـ بعد تحرره من الجسد ـ قوة تفوق قوته الأولى! ..** وتبدى الذعر فى عينى « جنكينز »، وتفصد العرق من جبينه، ولكن ساقيه حملتاه بالرغم منه الى المنضدة .. وتردد طويلا عندها، لولا ان قال له ميل : « تذكر الفأر الميت ، الذى وجدته منذ ايام هنا ! .. لقد كنت انا قاتله ، وبوسعى ان اقتلك مثله ! » .. فلما عاد يقاوم املاء التسلط العقلى المنبعث من مخ « ميل » ، اذا بهذا المخ يسلط عليه بعض موجات مما لديه من طاقة الكراهية، واذ ذاك ، شعر « جنكينز » بألم حاد جعله يصرخ مذعورا .. ثم بادر الى توصيل الصمام المنشود ، واتجه نحو الباب مترنحا .. وقبل ان يبلغه ، ابصر « نييل » مقبلا ، فهزه الذعر .

وهتف نييل : « ماذا تفعل هنا ؟ .. ماذا بك ؟ هل .. ؟ » . وقاطعه « ميل » قائلا : « لاتسأله هو ! » . وفى الوقت ذاته ، ركز كل قواه على اعصاب الحركة ، بحيث جعل المنضدة فى مواجهة « نييل » مباشرة . وقال هذا للمساعد : « اذن ، فأنت تتآمر ضدى ؟ ! » .. وقبل ان يجيب جنكينز المرتاع،

كان نبيل قد صوب اليه مسدسا واطلق عليه رصاصتين ، فهوى وهو يتلوى من الألم .. ثم اسلم الروح ، بينما اطلق نبيل رصاصة فى اتجاه الحوض ، فأحس المخ بضغط مخدر ينصب عليه من كل اتجاه .. وراح يقاوم بكل مافى وسعه ، ليحتفظ بوعيه ، ثم مضى يركز كل طاقته على العين السحرية التى تعلو المنضدة المتحركة .. فكان التأثير رهيبا اذ أخذ جسد نبيل يذوى ويتحلل ، حتى صار رمادا !

واحس « ميل » بأنه يضعف ويخور ، فأخذ يتأمل نفسه فى جزع ، واذا به يكتشف ان الرصاصة احدثت ثقبا فى الحوض ، فأخذ السائل — الذى تتوقف عليه حياته — فى التسرب . وسرعان ما وجه المنضدة المتحركة الى «الورشة» ، فأحضر قطعة من القصدير سد بها الثغرة بمعونة الذراع الآلية . وفى الحال ، اخذت قواه ترتد اليه ، فاستطاع ان يستعين بجسده الآلى — المنضدة — على امداد السائل بمزيد من المواد المغذية ..

وأخذ يفكر بعد ذلك فى موقفه .. **كان اول ما رأى أن يتجه اليه ، هو ان ينشىء عدة مناضد متحركة ، يستعين بها بدلا من جسمه . ومن ثم استغل كل مافى المعمل و«الورشة» من اجهزة وآلات . . وراح يعمل ليل نهار ، حتى أوجد اتصالا تليفونيا داخليا بين حجرته وجميع ارجاء المبنى ، وبينه وبين الخط التليفونى المتصل بالعالم الخارجى !**

وجاء — اخيرا — اليوم الذى أصبح فيه مسيطرا على المعمل بأسره ، بواسطة مخه والأجسام الآلية التى سلطه عليها .. وفكر اذ ذاك فى أن يتصل بالبوليس ، ولكنه قدر أن الضجة التى سيثيرها واقع وجوده ، لن تلبث ان تشل حريته ، لاسيما حين تتدخل الهيئات العلمية ، وتستولى عليه ، ليعبث به العلماء باسم البحث ، أو ليعرض كتحفة غريبة !.. وكان هذا كافيا لأن يجعله يحجم عن هذا الاتجاه

وهكذا راح عقــله يقفز من مشكلة الى أخرى ، وهو يفكر فى المشروعات التى يستطيع أن يحققها للجنس البشرى ، فى وجوده الراهن . وكانت الاختراعات التى سجلها « نييل » باسميهما كشريكين كفيلة بأن تدر دخلا مستمرا ، هو نصيبهما من استغلال حقوق الابتكار .. كما ان الأرصدة التى كانت فى المصرف باسمه الخاص وباسم الشركة ، وفيرة . وكان بوسعه ـ بوساطة اليد الآلية ـ أن يوقع أذون الصرف التى يستطيع بها ان يحصل على اى مبلغ .. ولكن ، ما حاجته الى المبالغ ؟ .. كان بوسعه أن يطلب كل حاجاته من المدينــة بالتليفون ، وان يرسل قيمتها بالبريد ، ممثلة فى اذون مصرفية !

واذ اطمأن الى هــذا التفكير ، كان اول ما وجه اليه همــه ، هو ان يصون بقــاءه .. ان يستحضر أكبر كمية من المواد المغذية للمخ .. ومن ثم رفع مسماع المسرة .. وبعد تردد ، اتصل بمخزن المواد الكيمياوية الذى اعتاد التعامل معــه ، واملى الطلب الذى كان بحاجــة اليه . ثم شعر بارتياح كذلك الذى يشــعر به التلميذ اذا ما بدأ أول ايام عطلته المدرسية !

ولو ان احدا ولج المعمل اذ ذاك ، لأذهله ما كان يجرى فيه .. كان ثمة عدد من المناضد المتحركة تتنقل فى ارجاء المعمل، دون أن يبدو المصدر الذى كان يحركها ويوجهها .

وكان المخ يرقب هذه الحركة وهــو ناعم البال .. فقد بدأ حياته الجديدة !



MEMOIRES
DE
CASANOVA
مغامرات في الحب والسياسة !
مذكرات
كازانوفا
الكتاب الكلاسيكي الخالد
في أدب العشق
والمغامرة

خطر يتهدد حياة أمير المغامرات !

• صحبنا ((كازانوفا)) ـ فى الحلقة السابقة ـ فى مغامرته الطريفة مع الكونتة الاسبانية المغرورة ، وروى لنا كيف انها اغرته بان يشاركها استنشاق سعوط زعمت انه دواء للصداع ، واذا به مادة ، أبت الكونتة ان تطلعه على سرها . وما ان استنشقها معها ، حتى انساب الدم من انفيهما . وقالت الاسبانية لأمير العشق والمغامرة : ((الآن امتزج دمك بدمى ، وسنظل مرتبطين الى نهاية العمر !))

وفى صباح اليوم التالى ، فوجىء ((كازانوفا)) بزيارة من راهب من ((الكابوشان)) قال له : ((لا تزدر ما سوف انذرك به ، فقد تدفع حياتك ثمنا لذلك !))

والآن .. تعال نر ما جاء به الراهب ، ونخض مع ((كازانوفا)) الأحداث التى اعقبت ذلك :

• **وأكدت** للراهب اننى سأصغى لأقواله ، فأقدر انذاره ، وآخذ بنصحه ، وأقسمت له اننى لن أذكر لأحد انه تحدث الى أو انه قابلنى . واذ ذاك فقط ، سألنى الراهب أن أذهب وحدى قبيل الظهر ، الى دار معينة ، فى ميدان معين بالمدينة

واستطرد الرجل قائلا : ((.. واطرق الباب الايسر فى الطابق الثانى ، وقل لمن يفتحه لك ، انك تود الحديث الى مدام (....) ولسوف يسمح لك بالدخول دون عناء ، وما أظن أحدا سيسألك عن اسمك ، ولكن عليك ـ اذا سؤلت عنه ـ ان تنتحل اسما آخر .. فاذا قابلت مدام (....) ، فتحدث اليها بهدوء ورفق ، وحاول أن تكسب ثقتها ، فهى امرأة مسكينة .. ولو انك منحتها شيئا من المال ، لاطمأنت اليك . **واذ ذاك ، قل لها انك**

لن تبارح حجرتها حتى تعطيك الزجاجة التى حملها اليها ـ فى الليلة الماضية ـ خادم، وأحضر اليها رسالة مع تلك الزجاجة. وكن حازما قاطعا فى لهجتك اذا هى رفضت، ولكن .. حذار من ان تحدث أية جلبة، أو أن تدعها تبرح الحجرة أو ان تمكنها من ان تدعو أحدا !.. واذا دعت الحاجة، فعليك بأن تعدها بأن تمنحها ضعف المبلغ الذى وعدها به الطرف الآخر، اذا هى أسلمتك الزجاجة .. ولن يكون المبلغ جسيما، ولكنه فداء لحياتك !.. ولن أزيد، ولكنى أود أن تعدنى بأن تصدع بما قلت لك ! »

وباركنى الراهب ـ بعد اذ وعدته ـ ثم انصرف وهو يدعو لى

العرافة ذات الوجه المخيف

• **ولم** اشعر بميل الى الضحك او الاستهتار بحديث الراهب، فقد كانت بنفسى بقية من الايمان بالخرافات والسحر، كما ان الرجل كان يبدو صادقا أمينا . ومن ثم فقد بادرت الى التزود بمسدسين، ثم انطلقت الى البيت الغامض. وصحبنى وصيفى «كليرمون» الى الساحة، حيث أمرته بأن يقبع فى انتظارى .

واقتدت الى امرأة دميمة رهيبة المنظر، منحتها قطعتين من الفضة، فقالت انها تعرف اننى عاشق، واننى المسئول عن أى شقاء حل بى، وانها ستعطينى شيئا يساعدنى على مغالبة ما أعانى !.. وأدركت اننى فى حضرة عرافة محترفة، فقلت لها اننى لن أبرح الحجرة حتى آخذ الزجاجة والرسالة التى كانت معها .. **واذا بوجه المرأة يبدو مخيفا، وأخذت ترتجف فى عنف، وحاولت ان تغادر الحجرة، ولكنى اشهرت مطواتى فى وجهها. وقلت لها اننى سأضاعف المبلغ الذى وعدها به غريمى، فهدأت نفسها** . وقالت : « لقد وعدت بسته قطع فضية، ولست أرتاب فى انك ستدفع لى الضعف، فقد عرفتك .. انك جياكومو

كازانوفا البندقى ! »
ووضعت اثنتى عشرة قطعة فضية علي المنضدة ، واذ ذاك ترقرقت عيناها بالدموع ، وقالت : « ماكنت لأتسبب فى موتك، ولكنى كنت على استعداد لأن اجعلك تكتوى بالحب حتى الجنون ! »

دم .. وتمثال .. وسحر !

• **واقتادتنى** الى غرفة داخلية، امتلأت بزجاجات وقنينات من كافة الاحجام ، وبأحجار متباينة الألوان ، وبمعادن ، ومسامير كبيرة وصغيرة ، وبواتق ، وفرن ، وكثير من التماثيل التى لا شكل لها .. واشارت الى زجاجة، وهى تقول : «ها هى ذى زجاجتك ! » . فسألتها: « وماذا فيها ؟ »، فقالت : **«دمك ممتزجا بدم الكونتة، كما تستطيع ان تتبين من هذه الرسالة!»**
وأدركت جلية الأمر، فأحسست بشعر رأسي يقف اذ تمثلت ما فكرت فيه الأسبانية الفظيعة .. واخذ العرق البارد يتفصد من جسدى .. وسألت الساحر: « وما الذى كنت ستفعلينه بهذا الدم ؟ » . . فأجابت : «كنت سأنضحك به . . كماترى!»



. . وفتحت صندوقا طوله حوالى القدمين ، فاذا به تمثال من الشمع ملقى على ظهره ، وقد نقش اسمى عليه . ومع انه كان سىء الصنع ، الا ان ملامحى كانت واضحة عليه !
ولم أتمالك ان ضحكت اذ رأيت بعض اجزائه مشوهة

الشكل، غير متناسقة ، فقالت العجوز : «ماكنت لتضحك لو اننى غسلت هذا التمثال بالدم ، وتلوت عليه التعاويذ التى لايعرفها سواى !.. وكان الأمر خليقا بأن يصبح أبشع وأقسى ، لو اننى وضعت التمثال على مدفأة ، وتركته يكتوى بنارها ! »

وارتاحت المرأة اذ امرتها بأن تصهر التمثال امامى ، فقد خشيت أن أحمله معى كقرينة لادانتها . وعقدت العزم على أن لا أجعل الكونتة تشعر بأننى كشفت مؤامرتها . بل اننى أبديت لها من الأدب ما لم أبد من قبل ، وانا أحمد لها ايمانها بالسحر ، اذ صرفها هذا عن ان توعز الى احد المجرمين على أن يثأر لها منى . . ومنذ ذلك الحين ، لم تسبب لى الكونتة أية مضايقة !

التأهب لحفلات الكرنفال

• **ولا ريب** فى ان القارىء لم ينس بعد الفاتنتين ـ ابنتى العم ـ اللتين اقتادنى «بربارو» الى منزلهما ، واللتين قابلتهما فى الحفلة الراقصة التنكرية .. فلقد أتيح لى أن أتعرف الى شقيق احداهما ـ وكان ضابطا ـ فسرعان ما توثق الود بيننا، وأصبحت أتردد على دارهم .. **وكانت الفتاتان تتحرقان شوقا الى مهرجان تنكرى كبير، كان موشك الانعقاد فى (ميلان)،وكان اهلهما يرفضون ان يسمحوا لها بالاشتراك فيه ، فوعدتهما بأن أدبر لهما خطة تمكنهما من تحقيق رغبتهما .**

ترى ما السر حقا؟.. وماالخطة التى كان «كازانوفا» قد أعدها؟.. هذا ماسوف تكشف لنا عنه الحلقة التالية من هذه المذكرات، التى تعتبر من روائع الأدب الكلاسيكى



فى الجزءين الأول والثانى من هذه الاعترافات الخالدة كشف لنا روسو نفسيته عارية، بلا رياء، بما انطوت عليه من رذائل وفضائل، خلال الخمسة والعشرين عامًا الأولى من حياته .. وقرأنا قصة غرامه مع راعيته المشهورة "مدام دى فاران" ... الخ

وفى الجزء الثالث - الذى يصدر فى منتصف اكتوبر - ينتقل بنا "روسو" إلى باريس، حيث يروى لنا مغامراته فى مجتمعاتها الراقية، ويتابع سرد قصص غرامه مع نسائها اللامعات: مدام دوبان، ومدام دودوتو، ومدام ديبيناى .. وصلاته مع أعلام الأدب والفن، أمثال فولتير و ديدرو .. الخ

لا تدع هذا الكتاب الخالد يفوتك ..

شركة فن الطباعة ٥٨١٤٩